أجاثا كريستي

خِدَاع المَرَايا

مكتبة علي بن صالح الرقمية

أجاثا كريستي

خداع المرايا

رواية بوليسية

1952

كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

الفصل الأول

أخذت السيدة فان رايدوك بعض الخطوات للخلف مبتعدة قليلاً عن المرآة ثم تنهدت.

غمغمت قائلة: "حسنًا، هذا ما علىّ فعله، هل تعتقدين أنه على ما يرام يا جين؟".

نظرت الآنسة ماربل بإعجاب إلى الثوب الذى كان من تصميم لانفانيلى وقالت: "إنه يبدو لى ثوبًا فى غاية الروعة".

تنهدت السيدة فان رايدوك وقالت: "إن الثوب على ما يرام".

قالت: "هيّا ساعدينى فى خلعه يا ستيفاني".

قامت الخادمة المسنة ـ ذات الشعر الرمادى والفم الصغير الضيق ـ بخلع الثوب بعناية من بين ذراعى السيدة فان رايدوك الممتدتين.

وقفت السيدة فان رايدوك أمام المرآة بقميصها الداخلى قرنفلى اللون المصنوع من الساتان. كانت ذات خصر فاتن. ويكسو ساقيها ـ اللتـــين مـازالتا تحتفظـان بجمالـهما ـ جـورب مـن النـايلون الـراقى. أمـا وجـهها فقـد كـان يبـدو طفولـيًا، بفعـل طبقـة مـن مسـاحيق التجميـل وجلسات التدليك التى تجريها له باستمرار، وذلك عند النظر إليه من مسافة ليست ببعيدة. لم يكن شعرها رماديًا بالقدر الذى يمنعها من تزيينه بحلية زرقاء وقد كان مصففًا بعناية فائقة، وقد كان من المستحيل تخيل كيف كانت السيدة فان رايدوك ستبدو فى الظروف الطبيعية. فكل شىء يمكن أن يصنعه المال قد كُرّس من أجلها ومن أجل جمالها ـ هذا علاوة على اتباعها حمية غذائية، وقيامها بجلسات تدليك وتمارين مستمرة.

نظرت فان رايدوك إلى صديقتها على نحو فكاهى وقالت مداعبة إياها:

"وهل تعتقدين أن معظم الناس سيخمنون أننى وأنت فى نفس العمر تمامًا؟".

أجابت الآنسة ماربل بإخلاص: "ليس للحظة واحدة". ثم أردفت مؤكدة: "أخشى، كما تعلمين، أنه يبدو علىّ أثر كل دقيقة من عمرى!".

كانت الآنسة ماربل ذات شعر أبيض، ووجه ناعم وردى اللون تكسوه التجاعيد، وعينين بريئتين زرقاوين، شبيهتين بأعين الصينيين؛ لذلك فقد بدت الآنسة ماربل سيدة عجوزًا لطيفة للغاية، ولكن لم يكن هناك من يطلق على السيدة فان رايدوك سيدة عجوز

لطيفة.

قالت السيدة فان رايدوك: "أعتقد أنك هكذا حقًا يا جين". ثم أردفت وقد علت وجهها فجأة ابتسامة عريضة: "وكذلك أنا أيضًا، ولكن فقط بطريقة مختلفة، فتجدين الناس يقولون عنى: "ما أروع قدرة هذه العجوز الشمطاء على الحفاظ على قوامها". هذا ما يقولونه عنى، ولكنهم يعلمون أننى عجوز شمطاء بالفعل! يا إلهى، إننى أشعر بأننى كذلك حقًا!".

ثم جلست بتثاقل على المقعد المكسو بالساتان.

ثم قالت: "حسنًا يا ستيفانى، يمكنك الانصراف". أخذت ستيفانى الرد، وانصرفت.

قالت روث فان رايدوك: "ستيفانى العجوز الطيبة، إنها تعمل لدى منذ ثلاثين عامًا حتى الآن. إنها المرأة الوحيدة التى تعلم كيف أبدو حقًا! جين، إننى أود التحدث إليك".

انحنت الآنسة ماربل قليلاً للأمام، وقد ارتسم على وجهها تعبيرات الاهتمام والاستعداد للإنصات. وقد بدت شخصًا غير متناسب مع حجرة النوم المنمقة فى ذلك الجناح الفاخر بأحد الفنادق، إذ كانت ترتدى رداءً أسود مزريًا، وتحمل حقيبة تسوق ضخمة فى يدها، وتبدو امرأة ذات كياسة فى كل شىء.

"إننى قلقة يا جين. قلقة بشأن كارى لويز".

"كارى لويز؟ "؛ رددت الآنسة ماربل الاسم بتأمل. فقد أخذها هذا الاسم بعيدًا إلى الماضى.

ذلك النزل فى فلورنس، حيث تذكرت نفسها، تلك الفتاة الشقراء الإنجليزية من كاثيدرال كلوز، تذكرت الفتاتين الأمريكيتين اللتين من عائلة مارتين، وقد أثارتا اهتمام الفتاة الإنجليزية بسبب طريقتهما الطريفة فى التحدث، وصراحتهما الشديدة، وما تتمتعان به من, حيوية. روث، طويلة، ومتحمسة، وفى المقدمة دائمًا، أما كارى لويز فقد كانت ضئيلة الحجم، لطيفة، جادة.

"متى كانت آخر مرة رأيتها فيها يا جين؟".

"أوه، إننى لم أرها منذ سنوات عديدة. على الأقل لم أقابلها منذ خمسة وعشرين عامًا. ولكن، مازلنا بالطبع نرسل بطاقات تهنئة لبعضنا البعض فى الأعياد والمناسبات.

غريبة حقًا تلك الصداقة! تلك التى تجمع بينها، وبين جين ماربل الصغيرة،وبين الفتاتين الأمريكيتين. فرغم افتراقهن، إلا أن المشاعر القديمة لا تزال باقية، فهن يرسلن خطابات لبعضهن البعض بين الحين والآخر، ويرسلن كروت تهنئة فى الأعياد. غريب أن روث التى يقع منزلها ـ أو بمعنى أدق منازلها ـ فى أمريكا هى أكثر الصديقات التى تقابلها جين، إذ تلقاها أكثر من صديقتيها الأخريين. كلا، ربما ليس الأمر بهذه

الغرابة. فروث مثلها مثل معظم الأمريكيين، ممن ينتمون إلى طبقتها، يحبون السفر إلى جميع أنحاء العالم، فتجدها كل عام أو عامين تأتى إلى أوروبا، وتتنقل من لندن إلى باريس، إلى الريفييرا، ثم تعود مرة أخرى. ودائماً ما تحرص على خطف دقائق قليلة للذهاب، حيث يوجد أصدقاؤها القدامى. وقد كانت هناك بينهن العديد من اللقاءات التى حدثت مثل ذلك اللقاء، فى كلاريدج، أو سافوي، أو بريكلي، أو دروشيستر، يتناولن وجبة الريشيركى الإيطالية، ويسترجعن الذكريات الحلوة، وفى نهاية اللقاء يكون الوداع الودود المتعجل. لم يكن لدى روث الوقت مطلقاً لزيارة سانت مارى ميد. ولم تتوقع الآنسة ماربل فى واقع الأمر تلك الزيارة مطلقاً. فكل شخص له إيقاع خاص بحياته. وقد كان إيقاع حياة روث سريعاً، أما الآنسة ماربل فقد كانت راضية بإيقاع حياتها الهادئ البطىء.

لذا فقد كانت روث الأمريكية هى التى تلتقى بها أكثر، أما كارى لويز ـ التى كانت تقطن فى إنجلترا ـ فلم تقابلها منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً إلى الآن. أمر غريب، ولكنه طبيعى للغاية، لأن كلتيهما تعيشان فى نفس البلد، وعندما يعيش المرء فى نفس البلد الذى يقطن فيه أصدقاؤه القدامى فإنه لن تكون هناك حاجة لترتيب لقاءات بينهم؛ لأنه يفترض أنه، عاجلاً أم آجلاً، سوف يلقاهم مصادفة دون ترتيب للأمر. وهذه المصادفة قد لا تحدث أبداً فى حالة ما إذا انتقلت إلى بقعة أخرى من الأرض، ولكن مادمت تقطن معه فى البلد ذاته فدع الأمر للمصادفة، وعلى الرغم من ذلك، فإن طريقَىْ جين ماربل وكارى لويز لم يلتقيا مطلقاً. لقد كان الأمر بهذه البساطة.

"لماذا أنت قلقة بشأن كارى لويز يا روث؟".

"هناك شىء ما بشأنها يقلقنى كثيراً، ولكنى لا أعرف ما هو".

"هل هى مريضة؟".

"إنها ضعيفة للغاية كعهدها. لا أستطيع أن أقول إن حالها أسوأ من المعتاد ـ على اعتبار أنها تتقدم فى العمر مثلنا جميعاً".

"هل هى غير سعيدة؟".

"أوه، كلا".

فكرت الآنسة ماربل فى أن الأمر لن يكون كذلك. فمن الصعب تخيل كارى لويز غير سعيدة، على الرغم من أنها قد مرت عليها أوقات فى حياتها لم تشعر فيها بالسعادة. فقط لم تكن صورتها وهى حزينة واضحة فى عينى الآنسة ماربل. نعم قد تكون مرتبكة أو متشككة، ولكنها لا يمكن أن يكون هناك حزن كبير قد ألمّ بها.

جاءت كلمات السيدة فان رايدوك فى محلها حينما قالت: "كارى لويز، لطالما عاشت بعيداً عن هذا العالم. إنها لا تعلم كيف يبدو هذا العالم ولا تعرف حقيقته. وربما يكون ذلك هو ما يثير قلقى".

همت الآنسة ماربل بقول: "هل ظروفها "، ثم توقفت ولم تكمل عبارتها وهزت رأسها بالنفى ثم قالت: "كلا".

قالت روث فان رايدوك: "كلا إنها هى نفسها، لقد كانت كارى لويز دائماً صاحبة المبادئ بيننا. بالطبع كان من اللياقة أن تكون من أصحاب المثل والمبادئ عندما كنا صغيرات ـ فجميعنا كان لديه مُثُل ومبادئ، لقد كان ذلك من الأصلح للفتيات الصغيرات. فأنت، مثلاً، كنت تذهبين للعناية بالمصابين بمرض الجذام يا جين، وأنا كنت أخدم فى دار العبادة. فجميعنا مر بمثل هذه الأشياء، وأقْدَم على القيام بأشياء مثالية، ولكن الزواج ـ كما يقولون ـ يبعدنا عن مثل هذا الهراء. وعلى كل حال، فإن ما خرجت به من زواجى لم يكن سيئًا".

فكرت الآنسة ماربل، فى نفسها، أن روث لم تعط الأمر حقه، فلقد تزوجت روث ثلاث مرات، وتزوجت فى كل مرة من رجل فاحش الثراء، ومع كل مرة يقع فيها الطلاق فإن رصيدها فى البنك كان يزداد، دون المساس بودائعها., أردفت السيدة فان رايدوك: "بالطبع لقد كنت دائمًا أتمتع بالشدة والصلابة. فلم أكن لأنهار عند تدهور الأمور، لأننى لم أكن أتوقع الكثير من الحياة، وبالطبع لم أكن أنتظر الكثير من الرجال، ولقد سارت الأمور جيداً بدونهم، فلم يتسبب ذلك فى جرح مشاعرى. فمازلت أنا وتومى صديقين حميمين، ومازال يوليوس يستشيرنى بشأن متجره "، ثم تحول وجهها إلى السواد وهى تقول: "وأعتقد أن هذا ما يثير قلقى بشأن كارى لويز ـ إنها دائمًا لديها نزعة للزواج من المهووسين".

"المهووسون؟" ، تساءلت ماربل بدهشة .

"هؤلاء أصحاب المثل. لقد كانت كارى لويز دائمًا داعية للمثل. فعندما كانت فى السابعة عشرة، وتتمتع بالكثير من الجمال، فإنها كانت معجبة بشدة بالعجوز جولبراندسن. كانت تستمع إليه وعيناها مفتوحتان عن آخرهما من فرط الانبهار وهو يحكى عن خططه لمساعدة البشرية. لقد كان فوق الخمسين، وعلى الرغم من أنه كان أرمل، وأنها كانت لديها أسرة من أبناء ناضجين، فإنها تزوجته من أجل أفكاره الإنسانية المحبة للبشرية. لقد كانت تجلس وتستمع إليه وكأنها مسحورة. تمامًا كما كانت ديدامونة تحب عطيلاً. ولكن لحسن الحظ لم يكن هناك أى جو ليفسد الأمور عليهما ـ وعلى أى حال، فلم يكن جولبراندسن ملونًا مثل عطيل. فقد كان من السويد أو النرويج، أو بلد مماثل".

هزت الآنسة ماربل رأسها بإيماءة وهى مستغرقة فى التفكير فقد كان لاسم جولبراندسن وقع وأهمية دولية. ذلك الرجل الذى يتمتع بالـذكاء الحـاد فـى مجـال التجـارة والأعمـال ويتمتـع أيضـا بالنزاهـة التـى تمكنـه مـن بنـاء ثـروة لـم يكـن هنـاك سـبيل لإنفاقـها سـوى حـب الإنسانية والسعى لتحقيق الخير لها، ومازال لاسمه أهمية كبيرة؛ فكم شيد من مؤسسات شهيرة مثل صندوق جولبراندسن،

ومنح جولبراندسن الدراسية للأبحاث، وملاجئ جولبراندس الخيرية، والأكثر شهرة من ذلك أنه شيد الكلية التعليمية الضخمة لأبناء العمال.

قالت روث: "إنها لم تتزوجه من أجل ماله، كما تعلمين، ولو كنت مكانها لتزوجته من أجل هذا السبب لو قدر لى الزواج منه، ولكن ليست كارى لويز من يفعل ذلك، ولا أدرى ماذا كان يمكن أن يحدث لو أنه لم يمت وهى فى الثانية والثلاثين من عمرها، فعمر الثانية والثلاثين عمر جيد بالنسبة لأرملة، إذ إنها تكون قد اكتسبت الخبرة، ولكنها فى الوقت ذاته تكون قابلة للتكيف".

أومأت العانس التى تجلس أمامها برأسها، بينما يستعيد عقلها صوراً للأرامل ممن عرفتهن فى قرية سانت مارى ميد.

قالت روث: "لقد كنت سعيدة حقاً من أجل كارى لويز عندما تزوجت من جونى رستاريك، وقد كان هو من تزوجها هذه المرة من أجل مالها. ولو لم يكن هذا هو غرضه بالتأكيد، فلا أعتقد أنه كان سيتزوجها لو لم يكن لديها مال. فقد كان جونى رجلاً أنانيًا، محبًا للملذات، كسولاً، ولكن هذا النوع من الرجال يكون أكثر أماناً من المهووسين، فكل ما أراده جونى هو أن يعيش حياة رغدة، حيث طلب من كارى لويز أن تذهب إلى أفضل مصففى الشعر، وأن تمتلك اليخوت والسيارات، وأن تستمتع بحياتها معه، وهذا النوع من الرجال لا يكون هناك خوف منه على الإطلاق. كل ما عليك فعله هو أن تمنحيه الراحة والرفاهية، وبعد ذلك ستجدينه يتمسح بك مثل القطة، وسيعاملك معاملة رائعة. إننى لم أحمل تفاهاته ـ بشأن تصميم المشاهد والأعمال المسرحية ـ محمل الجد مطلقاً، ولكن كارى لويز كانت فى غاية الإعجاب بذلك. فلقد كانت تعتبر أعماله تلك فناً رفيعاً، وقد شجعته على العودة إلى تلك الأجواء، ولكن بعد ذلك سيطرت عليه تلك المرأة اليوغسلافية واختطفته منها. ولم يكن جونى يرغب حقاً فى تركها، وربما كان سيعود إليها مرة أخرى لو أن كارى لويز قد صبرت وتحلت بالعقل".

سألت الآنسة ماربل: "ولكن هل اهتمت بالأمر كثيراً؟".

"هذا هو الأمر المضحك، فلا أعتقد حقاً أنها اكترثت بهذا الأمر. فقد كانت سعيدة تماماً بالأمر كله، لقد كانت لطيفة فى التعامل مع الأمر ورقيقة كعادتها. فقد حرصت على الطلاق منه حتى يتسنى له الزواج من تلك المخلوقة، بل وقد عرضت عليه أن تأوى طفليه من زواجه الأول فى بيتها، لأن ذلك أفضل لاستقرارهما، وهكذا كان مصير جونى المسكين، فقد اضطر للزواج من تلك المرأة، وعاش معها أبشع ستة أشهر عاشها فى حياته، ثم بعد ذلك دفعته زوجته تلك إلى قيادة السيارة على حافة جرف عندما كان فى نوبة عارمة من الغضب. لقد قالوا إنها كانت حادثة، ولكنى أعتقد أن غضبه كان السبب فى وفاته!".

توقفت السيدة فان رايدوك، والتقطت مرآة وحملقت فى وجهها متفحصة. والتقطت

ملقاط حاجبيها، ثم انتزعت شعرة.

وأردفت قائلة: "وماذا فعلت كارى لويز بعد ذلك سوى الزواج من ذلك الرجل المدعو لويس سيروكولد، رجل آخر من أصحاب المثل. أوه لا أقول إنه مهووس آخر! إلا أنه لم يكن مخلصاً لها ـ أعتقد أنه كذلك ـ ولكنه مصاب بنفس الداء المتمثل فى الرغبة فى تحسين حياة كل شخص. ولكن ما من أحد ـ فى حقيقة الأمر ـ سوف يتمكن من تحسين حياتك سواك أنت"., قالت الآنسة ماربل: "لا أدري".

قالت روث: "إلا أن هذه الأمور بالطبع موضة، مثل الموضة فى الملابس تماماً. فالأفكار الإنسانية الخيرة موضة أيضاً. كانت الموضة فى أيام جولبراندسن هى التعليم، ولكنها تغيرت الآن، فقد تدخلت الدولة فى هذا الأمر وأصبح الجميع الآن ينظرون إلى التعليم على أنه حق لهم، ولا يرون له أهمية عند الحصول عليه! والآن، فإن ما يثير حماسة الناس هذه الأيام هم الأحداث الصغار، هؤلاء المجرمون الصغار، ومن فى طريقهم إلى الإجرام. فالجميع مهتم بهم إلى حد الجنون. عليك أن ترى عينى لويس سيروكولد وهما تلمعان خلف عدستى نظارته وهو متقد بالحماسة. إن زوجها أحد هؤلاء الرجال ممن يتمتعون بالإرادة القوية للغاية ممن يحبون العيش على ثمرة موز واحدة وقطعة خبز، ويكرسون كل طاقاتهم فى خدمة قضية، تلتهمها كارى لويز ـ كعادتها دائماً؛ ولكنى لا أحب هذه الأمور يا جين، فقد تم عقد العديد من الاجتماعات من قبل مجلس ترستيز، وقد تم تحويل المنزل ليخدم هذه الفكرة الجديدة، فقد أصبح المنزل الآن مؤسسة لتدريب أولئك المجرمين الصغار، وأصبح هذا المنزل مليئاً بالمحللين والأطباء النفسيين وما شابه ذلك. وتعيش هناك فى نفس المنزل كارى لويز وزوجها لويس فى صحبة هؤلاء الصبية المنحرفين الذين قد لا يكونون طبيعيين. إن المكان مكتظ، كذلك، بالمدربين والأساتذة والمتحمسين، ونصفهم مجنون تماماً وتسيطر عليهم فكرة واحدة، وصغيرتى كارى لويز وسط كل هذا!".

توقفت ثم حملقت بيأس نحو الآنسة ماربل.

قالت الآنسة ماربل بصوت يحمل الحيرة والارتباك: "ولكنك لم تخبرينى بعد ياروث عما يثير قلقك حقاً؟".

"لقد قلت لك إننى لا أعرف، وهذا ما يثير قلقى، لقد كنت لتوى هناك فى زيارة سريعة لها، وشعرت طوال الوقت بأن هناك خطأ ما ـ فى المنـــاخ ـــ فـــى المـــنزل ـــ أعـــرف أننـــى لســـت مخطئـــة، فـــأنا أتمتـــع بحســـاسية تجـــاه المنـــاخ. ألـم أخبـرك مـن قبـل كـيف ألحـت علـى يولـيوس ليبيع"الشركة المتحدة للحبوب "قبل وقوع الكارثة؟ ألم أكن محقة وقتها؟ نعم، فهناك شيء ما، ولكنى لا أعرف لماذا أو ماذا ... هل الأمر يتعلق بهؤلاء الصبية المجرمين البشعين ـ أم أنه يتعلق بالمنزل؟ لا أستطيع تحديد السبب ـ فهناك لويس الذى يعيش من أجل أفكاره فقط ولا يلاحظ أى شىء آخر حوله، وكارى لويز ـ لا ترى أبداً ولا تسمع أو تفكر فى أى شىء

إلا أن يعجبها منظر رائع، أو صوت جميل، أو فكرة جيدة. إنه شىء لطيف؛ ولكنه ليس عمليا. فهناك شر فى العالم ... وأنا أريدك، يا جين، أن تذهبى إلى هناك وتعرفى ما هو الأمر بالضبط".

صاحت الآنسة ماربل: "أنا، ولماذا أنا؟".

قالت روث: "فأنت دائمًا لا تخطئين فى مثل هذه الأمور يا ماربل، كنت دائمًا تبدين جميلة وبريئة، ولكنك ـ من داخلك ـ لا يمكن أن يفاجئك أو يدهشك شىء، لأنك دائمًا تتوقعين الأسوأ".

غمغمت الآنسة ماربل: "فالأسوأ غالبًا هو الذى يحدث".

"لا أستطيع معرفة سبب فكرتك السيئة حول البشرية على الرغم من أنك تعيشين فى قرية هادئة وديعة تمثل العالم القديم النقي".

"إنك لم تعيشى فى قرية من قبل يا روث. وربما تفاجئك الأشياء التى تحدث فى قرى هادئة وديعة".

"ربما، ولكن ما أعنيه هو أن تلك الأمور لا تدهشك أنت يا ماربل، فهل تذهبين، إذن، إلى ستونى جيتس لتستطلعى الأمر؟".

"ولكن ذلك سيكون من أصعب الأمور يا عزيزتى".

"لا، لن يكون كذلك. فقد فكرت فى الأمر برمته. وإذا لم يكن هذا سيثير غضبك نحوى، فقد هيأت الجو لهذا الأمر بالفعل".

توقفت السيدة فان رايدوك، ونظرت إلى الآنسة ماربل بشىء من القلق، وأشعلت سيجارة، وشرعت فى تفسير الأمر لها بشىء من العصبية.

"إنى على يقين من أنك سوف تتفقين معى أن الظروف قد أصبحت صعبة، فى القرية منذ الحرب، مع الأشخاص الذين لهم دخل ثابت ـ الأشخاص الذين هم مثلك يا جين".

"أوه، هذا صحيح فى الواقع، ولا أدرى ماذا كنت سأفعل حقًا لولا لطف ابن أختى ريموند معى".

"لا عليك من ابن أختك، لأن كارى لويز لم تعلم أى شىء عنه، وإن كانت تعلم شيئًا عنه فهى تعرفه ككاتب ومؤلف، ولا تعرف أنه ابن أختك، ولقد قدمت لها القضية على النحو التالى: قلت لها "المشكلة هى أن ظروف العزيزة جين قد أصبحت صعبة للغاية، وأنك ـ أى أنت, يا جين ـ بالكاد تحصلين على ما يكفى لإطعامك وإن كنت أحيانًا لا تتحصلين عليه، وأن كبرياءك بالطبع يمنعك من أن تطلبى المساعدة من أصدقائك القدامى "، وقلت: "إنه لا يسع أى فرد منا تقديم النقود بشكل مباشر كنوع

من المساعدة للتغلب على تلك الظروف. ولكنك إن أمضيت فترة من الراحة والاستجمام فى مكان جميل، مع صديقة قديمة، حيث يتوفر الكثير من الطعام والخيرات بعيداً عن القلق والهموم "، ثم توقفت روث فان رايدوك قليلاً، وقالت وفى صوتها نبرة من التحدى: "هيّا ... اغضبى منى يا جين إذا أردت ذلك".

فتحت الآنسة ماربل عينيها الزرقاوين الداكنتين بدهشة وقالت: "ولماذا أغضب منك يا روث؟ لقد كانت هذه الحجة ممتازة ورائعة تماماً، وإنى على ثقة من أن كارى لويز قد دخل عليها الأمر واستجابت لتلك الحجة".

"إنها سوف تقوم بكتابة رسالة لك، وربما تكون الرسالة قد وصلت حين تعودين. أخبرينى بصدق يا جين، هل تشعرين بأنك لا يمكنك الغفران لى لتصرفى على ذلك النحو فى ذلك الأمر؟ ألن تمانعى؟".

ثم ترددت فى استكمال حديثها فأكملت الآنسة ماربل سؤال صديقتها، وعبرت عما دار فى ذهنها قائلة: "إنك تريدين سؤالى بأننى لن أمانع الذهاب إلى ستونى جيتس بحجة حاجتى للصدقة والإحسان، وبعض الأعذار الواهية غير المقنعة. مطلقاً يا صديقتى لن أمانع فى القيام بذلك طالما أنه أمر ضرورى. أنت تعتقدين أن ذلك ضرورى، وأنا أتفق معك فى ذلك".

حدقت السيدة فان رايدوك إليها وقالت: "ولكن لماذا؟! ما الذى سمعته وجعلك تتفقين معى؟".

"إنى لم أسمع شيئاً، ولكن مجرد اقتناعك بذلك قد أقنعنى أنا أيضاً، وأنت لست امرأة خيالية يا روث".

"صحيح، ولكننى لا أملك دليلاً واحداً يؤكد صحة ما أشعر به".

قالت الآنسة ماربل وهى تفكر: "أتذكر أننى فى صباح أحد الأيام ذهبت إلى أحد المتاجر وكنت واقفة خلف جريس لامبل مباشرة، وجعلنى ذلك أشعر بالقلق عليها. فقد كنت على ثقة من أن هناك مشكلة ما. ورغم ذلك، كنت عاجزة عن تفسير الأمر وتحديد ماهية المشكلة. إن ذلك الشعور أحد أكثر المشاعر إثارة للإزعاج، وإنه عادة ما يكون مؤكداً للغاية.

"وهل كانت هناك مشكلة بالفعل؟".

"أوه، نعم، كانت المشكلة أن والدها العجوز قد أصبح غريب الأطوار منذ فترة، وأنه فى اليوم التالى قام بالهجوم عليها بمطرقة صائحاً فى وجهها بأنها ليست ابنته؛ ولكنها روح شريرة جاءت متنكرة فى صورة ابنته، وكاد يقتلها فى تلك الحادثة. وقد أودع حينها فى إحدى المصحات العقلية، وتماثلت هى للشفاء بعد شهر فى المستشفى، ولكنها كانت على وشك الموت حقاً".

"وهل انتابك ذلك الشعور المسبق ذلك اليوم الذى كنت فيه فى ذلك المتجر؟".

"إنى لا أطلق على هذا شعوراً، لقد كان قائماً على حقائق، عادة ما تكون هذه الأمور مبنية على حقائق، وذلك رغم أن المرء لا يكون على بصيرة بتلك الحقائق فى وقتها. فقد كانت ترتدى قبعتها بالمقلوب ذلك اليوم، وكان لذلك مغزى حقاً، وذلك لأن جريس لامبل من أكثر النساء تأنقاً ودقة فى ملبسها. لم تكن صديقتى تلك من النوع شارد الذهن أو الذى لا يركز، ولكن الظروف التى دفعتها إلى عدم ملاحظة طريقة وضعها لقبعتها قبل خروجها كانت غامضة حقاً. ففى هذا اليوم كان والدها قد قذفها بقطعة من الرخام التى تقوم بتثبيت الأوراق حتى لا تتطاير فتكسرت المرآة، فأخذت جريس قبعتها وخرجت من المنزل فى عجلة من أمرها. وقد كانت حريصة على الحفاظ على المظاهر وعلى ألا يتنامى إلى مسامع الخدم أى شىء من هذا. لم تكن تدرك حينها أنه يعانى اضطراباً عقلياً على الرغم من أن ذلك كان واضحاً لها. فدائماً ما كان يشكو من وجود أعداء يتربصون له، وأن هناك من يتجسس عليه، وكل هذه شواهد وأعراض لمشاكل عقلية.

حملقت السيدة فان رايدوك فى صديقتها باحترام. وقالت: "ربما لم تكن قريتك يا جين سانت مارى ميد كما تخيلتها، فقد كنت أتخيلها مكاناً هادئاً ريفياً جميلاً".

"إن الطبيعة البشرية واحدة فى أى مكان، والفارق الوحيد هو أن مراقبة تلك الطبيعة البشرية عن قرب فى المدينة أمر أكثر صعوبة نظراً لما بالمدينة من زحام".

"وهل ستذهبين إلى ستونى جيتس؟".

"نعم سأذهب إلى هناك، وإن كنت بذلك سأظلم ابن أختى ريموند، فربما يعتقدون أنه يهملنى ولا يساعدنى مادياً، ولكن ريموند العزيز فى المكسيك الآن، وسيظل هناك ستة أشهر. ومن الآن وحتى يعود من المكسيك لابد وأن أنتهى من تلك القضية"., "ما القضية التى ستنتهى؟".

"إن إرسال كارى لويز لى بدعوة مفتوحة للإقامة، ثلاثة أسابيع أو حتى شهر، سيكون كافياً".

"هل ستكون فترة كافية لك لمعرفة الأمر الخطأ؟".

"نعم سيكون كافياً لأضع يدى على المشكلة".

"إن لديك ثقة كبيرة بنفسك يا عزيزتى جين؟".

قالت الآنسة ماربل وكأنها تؤنبها: "إنك تضعين ثقتك بى ياروث. أو هذا ما تقولينه ... وأستطيع أن أؤكد لك أن ما أسعى إليه هو أن أكون جديرة بهذه الثقة".,

الفصل الثانى

قبل أن تستقل الآنسة ماربل القطار لتعود إلى سانت مارى ميد (وقد أخذت قطار يوم الأربعاء نظراً لأسعاره المخفضة) قامت بجمع بعض المعلومات بشكل دقيق وعملى.

قالت الآنسة ماربل: "إننى وكارى لويز لم نتراسل كثيراً؛ حيث اقتصرت مراسلاتنا على بطاقات التهنئة فى المناسبات والأعياد. إننى أرغب فى معرفة الحقائق يا عزيزتى روث، وأيضاً بعض الأفكار عمن سألقاهم تحديداً فى ستونى جيتس".

"حسناً فأنت تعرفين أمر زواج كارى لويز من جولبراندسن. لم يثمر زواجهما عن أطفال، وقد أثر ذلك فى كارى لويز كثيراً. لقد كان جولبراندسن أرمل، وكان لديه ثلاثة أبناء بالغين، وفى نهاية الأمر قاما بكفالة طفلة، سمياها بيبا. إنها طفلة صغيرة رائعة، تبلغ من العمر عامين فقط".

"من أين أتت تلك الفتاة؟ وما خلفيتها؟".

"لا أستطيع تذكر ذلك الآن حقاً يا جين، هذا إن كنت أعرف أصلاً. ربما كفلتها من إحدى المؤسسات على حد علمى، أو ربما كانت طفلة غير مرغوب فيها، أو يكون قد سمع بها جولبراندسن. لماذا تسألين؟ هل لذلك أهمية؟".

"حسناً، فدائماً ما يحب المرء أن يكون على علم بالخلفيات. استمرى من فضلك".

"وما حدث بعد ذلك أن كارى لويز وجدت أنها ستنجب طفلاً فى النهاية، وقد فهمت من الأطباء أن هذا الأمر شائع الحدوث".

أومأت الآنسة ماربل: "إنى أعتقد ذلك".

"على أى حال فقد حدث ذلك بالفعل، وحدث بطريقة مضحكة، وقد شعرت كارى لويز بالارتباك من جراء ذلك، شعرت بالفرح الشديد بالطبع فى بداية الأمر، ولكنها كانت تحب الطفلة بيبا حباً شديداً، وشعرت بالأسف لأنها لم تكن الطفل الأول فى حياتها بعد ذلك، وقد وضعت بالفعل طفلتها ميلدريد، والتى لم تكن تتمتع بالجاذبية والجمال. فقد كانت شبيهة بعائلة جولبراندسن أبيها ـ وقد كانت عائلة صلبة وتتسم بالأمانة ودماثة الخلق ـ إلا أن أبويه كانا بلا شك مفتقرين للجمال أو ـ إن صح التعبير كانا دميمين. وقد كانت كارى لويز حريصة دائماً على عدم التفرقة بين الفتاة التى كفلتها وبين طفلتها الحقيقية، لدرجة أنها ـ على حد علمى ـ بالغت فى تدليل بيبا، وكانت تتجاهل ميلدريد، وأعتقد أن ميلدريد كانت تكره ذلك فى بعض الأحيان؛ ولكنى ـ على

أية حال ـ لم أكن أراهما كثيراً وقد كبرت بيبا وأصبحت فتاة غاية في الجمال، أما ميلدريد فعندما كبرت أصبحت فتاة لا تتمتع بجاذبية على عكس أختها، وقد توفى إيرك جولبراندسن عندما كانت ميلدريد فى الخامسة عشرة من عمرها، وبيبا فى الثامنة عشرة. وفى العشرين من عمرها تزوجت بيبا من رجل إيطالى، تزوجت من ماركيز سان سيفريانو، لقد كان رجلاً مغامراً، ينتظر ميراث بيبا (هذا أمر طبيعى، وإلا لما كان ليتزوجها، فتلك طبيعة الإيطاليين!) وقد ترك جولبراندسن لكلتا الفتاتين، ابنته الحقيقية والتى كفلها ـ مبلغاً متساوياً من المال. وقد تزوجت ميلدريد من رجل اسمه كانون ستريت ـ إنه رجل لطيف، ولكنه دائماً ما كان يصاب بالبرد، وقد كان أكبر منها بنحو عشرة أو خمسة عشر عاماً. وقد كان زواجاً سعيداً موفقاً على حد علمى، وعندما توفى زوجها منذ عام، أتت إلى ستونى جيتس لتعيش مع أمها. إننى تسرعت كثيراً فى سرد الأحداث، فقد أغفلت زواجا أو زواجين، وسوف أعود إليهما فيما بعد، فقد تزوجت بيبا من زوجها الإيطالى، وقد كانت كارى لويز سعيدة بشأن هذا الزواج، حيث كان زوجها جودو يتمتع بصفات حسنة، وكان رجلاً وسيماً ورياضياً. وبعد عام رزقت بيبا بطفلة، إلا أنها توفيت أثناء ولادتها لهذه الطفلة. لقد كانت مأساة فظيعة جعلت جودو ـ ماركيز سان سيفريانو ـ ممزقاً وفى حالة يرثى لها. وقد سافرت كارى لويز كثيراً إلى إيطاليا وإنجلترا، وقد تقابلت مع جونى ريستاريك فى إيطاليا وتزوجت منه، وقد تزوج الماركيز الإيطالى مرة أخرى، وقد كان راغباً تماماً فى أن تتربى ابنته فى انجلترا فى بيت جدتها الثرية؛ لذا فقد استقروا جميعاً فى ستونى جيتس. جونى ريستاريك، وكارى لويز، وابنا جوني، واسمهما أليكسيز وستيفن (فقد كانت زوجة جونى الأولى روسية) والطفلة جينا، وقد تزوجت ميلدريد من زوجها بعد ذلك بقليل. ثم حدثت تلك العلاقة بين جونى والمرأة اليوغسلافية ووقع الطلاق، ومازال الصبيان يأتيان إلى ستونى جيتس فى العطلات، وقد كانا متعلقين كثيراً بكارى لويز، التى تزوجت فى عام 1938 تقريباً، من زوجها الحالى لويس".

توقفت السيدة فان رايدوك لالتقاط أنفاسها.

"ألم تقابلى لويز؟"., هزت الآنسة ماربل رأسها بالنفي.

"كلا أعتقد أن المرة الأخيرة التى قابلت فيها كارى لويز كانت عام 1928، وقد اصطحبتنى حينها إلى أوبرا كوفنت جاردن".

"أوه، نعم، حسناً، لقد كان لويس شخصاً مناسباً للغاية كزوج لها، حيث كان رئيساً لشركة شهيرة للغاية للمحاسبة القانونية. أعتقد أنه التقى بها لأول مرة أثناء مراجعة بعض القضايا الخاصة بمالية صندوق جولبراندسن، الذى كان مهووساً بإصلاح الشباب المجرمين".

تنهدت فان رايدوك، واستطردت:

"كما ذكرت للتو، ياجين، فإن إصلاح البشرية صار موضة أيضًا. فى أيام جولبراندسن كان التعليم هو الموضة. ومن قبل كان حساء الدجاج ...".

أومأت الآنسة ماربل:

"نعم حقًا، حساء رأس العجل الذى كان يقدم للمرضى، لقد كانت أمى معتادة على صنعه".

"هذا صحيح. لم يعد هناك اهتمام بتغذية الجسد، لقد حل محلها تغذية العقل، وقد أصيب الجميع بهوس تعليم الطبقات الفقيرة الدنيا. ولكن هذه الموضة قد انتهت أيضًا. وأعتقد أنه فى القريب ستصبح الموضة هى عدم تعليم الأطفال والبقاء عليهم جهلة حتى الثامنة عشرة، وقد كان صندوق جولبراندسن لتمويل التعليم يواجه بعض الصعوبات، وذلك لأن الدولة هى التى تولت أمر الصندوق، ثم أتى لويس ـ بعد ذلك بحماسه الشديد ـ لتدريب الأحداث المنحرفين، وقد جذب هذا الأمر انتباهه لأول مرة خلال مهنته، حيث كان يحقق فى أمر عملية احتيال قام بها شابان صغيران، وقد أصبح أكثر اقتناعًا بأن الأحداث المنحرفين أسوياء، وأنهم يتمتعون بذكاء وقدرات ممتازة، وأنهم لا يحتاجون سوى التوجيه".,

الفصل الثالث

نزلت الآنسة ماربل من القطار فى محطة ماركت كيندل، وقد ناولها حقيبتها أحد المسافرين اللطفاء، أمسكت الآنسة ماربل بحقيبتها الشبكية فى يد، وفى اليد الأخرى أمسكت بحقيبة صنعت من الجلد الذى تحول لونه إلى لون باهت، وكان فى يدها أيضاً بعض الأشياء الأخرى، وقد تمتمت لهذا المسافر الذى ساعدها ببعض عبارات الشكر، قائلة:

"إنه لطف كبير منك ... أعتقد أن الأمر صعب للغاية هذه الأيام، فليس هناك الكثير من حاملى الحقائب، إن ذلك يجعلنى أرتبك كثيراً عندما أسافر".

ولكن هذه التمتمات قد تبددت فى ظل الضجيج والضوضاء الصاخبة فى المحطة، وصوت عامل المحطة وهو يعلن بصوت عالٍ ـ ولكن غير مفهوم ـ أن قطار الثالثة وثمانى عشرة دقيقة يقف فى الرصيف رقم واحد، وأن القطار جاهز للانطلاق إلى محطات عديدة أخرى، ولكن صوت القطار لم يجعل أسماء هذه المحطات مفهوماً.

كانت ماركت كيندل محطة كبيرة فارغة، لا يكاد يسمع فيها إلا صوت الرياح، ولا تكاد ترى فيها المسافرين أو عمال السكك الحديدية، وكل ما تتميز به تلك المحطة وجود ستة أرصفة، ورصيف آخر صغير يقف فيه قطار صغير ذو عربة واحدة، ينفث دخانه.

كانت الثياب التى ترتديها الآنسة ماربل رثة، على عكس عادتها فى ارتداء الملابس (وكان من حسن الحظ أنها لم تتخلص من ثوبها المزركش). كانت الآنسة ماربل تنظر حولها فى حيرة عندما اقترب شاب منها .

قال:"الآنسة ماربل؟". وقد فاجأ الآنسة ماربل النبرة الدرامية التى تحدث بها ذلك الشاب، وكأنه وهو ينطق اسمها ـ يؤدى دوراً فى مسرحية، ثم أضاف قائلاً: "لقد أتيت لاستقبالك من ستونى جيتس".

نظرت الآنسة ماربل نحوه بامتنان، نظرة فاتنة لسيدة عجوز لا حيلة لها، نظرت بعينين ـ لو كان لاحظهما ـ زرقاوين حادتين، ولم يكن هناك تناسب بين شخصية ذلك الرجل وبين صوته، فقد بدا أن شخصيته أقل أهمية وأقل تميزاً عن ذلك الصوت المسرحى. وكان جفناه يتحركان بعصبية. قالت له:"آه، شكراً لك، ليس معى سوى هذه الحقيبة".

لاحظت الآنسة ماربل أن الفتى لم يحمل الحقيبة بنفسه؛ ولكنه أشار بإصبعه نحو عامل كان يحمل حقائب على عربة أمتعة .

ثم قال: "احملها من فضلك "، ثم أضاف بثقة: "إلى ستونى جيتس".

قال العامل بابتهاج: "حالاً، لن يكون ذلك بعيداً".

تخيلت الآنسة ماربل أن رفيقها الجديد ليس سعيداً بذلك، وكأن قصر باكينجهام لم يعد أكثر أهمية من ثرى لابورنوم رووود.

قال الشاب: "إن القطارات تسوء حالتها كل يوم!".

وقال وهو يقود الآنسة ماربل نحو المخرج: "أنا إيدجر لاوسون. السيدة سيروكولد طلبت منى أن أقابلك. إننى أساعد السيد سيروكولد فى عمله".

ومرة أخرى كان فى لهجته ذلك الإيحاء الذى يوحى بأن رجلاً مهماً، مشغولاً، ذا أهمية، أقدم على تأجيل قضايا مهمة من أجل رئيسه فى العمل.

ومرة أخرى لم يكن ذلك مقنعاً تماماً، حيث كان يتحدث بنفس الصوت المسرحى.

وبدا أن الآنسة ماربل تتعجب بشأن إيدجر لاوسون.

خرجا من المحطة، وقاد إيدجر السيدة العجوز، حيث تقف سيارة فورد قديمة.

قال: "هل ستركبين فى المقعد الأمامى معي، أم تفضلين الجلوس بالخلف؟ "، وهنا تغير مجرى الأحداث.

فقد اقتربت من ساحة المحطة سيارة رولز بينتلى جديدة لامعة ذات مقعدين. وجاءت لتقف أمام السيارة الفورد، حيث خرجت منها, فتاة جميلة جذابة واقتربت منهما، وقد أشار ارتداؤها لبنطال وقميص قطنى مفتوح عند الرقبة إلى أنها ليست جميلة فقط، بل ثرية أيضاً.

"هاأنت هنا يا إيدجر. لقد اعتقدت أننى لن أستطيع اللحاق بكما فى الموعد المحدد. أرى أنك استقبلت الآنسة ماربل ... لقد أتيت إلى هنا حتى أقوم أنا باستقبالها"، ثم ابتسمت بشكل بشوش للآنسة ماربل، فظهر صف من الأسنان الجميلة البراقة التى تزين وجهها الذى لوحتـــه الشـــمس، وقـــالت: "أنـا جينـا حفيـدة كـارى لـويز، كـيف كـانت رحلتـك؟ كريـهة بـالطبع. يالـها مـن حقيبـة شـبكية جميلـة! إننـى أحـب الحقائب الشبكية. سآخذ الحقيبة والمعاطف حتى تتمكنى من ركوب السيارة بسهولة".

احمر وجه إيدجر وقال معارضاً: "انظرى هنا يا جينا، لقد أتيت إلى هنا للقاء الآنسة ماربل، وكل شىء كان مرتباً".

لمعت أسنانها مرة أخرى من خلال ابتسامة عريضة.

"أوه أعلـــم يـــا إيـــدجر، ولكنـــى اعتقـدت، فجـأة، أنـه سـيكون مـن اللطـيف أن أحضـر إليـها بنفسـى. سـوف آخـذها معـى، وانتظـر أنـت قـدوم الحقائب".

ثم أغلقت باب السيارة على الآنسة ماربل، وجرت حولها إلى الجانب الآخر، حيث قفزت إلى مقعد القائد، وغادرت السيارة بسرعة خارج المحطة.

نظرت الآنسة ماربل إلى الخلف ولاحظت وجه إيدجر لاوسون وقالت: "لا أعتقد يا عزيزتى أن السيد لاوسون مسرور لما حدث".

ضحكت جينا: "إن إيدجر شخص أحمق، إنه دائماً مزهو بنفسه فى كل شىء، دوماً فى كل شيء، حتى أنك ستعتقدين أنه شخصية مهمة".

سألت الآنسة ماربل: "وهل هو شخصية ليست مهمة؟".

قالت جينا: "إيدجر؟".

كان فى ضحكة جينا المزدرية شىء من القسوة وهى تقول: "إيدجر؟ إنه أبله على أى حال".

"أبله؟".

قالت جينا: "إنهم جميعاً حمقى فى ستونى جيتس، وإننى لا أعنى بذلك لويس ولا جدتى، ولا الصبيين، ولا أنا، وليس الآنسة بيلفر بالطبع، بل أعنى الآخرين. أحياناً أشعر بأننى بلهاء قليلاً لأننى أسكن هنا، حتى العمة ميلدريد تخرج لتتمشى تتحدث مع نفسها طوال الوقت! وأنت لا تتوقعين أن أرملة كانون كانت تفعل هذا، أليس كذلك؟".

خرجا من الطريق المؤدى إلى المحطة، وزادت سرعة السيارة على الطريق الخالى. ألقت جينا نظرة سريعة على رفيقتها وقالت: "لقد كنت فى المدرسة مع جدتى، أليس كذلك؟ إن ذلك يبدو غريباً".

كانت الآنسة ماربل تعرف تماماً ما تعنيه، فبالنسبة للشباب الصغير، فإن الأمر يبدو فى شدة الغرابة أن تفكر فى أن السيدة العجوز كانت شابة فى يوم من الأيام، وكانت تجدل شعرها وتجتهد فى دراسة الكسور العشرية والأدب الإنجليزى.

قالت جينا برهبة فى صوتها، ولم تكن تقصد الإساءة بالطبع: "لابد وأن ذلك كان منذ وقت طويل مضى".

قالت الآنسة ماربل: "نعم حقاً، وأعتقد أنك تشعرين بذلك معى أكثر من جدتك، أليس كذلك؟".

أومأت جينا: "إنه لذكاء منك قول ذلك، فإن جدتى كما تعلمين ـ تعطى من يراها انطباعاً مختلفاً، لا يجعل أحداً يشعر بعمرها الحقيقى".

قالت الآنسة ماربل: "ياله من وقت طويل مضى على المرة الأخيرة التى رأيتها فيها، ولا أدرى إذا ما كانت قد تغيرت كثيراً أم لا؟".

قالت جينا: "لقد أصبح شعرها رمادى اللون بالطبع، وتمشى مستخدمة عصا لأنها تعانى من التهاب المفاصل. لقد ساءت حالتها مؤخراً أعتقد أنه ... "، ثم توقفت وقالت فجأة:"هل ذهبت إلى ستونى جيتس من قبل؟".

"كلا مطلقاً، لقد سمعت الكثير عنه بالطبع".، قالت جينا بابتهاج: "إنه فى الواقع بناء مهيب للغاية، بناء ضخم، تم بناؤه على الطراز القوطى وكأنه بيت من بيوت الأشباح، ولكنه ممتع أيضاً بشكل ما. إلا أن كل شىء فى هذا المكان جاد إلى حد لا يصدق، وسوف يتعثر المرء فيه بالأطباء النفسيين أينما ذهب، وهم مستمتعون بعملهم إلى حد الجنون، وكأنهم قادة الكشافة، بل إنهم أكثر من ذلك، أما عن هؤلاء المجرمين فبعض منهم لطفاء. لقد أرانى أحدهم كيفية فتح الأقفال بواسطة سلك معدنى، وقد علمنى صبى آخر ـ له وجه ملائكى ـ أساليب مختلفة لضرب الآخرين.

فكرت الآنسة ماربل فى تلك المعلومة تفكيراً عميقاً متفحصاً.

قالت جينا: "وإن أكثر من أحبهم هم السفاحون، وإننى لا أحب غريبى الأطوار كثيراً. إن لويس والدكتور مافيريك يعتقدان أن الجميع من هؤلاء الأحداث غريبو الأطوار ـ أى يعتقدان أن السبب فى ذلك رغباتهم المكبوتة، والحياة غير المستقرة التى عاشوها، مثل هروب الأمهات، والأمور الأخرى، ولكنى لا أومن بذلك حقاً، لأن بعض الناس عاشوا حياة شنيعة لا تحتمل فى منازلهم، ومع ذلك نشأوا على أفضل صورة ممكنة".

قالت الآنسة ماربل:"أنا على يقين من أنها مشكلة كبيرة حقاً".

ضحكت جينا ـ مظهرة مرة أخرى أسنانها الجميلة ـ وقالت: "إن ذلك الأمر لا يثير قلقى كثيراً، فإننى أعتقد أن هناك بعضاً من الناس لديهم الدوافع والمحفزات التى تجعلهم يرغبون فى تغيير هذا العالم السيئ وجعله مكاناً أفضل مما هو عليه. إن لويس مهووس تماماً بهذا الأمر، فهو سوف يسافر إلى إبردين فى الأسبوع المقبل لأن هناك قضية ستعرض على المحكمة هناك ـ قضية صبى مدان بارتكاب خمس جرائم".

قالت الآنسة ماربل: "بالنسبة للشاب الذى استقبلنى فى المحطة، السيد لاوسون. لقد أخبرنى بأنه يساعد السيد ستيروكولد ـ هل هو السكرتير الخاص به؟".

"إن إيدجر لا يملك الذكاء الكافى ليكون سكرتيراً، إنه قضية فى حد ذاته بالفعل. كان معتاداً على الإقامة فى الفنادق، ويدعى أنه شخص مهم، أو طيار مقاتل، وكان

يقترض الأموال من الناس حوله ثم يهرب إلى مكان آخر، أعتقد أنه شخص كريه، ولكن لويس يتصرف مع مثل هؤلاء الأشخاص بشكل محدد، حيث إنه يجعلهم يشعرون بأنهم جزء من العائلة، ويكلفهم بمهام محددة ليقوموا بها، حتى يشجعهم على الشعور بالمسئولية، وقد يقتلنا أحد هؤلاء فى يوم من الأيام "، وضحكت جينا فى سعادة.,

ولكن الآنسة ماربل لم تضحك.

دارت السيارة وعبرت بوابات كبيرة، حيث كان يقف الحارس على نحو عسكرى. ثم استمرت السيارة فى السير عبر ممر يفضى إلى باب المنزل المحاط بالأشجار. كان الممر مهملاً وكذلك كانت الحديقة.

قالت جينا بعد أن فهمت نظرة رفيقتها: "لم يكن هناك بستانيون خلال الحرب، ومن حينها لم تهتم باستئجار بستانى. إن الحديقة تبدو بشعة إلى حد ما حقًا".

سارتا بالسيارة فى منعطف، وظهر باب سترونى جيتس بكامل عظمته. فكما ذكرت جينا عنه أنه مبنى ضخم من الطراز القوطى الفيكتورى. وكانت أعمال الخير التى كُرِّس البناء من أجلها قد تسببت فى إضافة أجنحة أخرى، ومبانٍ أخرى له لم تكن من طراز مشابه، ولذلك، فقد سلبت شكله القديم انسجامه.

قالت جينا: "إنه بشع، أليس كذلك؟ ها هى جدتى فى الشرفة، سوف أقف هنا، ويمكنك مقابلتها".

اقتربت الآنسة ماربل من الشرفة باتجاه صديقتها القديمة.

ومن بعيد، بدا ذلك الجسم النحيل فتاة شابة على نحو غريب، على الرغم من العصا التى كانت تتكئ عليها، وتحركها والذى بدا أنه مؤلم. فقد بدت وكأنها فتاة صغيرة تقلد سيدة عجوزاً على نحو مبالغ فيه., قالت السيدة سيروكولد: "جين".

"عزيزتى كارى لويز".

نعم إنها كارى لويز بلا شك. غريب حقًا أنها لم تتغير، غريب أنها مازالت تتمتع بالشباب، على الرغم من أنها ـ على النقيض من شقيقتها ـ لا تستعمل أدوات التجميل، أو أى مواد صناعية لتبدو صغيرة. كان شعرها رمادى اللون، ولكنه كان من قبل فضى اللون، لذا فقد تغير عن طبيعته قليلاً، وكان لون بشرتها محتفظًا بصورته، فهو يتحول بين اللون الوردى واللون الأبيض رغم وجود بعض التجاعيد وكانت عيناها لا تزالان تحملان تلك النظرة البريئة، وكان جسدها النحيل يشبه قوام فتاة، وكان رأسها مثل رأس الطائر.

قالت كارى لويز بصوتها العذب: "إننى ألوم نفسى على عدم لقائنا منذ وقت طويل. لقد مضت سنوات منذ أن رأيتك آخر مرة يا عزيزتى جين، وكم هو لطيف قدومك

إلى هنا لزيارتنا "! .

صاحت جينا من نهاية الشرفة: "عليك الدخول يا جدتى فالجو بارد، وسوف تغضب جولى".

ضحكت كارى لويز ضحكة قصيرة وقالت: "إنهم جميعًا قلقون علىّ، معتقدين أننى امرأة عجوز".

"وأنت لا تشعرين بأنك عجوز؟".

"كلا، لا أشعر بذلك يا جين، على الرغم من آلامى وأوجاعى الكثيرة، فإننى أشعر بداخلى بأننى مثل جينا. وربما كان الجميع كذلك، ينظرون إلى المرآة ويرون مدى شيخوختهم، ولكنهم لا يصدقون ذلك. يبدو لى وكأننا كنا فى فلورنسا منذ بضعة أشهر فقط. هل تذكرين فراولين شويك وحذاءها الغريب؟".

ضحكت السيدتان العجوزان معًا على أحداث مضى عليها ما يقرب من نصف قرن.

مشيتا معًا إلى باب جانبى، وعند الباب قابلتهما سيدة نحيلة فى منتصف العمر، وكان لها أنف يدل على التكبر، وشعر قصير، وقد ارتدت ثوبًا من الصوف جيد التفصيل.

قالت بحدة: "هذا جنون منك يا كارى أن تظلى بالخارج لهذا الوقت المتأخر. إنك لست قادرة تمامًا على الاعتناء بنفسك. ماذا سيقول السيد سيروكولد؟".

قالت كارى: "لا توبخينى يا جولى؟".

وقدمت الآنسة بيلفر إلى الآنسة ماربل.

وقالت:"أود أن أقدم لك الآنسة بيلفر. إنها ببساطة كل شيء بالنسبة لى، الممرضة، المرشد الصارم، الحارس، السكرتيرة، ربة المنزل، الصديقة المخلصة".

توردت نهاية أنف جوليت بيلفر الكبير كدليل على تأثرها بما سمعت.

وقالت:"إننى أفعل ما بوسعى، إنه بيت من المجانين، فلا يمكنك هنا أن تنظمى نوعًا من الروتين".

"عزيزتى جولى، بالطبع لا تستطيعين ذلك. وأتعجب لماذا تحاولين ذلك من الأساس. أين مكان الآنسة ماربل؟".

سألت الآنسة بيلفر: "فى الحجرة الزرقاء، هل أصطحبها لأعلى؟".

"نعم من فضلك يا جولي، ثم أحضريها إلى هنا لتتناول الشاى. سيكون الشاى فى المكتبة اليوم على حد علمى".

للغرفة الزرقاء ستائر من القماش الثقيل الغالى المطرز، ولها لون سماوى، وقد

فكرت الآنسة ماربل بأن عمر هذه الستائر لابد وأن يكون خمسين عاماً. وكان الأثاث الخشبى الضخم الثقيل من الماهوجنى. وكان السرير الضخم من نفس نوع الخشب. قامت الآنسة بيلفر بفتح أحد الأبواب، وكان هذا الباب باب حمام تابع لتلك الغرفة الزرقاء، وعلى غير المتوقع كان الحمام على طراز حديث، وكان لونه أرجوانياً وكان كل ما فيه لامعاً.

قالت بيلفر وهى تنظر بتجهم:"لقد جهز جون ريستاريك فى البيت عشرة حمامات عندما تزوج من كارى، والشيء الوحيد الذى تم, تحديثه تقريباً هو أنابيب المياه، ولكنه لم يستمع لأى مقترحات بشأن أى تجديدات أخرى يجب القيام بها فى البيت. فإنه يرى أن البيت، فى مجمله، يعتبر نموذجاً لقطعة فنية تدل على عصر محدد. هل قابلت جون ريستاريك من قبل؟".

قالت الآنسة ماربل: "كلا، لم أقابله مطلقاً، فأنا والسيدة سيروكولد نادراً ما كنا نتقابل، على الرغم من أننا كنا نتراسل دوماً".

قالت الآنسة بيلفر:"إنه شخص مقبول، مع أنه لم يكن جيداً بالطبع، كم كان من المبهج تواجده فى المنزل؛ فإنه يتمتع بجاذبية وسحر غريب، فقد كان هذا السحر وتلك الجاذبية يجذبان النساء إليه، وتسبب ذلك فى دماره فى النهاية، فإنه لم يكن حقاً من نوع كارى". ثم أضافت وهى تتحدث بأسلوبها العملى ثانية:"ستتولى الخادمة أمر إفراغ حقائبك. هل تودين أن تغسلى يديك قبل تناول الشاي؟".

وعندما جاوبت الآنسة ماربل بالإيجاب، أخبرتها بأنها ستكون بانتظارها بأعلى.

دخلت الآنسة ماربل الحمام وغسلت يديها، وجففت يديها بالمنشفة وهى تشعر بقليل من التوتر، وكانت المنشفة جميلة وكان لونها أرجوانياً، ثم خلعت قبعتها وعدلت من شعرها الناعم الرمادي.

ثم فتحت الباب، فوجدت الآنسة بيلفر بانتظارها، وقادتها الآنسة بيلفر إلى سلم ضخم تسوده الظلمة، وعبرتا معاً صالة كبيرة مظلمة، ومن الصالة إلى غرفة تحتوى على كتب كثيرة ووصلت أرفف الكتب إلى السقف من كثرتها، وكذلك تحتوى الغرفة على نافذة ضخمة تطل على بحيرة صناعية.

كانت لويز تقف بالقرب من نافذة، فانضمت إليها الآنسة ماربل وقالت: "إنه منزل ذو هيبة كبيرة، لقد اعتقدت أننى سأتوه فيه".

قالت كارى لويز: "نعم، أعلم ذلك، إنه من طراز سخيف حقاً، لقد قام ببناء هذا المنزل واحد من أهم رجال صناعة الحديد الأثرياء، ولكنه سرعان ما أشهر إفلاسه بعد ذلك، ولا غرابة فى ذلك، فقد اشتمل هذا البيت على نحو أربع عشرة غرفة معيشة، وجميعها غاية فى الضخامة، ولا أفهم لماذا يحتاج الناس لأكثر من غرفة جلوس واحدة، هذا علاوة على جميع غرف النوم الضخمة تلك، فهناك مساحة هائلة غير مشغولة ولا

ضرورة لها. إن غرفة نومى بالغة الاتساع، لدرجة أننى أضطر إلى أن أسير مسافة كبيرة من فراشى حتى أصل إلى طاولة الزينة، وفى البيت ستائر ضخمة ثقيلة ذات لون قرمزى داكن".

سألت الآنسة ماربل: "ألم تحاولى تحديث هذا المنزل أو تغيير تصميمه؟".

بدت الدهشة قليلاً على كارى لويز، ثم قالت: "مطلقًا، إن المنزل كما هو منذ أن سكنت فيه مع إيريك لأول مرة لم يتغير تمامًا. بالتأكيد لقد تم إعادة طلائه، ولكنهم يقومون دائمًا بطلائه بنفس اللون، فهذه الأشياء لا تهم كثيرًا، أليس كذلك؟ أقصد أنه لا يوجد مبرر لإنفاق أموال كثيرة على مثل هذه الأمور فى حين أنه توجد أشياء أكثر أهمية".

"ألم تحدث أية تغييرات فى هذا المنزل؟".

"أوه، بلى الكثير من التغييرات. فلقد تركنا منتصف المنزل كما هو، الصالة الكبيرة والغرفة المجاورة لها، فقد كانت أفضل ما فى المنزل، وقد كان جونى ـ زوجى الثانى ـ يفهم فى هذه الأمور، ورأى أنه لا يجب لمسها أو تغييرها، فقد كان رسامًا ومصممًا، ويفهم فى هذه الأمور. ولكن تم تغيير الجناحين الشرقى والغربى تمامًا، وتم تقسيم جميع الغرف، حتى تصبح مكاتب وغرف نوم لفريق المعلمين. أما جميع الصبية فإنهم فى مبنى الكلية،الذى يمكنك رؤيته من هنا.

نظرت الآنسة ماربل نحو مبانٍ ضخمة مبنية من القرميد الأحمر، والتى تظهر من خلف صف من الأشجار، ثم وقعت عيناها على شىء قريب إليها، ثم ابتسمت قليلاً، وقالت: "يا لجينا من فتاة جميلة!".

أشرق وجه كارى لويز وقالت: "نعم، أليست جميلة؟ إنه أمر رائع حقًا عودتها إلى هنا مرة أخرى بعد غياب فإننى فى بداية الحرب قمت بإرسالها إلى أمريكا عند روث، هل كلمتك روث عنها؟".

"كلا لقد ذكرتها لى فقط".

تنهدت كارى لويز وقالت: "المسكينة روث! لقد كان يعتريها قلق شديد من زواج جينا، ولكننى قلت لها كثيرًا إننى لا ألوم جينا. إن روث لا تدرك مثلما أدرك أنا ـ إن أمر الفوارق الطبقية وخرافة اختلاف الطبقات لم تعد موجودة هذه الأيام ـ أو أن هذه الخرافات على الأقل فى طريقها للزوال. لقد ذهبت جينا إلى الحرب لتؤدى واجبها، وهناك التقت بذلك الشاب الذى كان يعمل فى البحرية، وله سجل حربى جيد للغاية، وبعد أسبوع من لقائهما تزوجا. وقد جاء زواجهما بشكل سريع للغاية، لدرجة أنه لم يكن هناك وقت للبحث عما إذا كانا مناسبين, لبعضهما البعض أم لا. ولكن هذا هو الحال هذه الأيام. إن الشباب الصغار ينتمون إلى جيلهم، وإننا الكبار قد نرى أنهم طائشون فى أفعالهم، إلا أنه يجب علينا أن نتفهم قراراتهم. ورغم ذلك فإن روث كانت تشعر بقلق

كبير".

"ألم تَرَىْ أنه كان شابًا مناسبًا؟".

"لقد أخذت تردد أننا لا نعرف أى شىء عنه. لقد أتى من المنتصف الغربى ولم يكن بحوزته أية أموال. وبالطبع لم تكن له مهنة. فهناك المئات من الشباب من أمثاله فى كل مكان، ولكن، على الرغم من ذلك، قد تم الأمر. ولقد كنت سعيدة للغاية عندما قبلت جينا دعوتى للقدوم إلى هنا مع زوجها، فهناك الكثير من الأشياء هنا، وتتوفر وظائف من كل نوع، وإذا أراد والتر التخصص فى الطب أو الحصول على مؤهل أو أى شىء يمكنه القيام بذلك فى هذه البلدة، فهذا هو بيت جينا رغم كل شىء، ومن المبهج دعوتها إلى هنا، حيث عاد إلى المنزل شخص يتسم بالحيوية والنشاط".

أومأت الآنسة ماربل وتطلعت عبر النافذة مرة أخرى نحو الشابين الصغيرين اللذين يقفان بالقرب من البحيرة.

قالت: "إنهما زوجان جميلان حقًا، لا عجب أن جينا وقعت فى حب ذلك الفتى الوسيم".

"أوه ولكن ذلك ليس والتر". ثم سادت لحظة صمت فجأة تتخللها لمسة من الإحراج أو التردد الذى بدا على صوت السيدة سيروكولد ثم قالت: "إنه ستيف أصغر ابنىْ جونى ريستاريك. عندما رحل جونى لم يكن لدى ابنيه مكان يقضيان فيه عطلاتهما سوى هنا، لذا فإننى دائمًا ما أستضيفهما فى منزلى، فإنهما يعتبران هذا المنزل منزلهما، وستيف يقيم هنا إقامة دائمة الآن، إنه يدير قسم الدراما والمسرح، فإننا نمتلك مسرحًا هنا يتم عرض المسرحيات به، وإننا نقوم برعاية وتشجيع المواهب الفنية، إن لويس يقول إن الكثير من جرائم الشباب ترجع إلى رغبتهم فى الظهور ولفت الانتباه، لقد عاش معظم هؤلاء الأولاد حياة أسرية غير سعيدة، وإن مخالفتهم للقانون وسطوهم على المنازل يجعلهم يشعرون وكأنهم أبطال؛ ولذلك، فإننا نطلب منهم أن يكتبوا المسرحيات التى سيقومون بعرضها بأنفسهم وأن يلعبوا الأدوار، ويقوموا بتصميم وطلاء الديكور. وإن ستيف هو المسئول عن المسرح. إنه دءوب جدًا ومتحمس. كم هو رائع أن تسير الأمور على هذا النحوى".

قالت الآنسة ماربل ببطء: "أرى ذلك".

لقد تمكنت من خلال نظرها الحاد وقدرتها على الرؤية من بعيد (وهو الأمر الذى يعرفه الكثير من جيرانها فى سانت مارى ميد) من رؤية الوجه الجميل لستيفن ريستاريك وهو يقف مواجهًا لـ "جينا "، ويتحدث بحماس، ولكنها لم تستطع رؤية وجه جينا نظرًا لأنها كانت توليهما ظهرها، ولكن لا أحد يختلف على التعبيرات المرتسمة على وجه ستيفن ريستاريك.

قالت الآنسة ماربل: "أعلم أن هذا ليس من شأنى ولكنى أعتقد أنك تدركين يا

كارى أنه واقع فى حبها".

بدت كارى لويز مرتبكة وهى تقول: "أوه كلا، أوه كلا، آمل أن يكون ذلك ليس صحيحاً".

"إنك واهمة يا كارى لويز، فليس هناك أدنى شك فى ذلك".

الفصل الرابع

قبل أن تستطيع السيدة سيروكولد قول أى شىء أتى زوجها من الصالة وفى يده بعض الرسائل المفتوحة.

كان لويس سيروكولد رجلاً قصير القامة، ولا يوجد فى مظهره أى شىء مميز قد يلفت إليه النظر، ولكنه كان يتمتع بشخصية مميزة يلحظها المرء بمجرد رؤيته، لقد قالت عنه روث ذات مرة إنه يشبه المحرك أكثر مما يشبه الإنسان، إنه يركز بشكل كامل على ما يشغل انتباهه، ولا يهتم بالأشياء أو الأشخاص المحيطين به.

قال:"لقد كانت ضربة قوية يا عزيزتى، لقد عاد ذلك الفتى جاكى فلنت إلى حيله مرة أخرى. وقد اعتقدت أنه لو أتيحت له الفرصة المناسبة سيكون ملتزماً وجاداً فى استقامته، فقد بدت عليه الجدية كثيراً. إنك تعرفين أننا علمْنا كم هو متعلق بالقطارات والسكك الحديدية، وقد اعتقدنا أنا ومافيريك أنه لو حصل على عمل فى هذا المجال فربما يخلص له وينجح فيه، ولكنه عاد إلى سيرته الأولى، فقد تكررت سرقات بسيطة من مكتب الطرود، ولم تكن المسروقات أشياء يحتاج إليها أو يمكن بيعها، لابد وأن هذا الأمر يعود إلى مرض نفسى. إننا لم نصل حقاً إلى جذور المشكلة، ولكنى لن أستسلم".

قالت كارى لويس:"أقدم لك صديقتى القديمة جين ماربل".

قال السيد سيروكولد وهو شارد الذهن: "أوه مرحباً، إننى سعيد للغاية ـ سوف يقاضونه بالطبع، إنه فتى لطيف، ربما لا يتمتع بذكاء شديد لكنه لطيف حقاً. ولا غبار على البيت الذى انحدر منه. إننى ...".

ثم توقف عن الحديث فجأة، ثم حوّل اهتمامه للضيفة قائلاً: "آنسة ماربل، إنى فى غاية السعادة لأنك أتيت إلى هنا لتقيمى معنا لفترة من الوقت، إن ذلك سيكون له تأثير كبير بالنسبة لكارولين، إنها ستستضيف معها صديقة قديمة لتتبادلا الذكريات معاً. إن كارولين تمضى وقتاً حزيناً هنا للعديد من الأسباب، فإن قصص هؤلاء الأطفال المساكين تتسم بالكثير من الحزن، وأتمنى يا سيدتى أن تستمرى فى ضيافتنا وقتاً طويلاً.

شعرت الآنسة ماربل بذلك المغناطيس الذى يكمن فى شخصيته، وأدركت ما يتمتع به من جاذبية، تلك الجاذبية التى لابد وأن صديقتها شعرت بها تجاهه. لم تشك الآنسة ماربل ولو للحظة فى أن لويس سيروكولد كان من نوع الرجال الذين يهتمون

بالقضايا أكثر مما يهتمون بالناس. وربما كان ذلك يزعج بعض النساء، ولكن ليس كارى لويس.

أمسك لويس سيروكولد برسالة أخرى، وقال: "على أى حال هناك بعض الأخبار السارة، فهذه الرسالة من بنك ويلتشاير، الذى يعمل فيه الشاب موريس بشكل رائع للغاية، وإنهم مقتنعون به تماماً، بل إنهم فى واقع الأمر سوف يرقونه خلال الشهر القادم. دائماً ما كنت على يقين أن تحمل المسئولية هو كل ما يحتاج إليه ذلك الفتى حتى ينصلح حاله، هذا علاوة إلى حاجته إلى فهم كيفية التعامل مع المال، وما يعنيه المال".

استدار نحو الآنسة ماربل قائلاً:

"نصف هؤلاء الصبية لا يعرفون ما هو المال. إن المال يعنى بالنسبة لهم الذهاب إلى السينما، أو إلى أحد السباقات أو شراء السجائر، إنهم يتمتعون بالذكاء والمهارة فى التعامل مع الأرقام، ويجدون متعة فى التلاعب بها ـ ماذا عساى أن أقول؟ إننى أعمل على شَغْلهم دوماً بهذا الموضوع من خلال تدريبهم على المحاسبة بأن أظهر لهم سحر المال، إن صح التعبير. إننى أقدم لهم الخبرة والمهارة فى التعامل مع المال، ثم بعد ذلك أمنحهم المسئولية، من خلال منحهم الفرصة للتعامل مع المال بشكل رسمى، وهذه الطريقة هى ما ساعدنا على تحقيق إنجازاتنا ونجاحاتنا الكبرى، ولم يخذلنا من الفتيان سوى اثنين فقط من ثمانية وثمانين فتى، كان أحد هؤلاء الفتية يعمل كرئيس للمحاسبين فى إحدى شركات الأدوية وهو مركز مهم ويحمل مسئولية كبيرة ....

ثم توقف ليقول لزوجته:"إن الشاى فى الداخل يا عزيزتى".

قالت كارى لويس:"لقد اعتقدت أننا سوف نتناوله هنا، لقد أخبرت جولى بذلك".

قال لويس:"بل إنه فى الصالة، والجميع هناك فى الصالة".

قالت كارى لويس:"ظننتهم سيخرجون جميعاً".، قال إيدجر لاوسون:"أنت تعرفين يا سيدة سيروكولد أنها جعلتنى أبدو أحمق، أحمق تماماً!".

قالت كارى لويس وهى تبتسم:"لا، لا يجب أن تفكر على هذا النحو".

"أعرف تماماً أننى لست بالشخص المرغوب، إننى أدرك هذه الحقيقة تماماً. لو أن الأمور كانت مختلفة، لو كان لدى مكان مناسب فى الحياة لاختلفت الأمور، لاختلفت تماماً. إنه ليس خطئى. إننى لم أحصل على فرصة مناسبة فى الحياة".

قالت كارى لويس:"والآن يا إيدجر لا تقسُ على نفسك بلا داعٍ. إن جين ترى أنه كان لطفاً كبيراً منك أن تقابلها فى المحطة، وأنت تعرف كيف تتبادر إلى جينا أفكار بشكل مفاجئ وتقوم بتنفيذها، ولكنها لم تقصد أبداً مضايقتك".

"لا بل كانت تفعل ذلك عن قصد ... كانت ترغب فى إهانتى".

"آه يا إيدجر ...".

"إنك لا تعرفين نصف ما يحدث يا سيدة سيروكولد ـ حسنًا، لن أقول الآن أكثر من عمتم مساء".

انصرف إيدجر وأغلق الباب خلفه بقوة.

قالت الآنسة بيلفر معترضة:"أخلاق سيئة".

قالت كارى لويس:"إنه حساس للغاية".

تركت ميلدريد ستريت الإبرة التى كانت فى يدها وقالت بحدة:"إنه حقًا شاب بغيض للغاية، ليس عليك تحمل كل ذلك يا أمى".

"إن لويس قال إن ذلك ليس بإرادته وخارج على سيطرته".

قالت ميلدريد بحدة:"فى مقدور كل الناس يا أمى أن يتصرفوا بشكل وقح، بالطبع إنى ألوم جينا على ما فعلت، إنها تتصرف بتهور فى أى شىء تقوم به، وتثير المتاعب كذلك دائمًا. فهى تشجع الشاب تارة، وتارة أخرى توبخه، ماذا تتوقعين من سلوك كهذا؟".

تكلم وولى لأول مرة تلك الليلة، وقال:"هذا الشاب أحمق. ذلك كل ما فى الأمر، إنه شاب أحمق!".

2

أخذت الآنسة ماربل تحاول وهى فى غرفتها هذه الليلة أن تسترجع أسلوب الحياة فى ستونى جيتس، والطريقة التى تسير بها الأمور، ولكن كان الأمر حتى الآن محيرًا بالنسبة لها، فهذا المنزل به تيارات كثيرة متعارضة، ولكن كان من الصعب عليها معرفة ما إذا كانت هذه التيارات هى ما تتسبب فى شعور روث فان رايدوك بالقلق. ورأت الآنسة ماربل أن كارى لويز لا تتأثر بما يدور حولها بأى شكل من الأشكال، ورأت الآنسة ماربل أن ستيفن وقع فى حب جينا، وربما تكون جينا تبادله الحب وربما لا تكون كذلك، وكان واضحًا وضوح الشمس أن والتر هود لا يستمتع بإقامته فى هذا المنزل، ولكن هذه الأمور طبيعية وربما تحدث، بل إنها بالفعل تحدث فى كل بيت وفى معظم الأوقات. ولسوء الحظ لم تر الآنسة ماربل أن هناك شيئًا استثنائيًا أو غير تقليدى فى مثل هذه الأمور، والتى قد تنتهى فى ساحة المحاكم من أجل الانفصال؛ ليبدأ كل شخص حياة جديدة، وكان باديًا كذلك أن ميلدريد تكره جينا وتغار منها، واعتقدت الآنسة ماربل أن ذلك كان أمرًا طبيعيًا.

تذكرت الآنسة ماربل ما قالته لها روث فان رايدوك عن الإحباط الذى شعرت به كارى لويز لعدم إنجابها، وذكرت أنا كفلت بيبا الصغيرة، وكيف أنها علمت فى نهاية الأمر بحملها، وأنها سوف ترزق بطفل.

"الأمور غالبًا ما تسير على هذا النحو "هكذا قال طبيب الآنسة ماربل لها، وربما بعد أن يزول التوتر تأخذ الطبيعة مجراها، وأضاف أن ذلك عادة ما يكون من سوء حظ الطفل الذى تمت كفالته.

ولكن فى حالة كارى لويز لم يُيسّر الأمر على هذا النحو ولم تأخذ الطبيعة مجراها وتظلم الطفلة التى كفلوها، بل إن السيد جولبراندسن وزوجته كارى لويز قد أحبا بيبا الصغيرة حبًا جمًا، وقد شغلت حيزًا فى قلبهما من الصعب أن يزحزحها منه أحد. لقد كان جولبراندسن بالفعل أبًا منذ وقت طويل، ولم تكن الأبوة شيئًا جديدًا عليه. وكانت بيبا هى السبب فى إشباع رغبة كارى لويز فى الأمومة وقد أشبعتها بالفعل، ولذا فقد كان حملها بطفلتها شيئًا صعبًا ومثيرًا للإزعاج بالنسبة لها، وقد مرت فى ولادتها بوقت طويل وعسير للغاية فربما تكون كارى لويز (التى لا تهتم بالواقع) قد كرهت أول مواجهة فعلية لها مع هذا الواقع والذى تمثل فى حملها لابنتها., عقدت كارى لويس ذراعها بذراع الآنسة ماربل وخرجتا معًا إلى الصالة الكبرى، وكان أسلوب تقديم الشاى غير منسجم مع الجو العام؛ كانت أوانى الشاى مكومة عشوائيًا على إحدى الصوانى، وكان من بينها تلك الأكواب البيضاء المستخدمة مع بقايا أطقم شاى من طراز وكينهام الفاخر، وكان مقدمًا معها قطع كعك رخيصة وتبدو غير صحية.

كان هناك امرأة تجلس خلف طاولة الشاى، وبدت هذه المرأة ممتلئة الجسم فى منتصف العمر، وكان شعرها رمادى اللون، قالت كارى لويس:"هذه ميلدريد ياجين إنها ابنتى ميلدريد، إنك لم تريها منذ أن كانت طفلة صغيرة، وقد رأت الآنسة ماربل هى أكثر شخصية متوافقة مع هذا المنزل ممن قابلتهم حتى الآن، كان لها مظهر جليل، إن ميلدريد قد تزوجت وهى فى أواخر الثلاثينات، ولكنها الآن أرمل. وكانت حقًا تبدو مثل الأرمل، فقد بدا عليها الاحترام والتحشم وقليل من البلادة، لم تكن ميلدريد امرأة تتمتع بأى جمال، بل إنها كانت قبيحة ذات وجه ضخم لا ترتسم عليه أى تعبيرات وكانت عيناها خاويتين، ورأت الآنسة ماربل أن ميلدريد كانت وهى صغيرة طفلة قبيحة للغاية.

قالت كارى لويس:"وهذا وولى هود، زوج جينا".

كان وولى شابًا ضخم البنيان، ذا شعر ينسدل على رأسه ووجهه، وقد بدا متجهم الوجه. أحنى رأسه محييًا الآنسة ماربل على نحو أحمق، وأخذ يلتهم الكعك، وهنا دلفت جينا بصحبة ستيفن ريستاريك، وكلاهما قد بدا عليه الابتهاج.

قال ستيفن:"جينا لديها فكرة رائعة بشأن خلفية المسرح. أتدرين يا جينا؟ إنك تتمتعين بحس عالٍ فيما يخص التصميم المسرحي!".

ضحكت جينا وهى سعيدة. دخل إيدجر لاوسون وجلس قرب لويس، وقد تظاهر بعدم الاهتمام عندما تحدثت إليه جينا.

رأت الآنسة ماربل أن هناك حالة من الارتباك فى الجو العام، وشعرت بالسعادة

للعودة إلى غرفتها، وأخذ قسط من الراحة بعد احتساء الشاى.

كان هناك على مائدة العشاء أشخاص آخرون، من بينهم الشاب مافيريك، والذى كان طبيباً نفسياً أو عالماً فى النفس ـ لم تعرف الآنسة ماربل الفرق بينهما ـ وكان حواره يحمل مصطلحات مهنية، فكان غير مفهوم بالنسبة لها. وكان هناك شابان أيضاً يرتدى كل منهما نظارة. لهما مكانة علمية مرموقة، وكان هناك أيضاً رجل يدعى باومجارتن، والذى يعمل مشرفاً على برنامج إصلاح الصبية من خلال تشغيلهم وإشراكهم فى العمل، وكان هناك كذلك ثلاثة فتيان ذوى وجوه محمرة للغاية، يمضون فترة أسبوع الاستضافة الخاص بهم. وقد همست جينا بأن أحدهم ـ صاحب الشعر الأشقر والعينين شديدتى الزرقة ـ خبير فى ضرب الناس.

لم تكن وجبة العشاء شهية، إذ لم يتم طهوها باهتمام، وكذلك لم يتم تقديمها باهتمام، كان الجالسون على المائدة يرتدون ملابس ذات أشكال متنوعة، كانت الآنسة بيلفر ترتدى قميصاً أسود ذا ياقة طويلة، وكانت ميلدريد ترتدى فستان سهرة ومن فوقه سترة صوفية، وارتدت كارى لويس ثوباً لونه رمادى ومصنوع من الصوف، أما جينا فقد تألقت، أما وولى فلم يغير ملابسه، وكذلك ستيفن ريستاريك، وأما إيدجر لاوسون فقد ارتدى حلة زرقاء اللون، وارتدى لويس سيروكولد السترة التقليدية التى يرتديها فى العشاء، ولم يأكل إلا القليل جداً، حتى إنه بدا وأنه لا يلاحظ ما فى الطبق الذى أمامه.

وبعد العشاء ذهب كل من لويس والدكتور مافيريك إلى مكتب دكتور مافيريك، أما المشرف على العلاج فذهب مع الصبية إلى المكان الخاص بهم، وقد ذهب الفتيان الثلاثة إلى الكلية، وذهبت جينا وستيفن إلى المسرح لمناقشة فكرة جينا حول خلفية خشبة المسرح، وظلت ميلدريد تعمل على نسج رداء غير معروف النوع، بينما كانت الآنسة بيلفر تعمل على إصلاح بعض الجوارب. وقد جلس وولى على كرسى، مائلاً إلى الخلف يحدق إلى الفراغ. وكانت كل من كارى لويس والآنسة ماربل تتحدثان عن ذكرياتهما، إلا أن حديثهما بدا خيالياً بعض الشيء.

بينما بدا إيدجر لاوسون، وحده، عاجزاً عن إيجاد دور يقوم به، كان يجلس ثم ينهض فى قلق وتوتر.

ثم قال بصوت مرتفع بعض الشيء:"أعتقد أنه يجدر بى الذهاب إلى السيد سيروكولد، فربما يحتاج إلىّ".

قالت له كارى لويس بلطف:"آه، لا أعتقد ذلك، فقد أراد التحدث فى بعض الأشياء مع دكتور مافيريك هذا المساء".

قال إيدجر:"بكل تأكيد لن أتدخل إذن! لن أذهب إلى مكان لست مرغوباً فيه، فبذهابى إلى المحطة اليوم أضعت ما يكفى من الوقت".

قالت كارى لويس:"لقد كان عليها أن تخبرك بذهابها، لكنى أعتقد أنها قررت الذهاب إلى هناك فى آخر لحظة".، وهكذا سارت الأمور وصار فى المنزل فتاتان صغيرتان تترعرعان، إحدى هاتين الفتاتين كانت جميلة محبوبة، والأخرى كانت دميمة وتبدو حمقاء، الأمر الذى رأته الآنسة ماربل طبيعياً أيضاً، وذلك لأن الناس عندما يفكرون فى كفالة طفلة فإنهم يختارونها جميلة، وعلى الرغم من أن ميلدريد كانت ربما تصبح شبيهة بعائلة أمها وترث عنهم جمالهم، فتكون جميلة مثل روث، وتتمتع برقة ونعومة كارى لويز، إلا أن العوامل الوراثية جعلتها شبيهة بعائلة أبيها جولبراندس، تلك العائلة التى تميزت بقبحها وبلادتها. علاوة على ذلك، كانت كارى لويز حريصة على ألا تشعر الطفلة التى كفلتها بالفرق أبداً بينها وبين ميلدريد، لدرجة أنها كانت تدلل بيبا على حساب ميلدريد.

وقد تزوجت بيبا وسافرت إلى إيطاليا، وهكذا ظلت بيبا الابنة الوحيدة فى المنزل لبعض الوقت، ولكن بيبا توفيت بعد ذلك، فأحضرت كارى لويز ابنتها جينا إلى ستونى جيتس لتعيش معها، وغادرت ميلدريد المنزل مرة أخرى. وتزوجت كارى لويز مرة أخرى واحتفظت بطفلى ريستاريك ليعيشا معها فى ستونى جيتس، وفى عام 1934 تزوجت ميلدريد من السيد كانون ستريت، وهو عالم الحضارات القديمة الذى يكبرها بنحو خمسة عشر عاماً، وسافرت ميلدريد مع زوجها لتعيش فى جنوب إنجلترا، وقالوا إنها كانت سعيدة، ولكن المرء لا يستطيع الجزم بذلك، فإن ميلدريد لم ترزق بأطفال، وتعود الآن لتعيش مرة أخرى فى نفس المنزل الذى تربت فيه، وهكذا ترى الآنسة ماربل أنها لم تكن سعيدة للعيش فيه مرة أخرى تماماً.

وأحب كل من جينا، وستيفن، وووللى ميلدريد والآنسة بيلفر وجود نظام محدد، ولكنهم لم يستطيعوا فرض ذلك النظام، أما لويس سيروكولد ـ وكما هو واضح ـ فقد كان سعيداً للغاية، فهو شخص مثالى، وقادر على ترجمة مُثُله إلى أفعال، ولم تجد الآنسة ماربل فى أى من هذه الشخصيات أى شىء مما أوحت به كلمات روث. فقد بدت كارى لويز فى مأمن، وبدت كذلك موجودة فى قلب الأحداث، كما كان شأنها طوال حياتها، فما الذى شعرت به روث، إذن، فى هذا الجو ووجدته خارجاً على المألوف ...؟ وهل تشعر بذلك جين ماربل أيضاً؟

ماذا عن باقى الأشخاص الآخرين الذين يقفون على هامش الأحداث أو الدوامة، والمشرف على العلاج، والمعلمين، والطبيب الشاب مافيريك، والفتية الثلاثة أصحاب الأوجه المتوردة والأعين البريئة ... وإيدجر لاوسون؟

وهنا، وقبل أن يغلبها النعاس، توقفت أفكار الآنسة ماربل لتفكر بتمعن فى شخصية إيدجر لاوسون، لقد ذكرها إيدجر بشخص ما، أو شيء ما، كان فيه شيء غير مألوف بالفعل قليلاً، ربما كان أكثر من مجرد مشكلة صغيرة، كان إيدجر يفتقر إلى الانسجام، نعم تلك هى العبارة التى تصفه تماماً، أليس كذلك؟ ولكن أليس من المؤكد أن ذلك لم ولن يستطيع أن يؤثر فى كارى لويز؟

استبعدت الآنسة ماربل ذلك من عقلها، فإن ما يقلقها كان شيئًا أكبر من ذلك.,

الفصل الخامس

فى صباح اليوم التالى راوغت الآنسة ماربل، بأسلوب لطيف، مضيفتها وخرجت إلى الحدائق، وعندما رأت الآنسة ماربل الحدائق رثت لحالها، حيث كانت تلك الحدائق فى يوم من الأيام مشروعًا رائعًا لزراعة شجيرات صغيرة للزهور، وكانت هناك أعشاب متساوية وكتل من النباتات، وأشجار صغيرة متجاورة على شكل سور يحوط الحديقة صار كل شيء مهملاً لدرجة كبيرة، فلم يتم قص الأعشاب الضارة التى تجهد الزهور حتى تستطيع النمو خلالها، وأهملت الممرات حتى صارت تكسوها الطحالب، وصارت مهملة تمامًا. وعلى الجانب الآخر فقد جاءت حدائق المطبخ المسورة بالطوب الأحمر مزدهرة. لقد تم الاعتناء بها جيدًا، وربما كان ذلك الاهتمام بسبب الفائدة العائدة منها، وقد تحول جزء كبير كذلك ـ مما كان، ذات يوم، أعشابًا وحدائق وزهورًا ـ إلى ساحات معزولة للعب التنس والبولينج .

أخذت الآنسة ماربل تنظر إلى الحواجز العشبية، وعبرت عن استيائها لما تراه، وانتزعت إحدى النباتات الضارة.

وحينما وقفت والعشب فى يدها، ظهر إيدجر لاوسون، وعندما رأى الآنسة ماربل توقف وتردد، ولم تكن الآنسة ماربل لتدعه يفلت منها؛ فنادته وحينما اقترب منها سألته عن مكان الأدوات الخاص بتهذيب الحدائق.

قال إيدجر على نحو يكتنفه الغموض:"إنه كان هناك بستانى يعمل هنا، وهو من يعرف أين مكانها".

قالت الآنسة ماربل:"إنه أمر مؤسف أن أرى الحواجز مهملة على هذا النحو، إننى أحب الحدائق كثيرًا". ونظرًا لأن الآنسة ماربل لم تكن لتدعه يذهب بعيدًا، ويفلت من قبضتها للبحث عن أدوات ليس لها فى الواقع أى أهمية بالنسبة لها، فهمت بسؤاله:"إن هذا كل ما تهتم به امرأة عجوز مثلى، وأعتقد أنك لا تزعج نفسك بشأن الحدائق يا سيد لاوسون. فإن لديك عملاً مهمًا وحقيقيًا تقوم به. وكذلك فإن لك دورًا مهمًا ومسئولاً لتؤديه مع السيد سيروكولد. ولابد أنك تجد أن عملك ممتع".

أجاب بسرعة إلى حد اللهفة:"نعم، إنه عمل ممتع".

"لاشك أن مساعدتك للسيد سيروكولد ذات فائدة عظيمة له".

قال متجهمًا:"لا أدرى، لست متيقنًا من ذلك، فالأمر له مغزى".

ثم صمت، فأخذت الآنسة ماربل تتفحصه بتدبر. وجدته شاباً نحيلاً وضئيل الحجم، تشفق عليه عندما تراه، وكان يرتدى سترة أنيقة ذات لون غامق، كان شاباً لا يلفت النظر إليه بشكل خاص فلا ينظر إليه المرء مرتين، أو حتى يتذكر المرء إن كان قد نظر إليه من الأساس.

كان هناك مقعد فى الحديقة، فتوجهت نحوه الآنسة ماربل وجلست، أما إيدجر فقد وقف أمام السيدة ماربل متجهماً.

قالت الآنسة ماربل بابتهاج:"إننى على يقين من أن السيد سيروكولد يعتمد عليك اعتماداً كبيراً".

قال إيدجر:"لا أدري، لا أدرى ذلك حقاً "، ثم تجهم وجلس إلى جوارها شارد الذهن، ثم قال:"إننى فى موقف صعب للغاية".

قالت الآنسة ماربل:"بالطبع".

جلس إيدجر محملقاً أمامه فى الفراغ.

ثم قال فجأة:"هناك أمر فى غاية السرية أريد أن أخبرك به".

قالت الآنسة ماربل:"بالطبع".

"لو أخذت حقوقي".

"نعم؟!".

"يمكننى إخبارك بهذا الأمر سيدتى. أنت لن تفشى هذا الأمر. إنى على يقين من ذلك، أليس كذلك؟"., "كلا، بالطبع لن أفعل". ولاحظت أنه لم ينتظر منها أن تؤكد له على ذلك؛ فاستمر قائلاً:"إن أبى ـ فى واقع الأمر ـ رجل مهم للغاية".

فى هذه المرة لم يكن هناك حاجة لقول أى شيء، فقد كان عليها الاستماع فقط .

"لا أحد يعرف ذلك فيما عدا السيد سيروكولد، فكما تعلمين، فربما إذا ما ذاعت هذه القصة يتهدد مركز والدى". ثم استدار نحوها، وابتسم ابتسامة حزينة وقال: "إننى ابن وينستون تشرشيل".

قالت الآنسة ماربل:"أوه ... فهمت!".

وقد فهمت بالفعل. لقد تذكرت الآنسة ماربل إحدى القصص المحزنة فى قرية سانت مارى ميد، والكيفية التى ذاعت بها تلك القصة وانتشرت.

واستمر إيدجر فى حديثه، وقد كان حديثه أشبه بأحد المشاهد المسرحية:"كانت هناك أسباب، فأمى لم تكن حرة فقد كان زوجها فى مصحة عقلية ـ ولم يكن من الممكن حصولها على الطلاق، ولم يكن أمر الزواج قابلاً للمناقشة، إنى لا ألوم والدى

حقًا، أو على الأقل، فهذا هو اعتقادى ... فقد قام أبى بكل شىء فى السر، فتلك هى عادته القيام بالأشياء فى السر. فى السر بالطبع. ومن هنا أثيرت المشاكل، فقد أصبح له أعداء. وقد تحولوا ضدى أنا أيضًا. وقد تمكنوا من تفريقنا عن بعضنا البعض. إنهم يراقبونني. إنهم يتجسسون على فى أى مكان أذهب إليه، ويحولون كل شيء ضدي".

هزت الآنسة ماربل رأسها فى أسف.

"يا عزيزى، يا عزيزي".

"لقد كنت أدرس فى لندن لأصبح طبيبًا، وقد تلاعبوا بأوراق اختباراتى، وبدلوا الإجابات. لقد أرادوا أن أرسب، وقد كانوا يقتفون أثرى فى الشوارع، وقاموا بالإيقاع بينى وبين السيدة صاحبة المنزل الذى كنت أسكن فيه، إنهم يطاردوننى فى كل مكان أذهب إليه".

قالت الآنسة ماربل فى محاولة لتهدئته:"أوه، ولكنك لا يمكنك التأكد تمامًا من ذلك".

"إننى أعرف ذلك! إنهم أشخاص غاية فى الدهاء. إننى لم أر أيًا منهم مطلقًا، ولا أستطيع اكتشاف مكانهم، ولكنى سأعرفه ... لقد جاء بى السيد سيروكولد من لندن لأعيش معهم هنا، لقد كان عطوفًا معى ـ عطوفًا للغاية، ولكننى ورغم وجودى هنا ـ لست فى مأمن. إنهم هنا كذلك. إنهم يعملون ضدي، ويتسببون فى كره الآخرين لى. إن السيد سيروكولد يقول إن ذلك ليس حقيقيًا. ولكن السيد سيروكولد لا يعرف الأمر، أو أنه ... إننى أتساءل! وفى بعض الأحيان تراودنى أفكار بأنه ... "، ثم توقف فجأة، ونهض.

وقال:"إن هذا الأمر سرى للغاية، أنت تتفهمين الأمر، أليس كذلك؟ ولكن إذا لاحظت أن هناك من يتبعنى أو يتجسس علىّ فاكشفى لى هويته!".

ثم انصرف، منكمشًا، ضئيلاً، مثيرًا للشفقة. راقبته الآنسة ماربل وتعجبت ...

وأتاها هاتف يقول:"هراء، إن هذا ليس إلا هراء".

ثم وجدت والتر هود يقف إلى جوارها، واضعًا كلتا يديه فى جيبه. وكان متجهمًا وهو يحملق متابعًا شبح إيدجر يبتعد .

قال:"أى نوع من الرفاق هو؟ إنهم جميعًا غير أسوياء، أكثرهم كذلك".

لم تنبس الآنسة ماربل ببنت شفة، فأردف هو:"هذا الشاب إيدجر ـ ما الذى تعتقدين بشأنه؟ إنه يقول إن والده هو لورد مونتجمرى، ولا أعتقد أن هذا ممكن بأى حال من الأحوال؛ ليس مونتجمرى بسبب كل ما سمعته عنه".

قالت الآنسة ماربل:"كلا، لايبدو ذلك ممكنًا".

"لقد أخبر جينا عن قصة مختلفة تماماً ـ بعض الهراء حول كونه وريث عرش روسيا. قال إنه ابن دوق كبير، يا إلهى، ألا يعرف هذا الفتى من هو والده الحقيقى؟".

"أعتقد أنه لا يدري، وهذه هى المشكلة".

جلس والتر إلى جوارها، مستلقياً بجسده على المقعد. وردد عبارته السابقة:"إنهم هنا جميعاً مجانين، غير أسوياء".، "ألا تحب تواجدك فى ستونى جيتس؟".

تجهم الشاب الصغير:"إننى لا أفهم أى شىء هنا يا سيدتى ـ هذا كل شىء. إننى لا أفهم أى شىء هنا. فكرى فى هذا المكان ـ هذا المنزل ـ طريقة الحياة كلها. إن هؤلاء الناس الذين يعيشون هنا أثرياء للغاية، لا يحتاجون إلى أى أموال لأن بحوزتهم الكثير والكثير منها. وانظرى إلى الطريقة التى يحيون بها، فإن مقتنياتهم صينية قد أصابتها الشروخ، وأكل عليها الدهر وشرب مختلطة بمقتنيات أخرى رخيصة وعادية، وكذلك أنهم ليس لديهم من الخدم هنا ما يليق بطبقتهم العليا ـ إنهم يقومون باستئجار بعض الخدم العاديين عندما يقتضى الأمر ذلك، وستجدين أن المفروشات والستائر وأغطية المقاعد جميعها مصنوعة من الستان وغيره من المواد الرديئة سهلة التمزق، وانظرى كيف أن أباريق الشاى الفضية الضخمة قد يتحول لونها إلى اللون الأصفر وكساها الصدأ من قلة تنظيفها، وانظرى إلى السيدة سيروكولد التى لا تهتم بنفسها، ولا بشىء حولها. انظرى إلى الثوب الذى كانت ترتديه ليلة أمس. كان ثوبها مقطوعاً من تحت إبطها، ويكاد يكون رثاً، على الرغم من أنها قادرة على الذهاب إلى أحد المتاجر وابتياع ما تشاء، من شارع بوند أو أى مكان آخر. هل الأمر متعلق بالمال؟ إنهم غارقون فى المال هنا".

صمت قليلاً ثم جلس .

وقال:"ليس هناك عيب فى أن يكون المرء فقيراً، فأنا أفهم معنى كون المرء فقيراً، ولكن عندما يتمتع المرء بالشباب والقوة ويكون لديه الاستعداد للعمل، فإنه يستطيع كسب الكثير من المال. إننى لم أمتلك أبداً الكثير من المال، ولكنى كنت على استعداد تام للعمل لتحقيق أهدافى، فعندما كنت أرغب فى فتح ورشة لإصلاح السيارات، فقد جمعت بعض المال، وتحدثت مع جينا فى الأمر. وقد استمعت إلىّ، وكان من الواضح أنها تفهمني. لم أكن أعرف الكثير عنها. عندما ترتدى الفتيات زياً موحداً يصبح بينهن تشابه كبير حقاً ـ فليس بوسع المرء من مجرد النظر إليهن معرفة أيهن ثرية وأيهن ليست كذلك، وقد لاحظت فى البداية أن جينا أعلى منى شأناً، ربما بسبب تعليمها، أو بأى سبب آخر، إلا أن ذلك لم يشكل عائقاً بيننا. فقد وقع كل منا فى حب الآخر، وتزوجنا. فقد كان لدىّ مبلغ من المال، وكذلك كان بحوزة جينا بعض المال كما أخبرتني، وقد أراد كلانا ـ لدى العودة إلى أرض الوطن ـ تأسيس محطة للوقود هناك، وكانت جينا مستعدة لذلك، فقد كنا مجرد مراهقين وقعا فى حب بعضهما البعض، وبعد ذلك بدأت الخالة جينا المتسلطة فى إثارة المشكلات ... وأرادت جينا القدوم إلى

هنا؛ إلى إنجلترا، حتى يتسنى لها رؤية جدتها، وقد بدا ذلك أمرًا طبيعيًا تمامًا وليس هناك مشكلة فيه، فهذا هو موطنها، وكذلك كنت متشوقًا للذهاب إلى إنجلترا ورؤيتها بعد أن سمعت الكثير عنها، وهكذا أتينا إلى هنا، وقد كنت أظن أن قدومنا إلى هنا سيكون مجرد زيارة.

تقطب وجهه حتى أصبح عابسًا، وأردف:

"ولكن الأمور لم تمض على هذا النحو، فقد أصبحنا عالقين فى هذا المكان الملىء بالمجانين. فتجدهم دائمًا يرددون، لماذا لا نبقى هنا ـ ويكـــون وطننـــا هنـــا؟ يقـــولون إن هنـــاك الكثـــير مـــن فـــرص العمـل هنـا .... أى فـرص عمـل؟! إننـى لا أرغـب فـى العمـل كبـائع حلـوى للصـبية ومساعدتهم على اللعب ... ما فائدة كل هذا؟ هذا المكان ممكن أن يكون رائعًا ـ رائعًا حقًا، ألا يدرك هؤلاء الأثرياء كم هم محظوظون؟ ألا يعرفون أن معظم الناس فى العالم لا يستطيعون الحصول على مكان رائع مثل هذا الذى بحوزتهم؟ أليس من الجنون أن تتخلى أنت عن الحظ عندما يكون حليفك؟ إننى لا أمانع فى العمل إذا كان ينبغى علىّ ذلك، ولكننى سأعمل بالأسلوب الذى يروق لى، وفى المجال الذى أحبه، وسوف أعمل لكى أصل إلى شيء ما، أو لأحقق شيئًا ما، إلا أن هذا المكان يجعلنى أشعر كما لو كنت عالقًا فى شباك عنكبوت، ولا أستطيع تخليص نفسى أو تخليص جينا من هذه الشباك. وقد تغيرت جينا نفسها، ولم تعد نفس الفتاة التى تزوجتها بأمريكا. إننى لم أعد أفهمها، بل إننى لا أستطيع حتى التحدث معها. اللعنة!".

قالت الآنسة ماربل بأسلوب لطيف:

"إننى متفهمة تمامًا لوجهة نظرك".

رمقها والتر بنظرة سريعة.

"أنت الشخص الوحيد الذى تماديت معه فى الحديث على هذا النحو، لأننى أغلق فمى معظم الوقت كالأخرس. لاأدرى ما الشيء المميز فيك ـ فأنت إنجليزية، إنجليزية حقًا، ولكنك تذكرينني ـ على نحو ما ـ بعمتى بيتسى فى أمريكا".

"هذا لطيف حقًا".

أكمل وولى حديثه مفكرًا:"إنها تتمتع بعقل راجح، ولكنها نحيفة لدرجة تجعلك تتخيلين أن فى مقدورك أن تكسريها إلى نصفين، إلا أنهار أثبتت فى واقع الأمر أنها امرأة تتمتع بالقوة والصلابة، نعم أشهد بأنها كذلك".

ثم نهض.

قال لها معتذرًا:"آسف على تحدثى معك على هذا النحو". ولأول مرة رأته الآنسة ماربل وهو يبتسم. لقد كانت ابتسامته جذابة حقًا، وقد تحول وولى هود فجأة من

شخص غريب بشع إلى شاب وسيم جذاب، ثم أردف قائلاً:"لقد أردت التنفيس عما يختلج بصدري، وآسف أنى أثقلتك بأحزانى".

قالت الآنسة ماربل:"على الرحب والسعة يا عزيزي، إن لى ابن أخ وحيداً، ولكنه بالطبع أكبر منك بكثير".

وذهب عقلها للحظات إلى الكاتب الجديد المحنك ريموند ويست. كم كان متناقضاً للغاية مع والتر هود.

قال والتر هود:"هناك صحبة جديدة فى طريقها إليك، إنها تلك السيدة التى لا تحبنى، لذا، فسوف أنسحب. إلى اللقاء يا سيدتي. أشكرك على هذا الحديث".

انصرف مبتعداً ونظرت الآنسة ماربل إلى ميلدريد ستريت وهى تقترب لتنضم إليها.

2

قالت السيدة ستريت وهى متقطعة النفس على نحو ما بينما تجلس على المقعد:"أرى أنك وقعت ضحية هذا الشاب البشع. يالها من مأساة!".

"مأساة؟!".

"أعنى زواج جينا منه. كل ذلك كان نتيجة لذهابها إلى أمريكا. لقد أخبرت أمى فى ذلك الحين أن إرسالها لأمريكا كان قراراً غير حكيم بالمرة، فرغم كل شىء، إن هذه المقاطعة هادئة تماماً، إننا لم نتعرض لأى غارات هنا. كم أبغض استسلام الناس لخوفهم وفزعهم المبالغ فيه على أسرهم. وعلى أنفسهم، أيضاً، فى أغلب الأحيان".

قالت الآنسة ماربل وهى تفكر:"لابد وأنه كان من الصعب على المرء أن يحدد ما يجب عليه فعله، أعنى عندما يتعلق الأمر بأطفاله، فمع احتمالات وقوع غزو من ألمانيا لإنجلترا، فإن ذلك يعنى تربيتهم فى ظل نظام ألماني، هذا بالإضافة إلى خطر القنابل".

قالت ميلدريد:"كل هذا هراء. لم يكن لدى أدنى شك بأننا سننتصر، ولكن أمى دائماً كانت تتصرف بشكل غير عقلانى عندما يتعلق الأمر بجينا، فقد كانت هذه الفتاة مدللة دائماً وقد أفسدها ذلك التدليل. لم يكن هناك أى داعٍ لإبعادها عن إيطاليا من البداية".

"إن والدها لم يمانع على حد علمي، أليس كذلك؟".

"أوه، سان سيفيريانو! فأنت تعلمين طبيعة الإيطاليين، لا يهتمون بشيء سوى المال، فقد تزوج بيبا من أجل أموالها بالطبع".

"يا إلهى، وقد ظننت دائماً أنه كان مخلصاً لها، وأنه حزن حزناً شديداً لموتها".

"لقد تظاهر بذلك بلاشك، لا أعرف كيف شجعت أمى زواجها من رجل أجنبي،

أعتقد أنه بسبب الشغف الأمريكى المعتاد بالألقاب".

قالت الآنسة ماربل بهدوء:"لطالما كنت أعتقد أن عزيزتى كارى لويز لا تهتم مطلقاً بالأمور المادية".

"أوه. أعلم ذلك وقد نفد صبرى معها تماماً؛ فهذه هى مبادئها ومشاريعها وابتكاراتها المثالية التى تعيش فيها. ليس لديك أدنى فكرة، يا عمة جين، عما يعنيه كل ذلك. إننى أتحدث عن معرفة ويقين، فقد تربيت وسط كل ذلك".

عندما سمعت الآنسة ماربل ميلدريد تناديها بالعمة جين، تسبب لها ذلك فى صدمة بسيطة. ولكن كانت هذه هى العادة فى تلك الأيام؛ فالهدايا التى كانت ترسلها لأطفال كارى لويز كان يكتب علها دوماً "مع حب العمة جين "، وبالتالى، فقد كانوا دوماً يذكرونها باعتبارها "العمة جين "هذا عندما كانوا يفكرون فيها من الأساس، وقد اعتقدت الآنسة ماربل أن مسألة تفكيرهم فيها تلك لم تحدث كثيراً.

نظرت الآنسة ماربل بتمعن إلى المرأة ـ التى فى منتصف عمرها ـ الجالسة إلى جوارها. نظرت إلى فمها الصغير المنكمش، وإلى الخطوط العميقة الهابطة من أنفها إلى أسفل، وإلى يديها الممسكتين ببعضهما البعض ., قالت بلطف:"لابد أنك عشت طفولة قاسية".

نظرت ميلدريد ستريت نحوها فى شغف بعينيها الممتنتين، وقالت:"أوه، أنا سعيدة لأن هناك من يقدر هذا، إن الناس لا يعرفون حقاً ما يمر به الأطفال. إن بيبا كما علمت كانت فتاة جميلة، وقد كانت أكبر منى أيضاً. لقد كانت هى دائماً من يحوز كل الانتباه والاهتمام، لقد شجعها كل من أبى وأمى على أن تفرض نفسها وعلى أن تزهو بنفسها ـ على الرغم من أنها لم تكن بحاجة إلى أى تشجيع لهذا الزهو، وقد كنت أنا الطفلة الهادئة، لقد كنت خجولة خجلاً لم تكن بيبا تعرفه. إن الطفل يمكن أن يعانى كثيراً يا عمتى جينا".

قالت الآنسة ماربل:"أعلم ذلك".

"لقد كانت بيبا دائماً تردد "إن ميلدريد حمقاء للغاية "، ولكنى كنت أصغر منها. فقد كان من الطبيعى أن تفوقنى فى الدروس. إنه من الظلم لطفلة أن توضع أختها الكبيرة أمامها دوماً فى مجال للمقارنة".

"لقد كان الناس دائماً يرددون عن بيبا "يا لها من طفلة رائعة"، إنهم لم يلاحظوا وجودى مطلقاً؛ فقد كانوا دائماً معتادين على اللعب والمزاح مع بيبا، لابد وأن أحدهم قد لاحظ كم كان ذلك صعباً علىّ. فقد كان كل الاهتمام والرعاية موجهين لها. لم أكن كبيرة بالقدر الكافى لأدرك أن الشخصية هى ما يهم".

ارتجفت شفتاها وقالت بصعوبة:"لم يكن هذا من العدل ـ لم يكن من العدل مطلقاً، لقد كنت طفلتهما من صلبهما، بينما كانت هى مجرد طفلة بالكفالة، لقد كنت أنا ابنة

أهل المنزل، بينما لم يكن لديها هى شىء من ذلك".

قالت الآنسة ماربل:"ربما كانا يبالغان فى تدليلها لهذا السبب".

قالت ميلدريد:"لقد أحباها أكثر مني"ثم أضافت:"وهى الفتاة التى رفضها والداها، وربما تكون طفلة غير شرعية".

وأكملت:

"وها هى جينا مثل أمها تمامًا، نفس صفات أمها. إن رابطة الدم هى السبب فى ذلك. يستطيع لويس أن يكفل ما يشاء من نظريات حول البيئة، وحول مدى تأثيرها على الأشخاص، إنها الوراثة، إن رابطة الدم هى ما يؤثر حقًا، انظرى إلى جينا لتتأكدى من صحة قولى فهى مثل أمها".

قالت الآنسة ماربل:"إن جينا فتاة لطيفة للغاية".

قالت ميلدريد:"ولكن، لا ينطبق ذلك على سلوكها، فجميع من فى المنزل، فيما عدا أمى، يلاحظون كيف أنها تحاول مغازلة وإيقاع ستيفن ريستاريك فى حبها. إنه أمر مقزز. أعترف أنها لم تكن موفقة فى زواجها، ولكن الزواج هو الزواج، وعلى المرء أن يكون مستعداً للالتزام به، فلم يجبرها أحد على زواجها، فإنها هى التى اختارت أن تتزوج من ذلك الشاب البشع فى نهاية الأمر".

"هل هو بشع إلى هذه الدرجة؟".

"أوه عزيزتى العمة جين! إنه يبدو لى تماماً رجل عصابات وهو معتد بنفسه لدرجة الوقاحة، مع أنه بالكاد يستطيع أن ينطق بأى شيء، ويبدو دائماً كالمعتوه ولا يتمتع باللياقة".

قالت الآنسة ماربل بهدوء:"إنه غير سعيد على حد اعتقادي".

"لا أدرى حقًا، وما الداعى لذلك ـ أعتقد أن جزءاً من ذلك يرجع إلى سلوكيات جينا. لقد تم ترتيب كل شيء من أجله هنا. لقد اقترح لويس عليه أشياء عدة يمكنه القيام بها ليقوم بعمل مفيد. ولكنه يفضل عدم القيام بشيء".

ثم انفجرت قائلة:"هذا المكان غير معقول ـ غير معقول تماماً. إن لويس لا يفكر فى أى شيء سوى هؤلاء المجرمين الصغار البشعين. وأمى لا تفكر فى أى شيء سواه. فكل شيء يفعله لويس صحيح فى نظرها. انظرى إلى حال الحديقة وإلى الأعشاب الضارة التى نمت بها، انظرى إلى حال المنزل الذى لا يجرى فيه أى شىء على نحو صحيح. أعرف كم هو صعب هذه الأيام الحصول على خدم، ليس لأننا لا نملك ما يكفى من الأموال للحصول عليهم، ولكن لأنه ليس هناك من يهتم بذلك. فلو كان ذلك منزلى". ثم توقفت عن الكلام .

قالت الآنسة ماربل:"معذرة، علينا جميعاً مواجهة حقيقة أن الأمور مختلفة. إن هذه المبانى الضخمة تمثل مشكلة كبيرة، لابد أنه محزن بالنسبة لك، على نحو ما، أن تعودى لتجدى أن كل الأمور قد تغيرت كثيراً. هل تفضلين، حقاً، العيش هنا عن العيش فى منزل خاص, بك؟".

احمر وجه ميلدريد ستريت، وقالت:"هذا منزلى رغم كل شيء، لقد كان منزل أبى، لاشيء يمكن أن يغير هذه الحقيقة، ولدىّ حق فى العيش هنا إذا اخترت ذلك. وأنا أختار وأرغب فى ذلك. آه لو لم تكن أمى مستحيلة على هذا النحو! إنها ترفض حتى شراء ملابس مناسبة لها، إن ذلك يثير قلق جولى بدرجة كبيرة".

"كنت أود سؤالك عن الآنسة بيلفر".

"كم هو مريح وجودها هنا. إنها تعشق أمي، إنها معها منذ وقت طويل الآن ـ لقد أتت هنا منذ أيام جون ريستاريك. وأعتقد أنها خلال تلك المشكلة المحزنة تصرفت بشكل رائع، أعتقد أنك قد سمعت عن هروبه مع امرأة يوغسلافية بشعة، إنها امرأة كريهة بشكل لا يمكن تخيله، لم تكن تتمتع بأى أخلاق أو إخلاص، لقد تعاملت أمى مع هذا الموقف بهدوء، وطلقت منه بهدوء تام، مع أنها استمرت فى استضافة ابنيه هنا فى العطلات ـ لم يكن ذلك ضرورياً حقاً، كان من الممكن التعامل مع هذا الأمر بشكل مختلف، ولكن لم يكن من المعقول بالطبع ترك الولدين للذهاب إلى أبيهما ـ وإلى هذه المرأة سيئة الخلق. على أى حال فقد أتت بهما أمى إلى هنا ... وقد وقفت الآنسة بلفير معها فى كل شيء وكانت صامدة للغاية. أعتقد أنها تسهم فى جعل أمى أكثر بعداً عن الواقع العملى، لأنها تؤدى كل هذه الأشياء العملية بنفسها دون أن تشرك أمى فيها، ولكن لا أدرى ماذا كانت ستفعل أمى بدونها".

توقفت ثم قالت بصوت يحمل دهشة:"ها هو لويس، ياله من شيء غريب! إنه نادراً ما يأتى إلى الحديقة".

أتى نحوهما السيد سيروكولد بنفس أسلوبه المعهود بالتركيز على شيء واحد فقط. فقد بدا أنه حتى لا يلاحظ أن ميلدريد موجودة، لأن كل ما يشغل عقله هو الآنسة ماربل.

قال:"أنا آسف للغاية، لقد أردت أن أصطحبك فى جولة حول المؤسسة لأريك كل شيء؛ فقد طلبت منى كارولين ذلك، ولكن للأسف علىّ الذهاب إلى ليفربول. إنها قضية ذلك الصبى، وطرود مكتب بريد السكة الحديد. ولكن مافيريك سوف يأخذك إلى تلك الجولة، سوف يصل إلى هنا خلال دقائق قليلة. لن أعود حتى صباح الغد. سيكون من الرائع إذا أقنعناهم بعدم تقديم ذلك الصبى إلى المحاكمة".

نهضت ميلدريد ستريت وانصرفت. حتى أن لويس سيروكولد لم يلحظ انصرافها. كانت عيناه تحملقان بانتباه نحو الآنسة ماربل من خلف نظارته السميكة .

قال:"فكما تعلمين، غالبًا ما يخطئ القضاة فى حكمهم، فتراهم فى بعض الأحيان يكونون فى غاية القسوة، وفى أحيان أخرى يكونون فى غاية اللين، ولن يردع هؤلاء الصبية، إذا ما تم الحكم عليهم بمجرد بضعة أشهر قليلة سهلة الانقضاء، بل إن ذلك ربما يجعلهم يشعرون بنوع من الإثارة، وربما يتفاخرون بذلك أمام صديقاتهم. أما إذا صدرت عليهم أحكام قاسية بالسجن فلربما يجعلهم ذلك أكثر تفكيراً فى عاقبة ما يمكن أن يرتكبوه من جرائم، لأنهم، عندئذٍ سوف يدركون أن اللعبة التى قد يقدمون عليها لا تساوى العقاب الذى يمكن أن ينالوه، أو أنه كان من الأفضل عدم قضائهم فترة السجن من البداية، وبدلاً من السجن يمكن اللجوء إلى تدريبهم بشكل قائم على إصلاحهم أو تدريبهم تدريبًا بناء، كما نفعل هنا".

قاطعته الآنسة ماربل قائلة:"سيد سيروكولد هل أنت راضٍ عن السيد لاوسون؟ هل هو شخص طبيعي؟ "

ارتسم تعبير غير مريح على وجه لويس سيروكولد، وقال:"آمل ألا يكون قد حدثت له انتكاسة. ماذا كان يقول؟".

"لقد أخبرنى بأنه ابن وينستون تشيرشل وأنه ....".

"بالطبع، بالطبع. إنها نفس التصريحات المعتادة. أعتقد أنك خمنت أنه كان طفلاً غير شرعى، إنه شاب بائس مسكين، أصوله متواضعة للغاية، ولقد أتى إلى هنا بتوصية من إحدى الجمعيات فى لندن، حيث إنه كان قد اعتدى على رجل مدعيًا أن ذلك الرجل كان يتجسس عليه، وهو تصرف طبيعى فى مثل حالته، كما سيخبرك الدكتور مافيريك. لقد درست حالته .تنتمى والدة إيدجر إلى طبقة فقيرة معدمة وهى من بلايموث، أما والده فقد كان بحارًا وقد جمعت المصادفة بينه وبين أمه، حتى أنها لا تعرف اسمه، كم كانت قاسية حقًا تلك الظروف التى نشأ فيها ذلك الشاب، ثم بدأ يختلق القصص حول والده، ثم حول نفسه بعد ذلك. لقد كان يرتدى ملابس رسمية ويضع نياشين لم يحصل على أى منها بالطبع، وهذا كله طبيعى بالنسبة لحالته، ولكن مافيريك يرى أننا إذا منحناه الثقة بنفسه، فسوف يكون تطور حالته أمرًا مبشرًا، ولقد وليته بعض المسئوليات هنا، حيث حاولت أن أجعله يعلم أن ما يهم ليس جذور الرجل، ولكن المهم هو الشخصية التى يتحلى بها، وما هو حاله، وحاولت أن أجعله يثق فى قدراته الخاصة. ولقد تحسن تحسنًا ملحوظًا. وكنت سعيدًا به، والآن أنت تخبرينى بأنه ....".، توقف وهزّ رأسه فى أسف.

"ولكن، ألا يمكن أن يكون خطيرًا يا سيد سيروكولد؟".

"خطير؟ لا أعتقد أنه أظهر أى ميول انتحارية".

"لا أعنى الانتحار. فقد كان يتحدث معى عن أعداء، وعن أشخاص يضطهدونه. معذرة يا سيدى ولكن، أليس هذا مؤشرًا خطيرًا؟".

"لا أعتقد حقًا أن الأمر قد وصل لهذه الدرجة، ولكنى سأتحدث إلى مافيريك فى هذا الأمر، ولكن، إلى الآن، حالته كانت مبشرة للغاية".

نظر إلى ساعته.

"لا بد أن أذهب. آه، ها هى جولى العزيزة قادمة وسوف تهتم بك".

وصلت الآنسة بيلفر بسرعة وقالت:"إن السيارة عند الباب يا سيد سيروكولد. لقد اتصل الدكتور مافيريك من المؤسسة، وقد أخبرته بأننى سأُحضِر الآنسة ماربل إليه، وسوف يقابلنا عند البوابة".

"أشكرك، لا بد أن أذهب، أين حقيبتى؟".

"فى السيارة يا سيد سيروكولد".

انصرف لويس سيروكولد مسرعًا. قالت الآنسة بيلفر وهى تنظر إليه:

"فى يوم ما سوف يسقط هذا الرجل صريعًا فى مكانه. إن ما يفعله شىء يخالف الطبيعة البشرية، ألا يرتاح المرء؟ إنه لا ينام إلا أربع ساعات فقط فى الليلة".

"إنه يحرق نفسه من أجل قضيته".

"لا يشغل تفكيره فى الحياة مطلقًا شيء آخر سوى هذه القضية، ولا يشعر بضرورة الاهتمام بزوجته ورعايتها. فكما تعلمين يا آنسة ماربل أنها مخلوقة لطيفة ناعمة ـ ولابد أن يوليها أحدهم حبه ورعايته، ولكن ليس هناك شىء فى هذا البيت من يحظى بالاهتمام والرعاية سوى هؤلاء الصبية المتذمرين الذين يريدون العيش فى رغد بشكل غير شريف، ولا يهتمون ولو قليلاً بالعمل الحثيث والكسب، لماذا لا نفكر فى الأطفال الشرفاء الذين ينتسبون إلى عائلات شريفة؟ لماذا لا نفعل شيئًا من أجلهم؟ ألا تثير الأمانة اهتمام أشخاص متحمسين من نمط السيد سيروكولد والدكتور مافيريك وكل الأفراد الآخرين العاطفيين المتحمسين ممن يعيشون هنا، فعلى الرغم من أنى وإخوتى يا آنسة ماربل قد تربينا فى ظروف قاسية، إلا أننا لم يكن يسمح لنا بالتذمر أو الشكوى، إنه عالم هش سطحى .. إن هذا حال العالم فى هذه الأيام!".

كانتا قد اجتازتا الحديقة وعبرتا من البوابة، وعلى وشك الاقتراب من البوابة التى كانت على شكل قوس التى أقامها إيريك جولبراندسن من قبل؛ لتصبح مدخلاً للكلية التى قام بإنشائها، وهى عبارة عن مبنى بشع المنظر تم بناؤه من الطوب الأحمر.

خرج الدكتور مافيريك لاستقبالهما، وكما اعتقدت الآنسة ماربل تمامًا فقد بدا هذا الرجل فى مظهره غريبًا وغير طبيعى.

قال:"شكرًا لك يا آنسة بيلفر، والآن يا آنسة ... أوه، نعم يا آنسة ماربل. إنى على يقين من أن ما نفعله هنا سيثير اهتمامك. وأنك سوف تعجبين بأسلوبنا الرائع الذى نتبعه هنا. إن سيروكولد رجل يتمتع بالبصيرة والرؤية الثاقبة، وقد دعم عمليًا السيد جون ستيلول، وهو رئيسى السابق، وكان جون يعمل فى وزارة الداخلية وقد أحيل إلى التقاعد، لكنِ نفوذه كان أهم ما ساعدنا على القيام بهذا المشروع، والآن وقبل أى شيء، أريدك أن تَرَىْ بداية تعاملنا مع المشكلة. انظرى لأعلى ....".

نظرت الآنسة ماربل إلى أعلى لترى الكلمات التى تم حفرها على القوس أعلى المدخل:

استعيدوا الأمل يا من تدخلون إلى هنا.

"أليست تلك العبارة رائعة؟ أليست تلك هى العبارة الصحيحة؟ فإننا لا نريد توبيخ هؤلاء الصبية أو أن ننزل العقاب بهم؛ لأن العقاب والتوبيخ هو ما يتلهفون للحصول عليه أغلب الوقت؛ إننا نرغب فى أن يشعروا كم هم أفراد صالحون".، سألت الآنسة ماربل:"مثل إيدجر لاوسون؟".

"إن حالته مثيرة للاهتمام. هل تحدثت إليه؟".

قالت مصححة:"بل هو من تحدث إلىّ، ألا يمكن أن يكون مختلاً قليلاً؟".

ضحك دكتور مافيريك بابتهاج.

"إننا جميعًا مجانين يا عزيزتى "، وأضاف بينما يدعوها للدخول من الباب:"هذا هو سر الوجود، إننا جميعًا مجانين بدرجة ما".،

الفصل السادس

فى مجمل الأمر كان ذلك يومًا مرهقًا.

وفكرت الآنسة ماربل فى قرارة نفسها بأن الحماس المبالغ فيه قد يكون سببًا للشعور بالإرهاق، وقد شعرت على نحو غريب بعدم الرضا عن نفسها وردود أفعالها. وقد فكرت الآنسة ماربل كذلك فى أن هناك نمطًا أو ربما عدة أنماط مسيطرة على ذلك المنزل، ولكنها رغم ذلك لم تر أو تفهم طبيعة هذا النمط أو تلك الأنماط. إنها تركز كل التركيز على الشعور بالقلق الغامض الذى اعتراها من شخصية إيدجر لاوسون، ورغم غموض تلك الشخصية إلا أنها مثيرة للشفقة، أو ربما لا تستطيع الآنسة ماربل فقط أن تعثر فى ذاكرتها على شبيه لشخصيته.

رفضت بصعوبة فكرة مقارنة إيدجر لاوسون بالسلوكيات الغريبة لساعى البريد شارد الذهن السيد سيلكريك.

كـــان هنـــاك شـــيء خـــاطيء فـــى شـــخصية إيـــدجر لاوســـون ولكنـــها لا تســـتطيع تحـديد ماهيـة هـذا الخطـأ، لأنـه شـيء بعيـد عـن الحقـائق الملحوظة والمعترف بها، ولكن الآنسة ماربل لا تستطيع أن تفهم مطلقًا كيف أن هذا الخطأ يؤثر على صديقتها كارى لويز بشكل ما، ربما تؤثر مشاكل ورغبات الأشخاص على بعضها البعض بسبب تلك الحياة المضطربة فى ستونى جيتس، ولكن لا يمكن أن يؤثر أى من ذلك على كارى لويز، على حد اعتقاد الآنسة ماربل.

كارى لويز ... وفجأة أدركت الآنسة ماربل أنها وحدها من يناديها بهذا الاسم ... ربما تناديها روث بهذا الاسم أيضًا ولكنها غير موجودة الآن. فقـــد كـان زوجـها يـدعوها كـارولين، وكـانت الآنسـة بـيلفر تنادي‌ـها كـارا، وكـان سـتيفن ريس‌ـتاريك يـدعوها عـادة مـادونا، وكـان وولـى يدعوها بشكل رسمى سيروكولد، أما جينا فقدت اختارت أن تناديها بالجدة أو "جراندمام "التى هى مزيج بين كلمتين: الآنسة العظيمة والجدة.

هل تشير تلك الأسماء المختلفة التى يستخدمونها لمناداة كارولين لويز سيروكولد إلى شىء ما؟ هل كانت هذه الآنسة بالنسبة لهم جميعًا مجرد رمز، وليست شخصًا حقيقيًا؟

فى صباح اليوم التالى، عندما أتت كارى لويز ـ وهى تجر رجليها قليلاً ـ وجلست بالقرب من صديقتها على مقعد الحديقة وسألتها عما تفكر فيه، أجابت الآنسة ماربل

دون تردد: "أفكر فيك يا كارى لويز".

"ماذا عنى؟".

"كونى صادقة عينيها معى هل يوجد أى شيء هنا يثير قلقك؟".

"يثير قلقي؟ "ورفعت المرأة عينيها الزرقاوين المتسائلتين، وأردفت: "ولكن ماذا عساه أن يقلقنى يا جين؟".

أجابت الآنسة ماربل وعيناها تضيقان قليلاً: "حسنًا جميعنا لديه مخاوفه، فإننى أخشى مثلاً اليرقات المضرة بالنبات، ويقلقنى كذلك صعوبة خياطة الملابس الكتانية بشكل مناسب، وأيضًا عدم قدرتى على الحصول على السكر لصنع حلوى الفاكهة، أوه الكثير من الأشياء البسيطة، وإنه لمن غير الطبيعى ألا يكون لديك ما يثير قلقك على الإطلاق".

قالت الآنسة سيروكولد بغموض: "أعتقد أنه لابد وأن لدىّ مخاوف، أو أن هناك ما يقلقنى. فلويس يعمل بشكل مبالغ فيه، وستيفن ينسى تناول وجبته، وهو منهمك فى المسرح، وجينا غير عقلانية، ومتقلبة. ولكنى لست قادرة مطلقًا على تغيير الآخرين، ولا أستطيع أن أرى كيف يمكنك أن تغيرهم؛ لذا، فلن تكون هناك فائدة من القلق، أليس كذلك؟.

"إن ميلدريد ليست سعيدة أيضًا، أليس كذلك؟".

قالت كارى لويز: "أوه كلا، إن ميلدريد لم تشعر بالسعادة أبدًا، وحتى عندما كانت طفلة، فإنها لم تكن تشعر بالسعادة على النقيض من بيبا تمامًا التى كانت مشرقة دومًا".

قالت الآنسة ماربل: "ربما كانت هناك أسباب لشعور ميلدريد بالتعاسة؟!".

قالت كارى لويز بهدوء:, "هل لأنها غيورة؟ نعم أرى ذلك، لكن الناس ليسوا حقًا فى حاجة لسبب ليشعروا بما يشعرون به، ولكنهم ببساطة خلقوا على هذا النحو. ألا تعتقدين ذلك يا جين؟".

وهنا فكرت الآنسة ماربل لبرهة فى الآنسة مونكريف، والتى كانت بمثابة جارية لأم عجوز متسلطة ومستبدة، فقد كانت ابنتها المسكينة تحترق شوقًا للسفر حول العالم، واسترجعت فى ذهنها كيف غمرت الفرحة قريبة سانت مارى ميد عندما توفيت ودفنت الآنسة مونكريف، وأصبحت ابنتها حرة أخيراً، وصار لديها دخل جيد، وتذكرت الآنسة ماربل كيف أن الفتاة مونكريف، وبعد أن أصبحت حرة، وبدأت بالفعل أولى رحلاتها التى طالما اشتاقت إليها، لم تذهب إلى أبعد من بلدة هيريس المجاورة، إذ إنها قررت المرور قبل السفر لزيارة صديقة من أقدم صديقات والدتها، وهناك وعندما رأت صديقة أمها تأثرت تأثيراً شديداً لمرض هذه

الآنسة العجوز، لدرجة جعلتها تلغى كل حجوزات سفرها، وتقيم فى دار الآنسة العجوز لكى يتم استعبادها من جديد من خلال اضطلاعها بأعمال هذه الآنسة لتتوق الفتاة بحزن ـ مرة أخرى ـ إلى مباهج الحياة التى حرمت منها".

قالت الآنسة ماربل: "أعتقد أنك محقة فى ذلك يا كارى لويز".

"إن بعدىِ عن الهموم يعود جزئيًا بالطبع إلى جولى. لقد أتت إلىّ عندما كنت أنا وجونى حديثَىْ الزواج، وقد ظهر لى كم هى فتاة رائعة من بداية قدومها، لقد أخذت فى الاعتناء بى وكأننى طفلة لا حيلة لى، فقد كانت تفعل أى شىء أطلبه منها، لدرجة أننى كنت أشعر بالخجل من ذلك فى بعض الأحيان. إننى أومن حقًا بأن جولى ستقتل شخصًا ما من أجلى يا جين. أليس هذا أمرًا فظيعًا؟".

وافقتها الآنسة ماربل: "إنها بالتأكيد مخلصة حقًا".

ضحكت كارى لويز، وقالت: "إنها تكون ساخطة على أحيانًا. فهى تريدنى أن أشترى ملابس جميلة، وأن أعيش فى رغد وفى مظاهر الترف. وترى أنه على الجميع أن يضعونى فى بؤرة اهتماماتهم وأن يخدمونى ويطيعونى، وأنها كذلك الإنسان الوحيد الذى لم يكترث ولم يتأثر بالحماس الذى يظهره لويس لمشروع إصلاح الأحداث الذى يديره، فإنها لا ترى هؤلاء الأحداث البائسين سوى مجموعة من الصبية المجرمين الفاسدين والذين نعمل على تدليلهم، وأنها ترى كذلك أنهم لا يستحقون ذلك الجهد الذى نبذله فى إصلاحهم، وهى ترى أن هذا المكان رطب وسيئ ولا يصلح أن أعيش فيه خاصة وأنا أعانى من مرض الروماتيزم، وأن على الذهاب إلى مصر أو أى مكان آخر، دافئ وجاف".

"وهل تعانين من الروماتيزم بدرجة كبيرة؟".

"لقد تفاقم المرض لدىّ مؤخرًا، لدرجة أننى أجد صعوبة فى المشى، تداهم رجلى تشنجات شديدة. أوه، حسنًا ...". ثم ابتسمت ابتسامة ساخرة، وقالت: "إنه العمر يا عزيزتى".

خرجت الآنسة بيلفر من الباب المفضى إلى الحديقة، واتجهت مسرعة نحوهما.

"وصلتنا برقية يا كارا، لقد أبلغونا إياها بالهاتف يقول محتواها: "يصل اليوم بعد الظهر كريستيان جولبراندسن".

بدت كارى لويز مندهشة تمامًا وقالت: "كريستيان؟ لم أكن أعرف أنه فى إنجلترا".

قالت الآنسة بيلفر: "هل علىّ إعداد الجناح المكون من الخشب البلوط؟".

"نعم، وبذلك لن يضطر إلى استعمال السلم".

هزت الآنسة بيلفر رأسها موافقة، ثم عادت أدراجها إلى المنزل.

قالت كارى لويز: "كريستيان جولبراندسن هو ابن زوجى السابق، إنه الابن الأكبر لإيريك، وهو يكبرنى بعامين. إنه أحد المسئولين عن المعهد، بل إنه المسئول الأول، إنه لشىء مزعج حقًا غياب لويس وعدم تواجده بالمنزل، إن كريستيان لا يمكث تقريبًا هنا أكثر من ليلة واحدة فقط، فإنه مشغول فى أعماله بدرجة كبيرة، ولابد أن هناك الكثير من الأمور التى ينبغى أن يناقشها مع لويس".

وصل كريستيان جولبراندسن فى ظهيرة ذلك اليوم فى وقت احتساء الشاى، وقد كان رجلاً ضخمًا، له ملامح ضخمة ويتحدث بطريقة بطيئة ومنهجية، وقد حيا كارى لويز بطريقة ودودة، قائلاً: "كيف حال العزيزة كارى لويز؟ لايبدو عليك أنك كبرت يومًا واحدًا، لم تكبرى ولو يومًا واحدًا"., ثم نهض وهو يضع يديه على كتفيها، ويبتسم لها وهنا وجد يدًا تشده فجأة، من كمه، وقالت: "كريستيان!".

استدار وقال: "آه، إنها ميلدريد، كيف حالك يا ميلدريد؟".

"لم أكن على خير حال مؤخرًا".

"يا له من خبر سيئ".

كان هناك تشابه كبير بين كريستيان جولبراندسن وشقيقته من أبيه، ميلدريد. كان بينهما ثلاثون عامًا تقريبًا، ويسهل على المرء لهذا الفارق أن يراهما كوالد وابنته، وقد بدت ميلدريد سعيدة بشكل خاص بوصوله. فقد غمرها شعور بالحماس والفرحة، وكانت تثرثر كثيرًا، وكانت تردد بشكل متكرر طوال اليوم "أخى، أخى كريستيان، أخى السيد جولبراندسن".

التفت جولبراندسن نحو الآنسة الشابة وقال: "كيف حال جينا الصغيرة؟ أمازلت هنا، إذن، أنت وزوجك؟".

قالت جينا: "نعم لقد استقررنا هنا، أليس كذلك يا وولى؟".

قال وولى: "يبدو الأمر كذلك".

بدت عينا كريستيان جولبراندسن الصغيرتان الحادتان كأنهما تنظران إلى وولى بسرعة، حيث بدا كعادته متجهمًا.

قال كريستيان: "هأنذا مجتمع مع كل أفراد العائلة مرة أخرى".

ظهرت فى صوته بشاشة ملحوظة، ولكن الحقيقة أن الآنسة ماربل لم تعتقد أنه كان يشعر بسعادة حقيقية، فقد كانت ترتسم على وجهه علامات التجهم، وكان أسلوبه وتصرفاته تشى بأن هناك ما يشغله.

وعندما تم تقديمه إلى الآنسة ماربل رمقها بنظرة فاحصة وكأنه يزن ويقدر

الزائرة الجديدة.

قالت السيدة سيروكولد: "لم يكن لدينا فكرة أنك كنت فى إنجلترا يا كريستيان".

"كلا، لقد أتيت إلى هنا بشكل غير متوقع".

"من المؤسف أن لويس ليس هنا. كم ستبقى هنا؟".

"سوف أنصرف غداً. متى سيعود لويس؟".

"غداً، أو فى المساء بعد الظهر".

"يبدو أننى لابد وأن أنتظر ليلة أخرى".

"لو أنك أخبرتنا فقط".

"يا عزيزتى كارى لويز، إنها أعمالى، لقد تم الترتيب لقدومى فجأة".

"هل ستبقى حتى تلقى لويس؟".

"نعم لابد وأن أراه".

قالت الآنسة بيلفر للآنسة ماربل: "إن كريستيان جولبراندسن والسيد سيروكولد كليهما مسئولان عن معهد جولبراندسن، بينما المسئولان الآخران هما أسقف روما والسيد جيلفوى.

كان من المفترض أن يكون حضور كريستيان جولبراندسن من أجل إدارة أعمال معهد جولبراندسن. لابد أن هذا هو ما تعتقده الآنسة بيلفر والآخرون، إلا أن الآنسة ماربل لم تكن مطمئنة لهذا.

لقد وجه كريستيان العجوز نظرة حائرة إلى كارى لويز مرة أو اثنتين، فى حين لم تكن كارى منتبهة له، تلك النظرات التى حيرت صديقة كارى التى كانت تراقب كل شىء حولها وهى جالسة. وقد حول نظراته بين جميع الجالسين بشكل غير مباشر متفحصاً إياهم بنظرة فاحصة غريبة., وبعد الانتهاء من تناول الشاى، تملصت الآنسة ماربل من بين الحاضرين وذهبت إلى المكتبة. وقد أدهشها ـ عندما ذهبت وجلست وأخرجت أدوات الحياكة ـ أنها وجدت أن كريستيان أتى وجلس إلى جوارها.

قال: "أنت صديقة قديمة لعزيزتنا كارى، أليس كذلك؟".

"لقد كنا معاً فى المدرسة فى إيطاليا يا سيد جولبراندسن منذ سنوات عديدة مضت".

"نعم وأنت تحبينها؟".

أجابت الآنسة ماربل بحرارة: "نعم بالفعل".

"نعم أعتقد أن كل فرد هنا مفتون بها. نعم إننى أعتقد ذلك حقًا، يجب أن يكون الأمر كذلك. فهى امرأة عزيزة وساحرة حقًا. لقد كنا نحبها دومًا أنا وإخوتى منذ زواجها من والدى، فقد كانت بالنسبة لنا بمثابة أخت غالية علينا، وقد كانت زوجة مخلصة لأبى، ومتبنية لكل أفكاره أيضًا، لم تفكر فى نفسها مطلقًا، تفكر فى الآخرين ومصالحهم وتجعل مصالحهم قبل أى شىء".

قالت الآنسة ماربل: "لقد كانت دائمًا امرأة مثالية".

"مثالية؟ نعم. نعم، هذا حقيقى، وربما هى، لهذا السبب لا تستطيع رؤية الشرور التى حولها فى العالم".

نظرت الآنسة ماربل إليه مندهشة، فقد كان وجهه متجهمًا جادًا بشدة.

ثم سألها: "أخبرينى، ماذا عن صحتها؟".

ومرة أخرى شعرت الآنسة ماربل بالدهشة، وقالت: "تبدو لى فى أطيب حال ـ وذلك بعيدًا عن التهاب المفاصل أو الروماتيزم".

"الروماتيزم؟ نعم، وماذا عن قلبها؟ هل قلبها فى حالة جيدة؟".

قالت الآنسة ماربل، بينما لا تزال الدهشة تعتريها: "فى حالة جيدة على حسب علمى، ولكنى حتى أمس لم ألتق بها منذ وقت طويل. فإذا كنت ترغب فى معرفة حالتها الصحية فعليك أن تسأل أحد الموجودين معها فى المنزل؛ الآنسة بيلفر على سبيل المثال".

"الآنسة بيلفر. نعم، ربما أسأل الآنسة بيلفر أو ميلدريد".

"نعم، كما قلت، الآنسة ميلدريد".

شعرت الآنسة ماربل بقليل من الإحراج، حيث كان كريستيان جولبراندسن يحملق فيها بشدة، ويقول: "ليس هناك عاطفة كبيرة بين الأم والابنة، أليس كذلك؟".

"كلا لا أعتقد ذلك".

"نعم، إنه أمر مؤسف، إنها ابنتها الوحيدة، ولكن هذا هو الواقع، هل تعتقدين أن الآنسة بيلفر حقًا تحب كارى لويز ومخلصة لها بالفعل؟".

قالت الآنسة ماربل: "نعم، للغاية".

"وهل تعتمد كارى لويز على الآنسة بيلفر هذه؟ "

"أعتقد ذلك".

قال كريستيان وهو متجهم، وكأنه يتحدث إلى نفسه وليس للآنسة ماربل: "هناك جينا الصغيرة ـ ولكنها صغيرة للغاية، يا له من أمر صعب ـ "، ثم توقف برهة وقال بعدها بهدوء: "يصعب على المرء فى بعض الأحيان أن يحدد الخيار الصحيح الذى يجدر به اتخاذه. إننى حريص كل الحرص على ألا يصيب عزيزتى كارى أى مكروه أو أن تشعر بالحزن، ولكن ليس الأمر بهذه السهولة، بل إنه ليس سهلاً بالمرة".

دلفت الآنسة ستريت إلى الحجرة فى هذه اللحظة.

"أوه، هأنذا يا كريستيان، لقد كنا نبحث عنك. يرغب الطبيب مافيريك أن يعرف ما إذا كنت ستراجع أى شىء معه"., "هل هو الطبيب الجديد هنا، كلا ـ كلا سأنتظر حتى عودة لويس".

"إنه ينتظر فى غرفة لويس ـ هل أخبره بأن ـــ".

"سأتحدث إليه بنفسى".

خرج جولبراندسن مسرعًا. تابعته الآنسة ميلدريد محملقة إليها بعينيها، ثم نظرت إلى الآنسة ماربل، وقالت:

"أتساءل عما إذا كان هناك ما يسوء. إن كريستيان لا يبدو فى حالته الطبيعية ... هل قال أى شىء ـــــ".

"لقد سألنى فقط عن صحة والدتك".

"صحتها؟ لماذا عليه أن يسأل عن هذا الأمر؟".

كانت ميلدريد تتحدث بحدة، وقد احمر وجهها المربع الضخم.

"لا أدرى سبب ذلك حقًا".

"إن أمى تتمتع بموفور الصحة، وهذا أمر مدهش بالنسبة لامرأة فى مثل سنها، وإن لم أكن أبالغ، أرى أن صحتها أفضل من صحتى أنا". توقفت لحظة قبل أن تقول: "أتمنى لو أنك قد أخبرته بذلك".

قالت الآنسة ماربل: "لا أعرف شيئًا حقًا عن ذلك، لقد سألنى عن حالة قلبها".

"عن قلبها؟".

"نعم".

"ليس هناك ما يسوء بشأن قلب أمى، لا شىء على الإطلاق".

"إننى سعيدة لسماع ذلك منك يا عزيزتى".

"من الذى أدخل إلى رأسه هذه الأفكار الغريبة؟".

قالت الآنسة ماربل: "ليس لدى أدنى فكرة".

الفصل السابع

مر اليوم التالى ولم يحدث فيه أى شىء مميز، وعلى الرغم من أنه كان يوماً عادياً، إلا أن الآنسة ماربل كانت فى أعماقها تشعر بالتوتر. ظل كريستيان جولبراندسن مع دكتور مافيريك طوال فترة الصباح، حيث أخذ يتجولان فى المعهد، ويتناقشان حول نتائج السياسة العامة للمعهد، أما فى بداية فترة الظهيرة فقد أخذته جينا فى جولة بالسيارة، وقد لاحظت الآنسة ماربل أن كريستيان قد أقنع الآنسة بيلفر بأن تذهب معه إلى حدائق المنزل بحجة أن تريه شيئاً ما، وقد رأت الآنسة ماربل أن كل ما أراده كريستيان من ذلك هو إيجاد حجة ليتحدث وجهاً لوجه مع الآنسة بيلفر متجهمة الوجه؛ مما جعل الآنسة ماربل تسأل نفسها، إذا ما كان كريستيان قد أتى إلى هنا بشكل مفاجئ فى أمر له علاقة بالعمل، فلماذا يحاول إذن الانفراد بالآنسة بيلفر، والتى ليس لها علاقة إلا بالشئون المنزلية فى ستونى جيتس فقط؟

ولكن، وفى خضم كل ذلك، كانت الآنسة ماربل تحاول إقناع نفسها بأن خيالها قد ذهب إلى بعيد. ولكن الشىء الوحيد الذى خلف لديها شعوراً بالقلق، والذى عكر صفو ذلك اليوم، وقع فى حوالى الرابعة ظهراً. كانت الآنسة ماربل قد وضعت أدوات الحياكة جانباً، وخرجت لتأخذ جولة قصيرة قبل احتساء الشاى، وبينما كانت تدور فى الحديقة حول شجرة ورد بدت غير متساوية فى طريقة نموها إذ وجدت أمامها إيدجر لاوسون يمشى وهو يدندن مع نفسه ولا يلاحظ ما حوله، وكان على وشك الاصطدام بها.

قال بسرعة: "عفواً إننى آسف". ولكن الآنسة ماربل تعجبت بسبب التعبير الغريب المرتسم فى عينى إيدجر.

"ألا تشعر بأنك بخير يا سيد لاوسون؟".

"بخير، وكيف لى أن أشعر بأننى بخير، لقد مررت بصدمة، صدمة فظيعة".

"صدمة من أى نوع؟".

نظر الشاب من خلف الآنسة ماربل نظرة سريعة، ثم نظر نظرة خاطفة وقلقة على كلا الجانبين وكأن هناك من يتلصص عليهما، وقد أدى تصرفه هذا إلى توتر الآنسة ماربل.

"هل يجب علىّ إخبارك؟ "، ثم نظر إليها نظرة متشككة وأردف: "لا أدرى، لا أدرى

حقًا، فقد كنت تحت رقابة مشددة".

استخدمت الآنسة ماربل ذكاءها، فأمسكت بذراعه فى قوة، وقالت:

"إذا تمشينا فى هذا الممر ... هناك ... الآن، ليس هناك أى أشجار أو أغصان به، فلا يمكن لأحد أن يتلصص علينا هناك، فأين عساه أن يختبئ؟".

قال، وقد أخذ نفسًا عميقًا: "صحيح، صحيح. معك الحق". ثم أحنى رأسه نحوها، وبدا وكأنه يهمس إليها: "لقد اكتشفت شيئًا ما، شيئًا فظيعًا".

وبدأ صوت إيدجر لاوسون يرتعد، وكان حديثه أقرب إلى البكاء.

"كيف أستطيع أن أثق فى شخص ما! أو أن أصدقه؟ لقد كان هذا كله كذبًا، كان الأمر كله كذبًا ... يهدف إلى إثنائى عن الوصول إلى الحقيقة. لا أستطيع تحمل ذلك. إنه أمر فى منتهى الشر. أتعلمين؟! لقد كان الشخص الذى وضعت به ثقتى، وبعد كل هذا الوقت، قد اكتشفت أنه لم يكن جديرًا بهذه الثقة. لقد كان هو عدوى! لقد كان هو المسئول عن مطاردتى والتجسس علىّ، لكنه لن يستطيع أن يهرب بفعلته بعد الآن. سوف أواجهه وأفضح أمره، سوف أخبره بأننى أعرف ما كان يفعله".

سألت الآنسة ماربل: "من هو ذلك الشخص؟".

وقف إيدجر منتصبًا. كان من المفترض أن يبدو ذا هيبة مع وقفته تلك، ولكن مظهره فى واقع الأمر بدا سخيفًا.

"إننى أتحدث عن والدى".

"هل تعنى الكونت مونتجمرى ... أم ونستون تشيرشل؟"., رمقها إيدجر بنظرة ازدراء. وقال: "هذا هو ما أرادونى أن أعتقده لإبعادى عن الحقيقة. ولكنى توصلت إليها الآن، لقد أصبح لى صديق الآن، صديق وفىّ وصدوق حقًا ... صديق يضع الحقائق أمامى، ويكشف لى كيف قام والدى بخداعى ... علىّ أن أنهى هذا الأمر مع والدى ... سألقى بأكاذيبه فى وجهه ... سوف أتحداه بما أعرف من حقائق، وسوف نرى ماذا سيقول بشأن ذلك".

ثم توقف إيدجر فجأة وهرع مسرعًا ليختفى فى الحديقة.

عادت الآنسة ماربل إلى المنزل وكان وجهها متجهمًا.

لقد ذكر لها دكتور مافيريك أن الناس جميعًا يعانون قدرًا ما من الجنون.

ولكن بدا لها ـ بالنسبة لحالة إيدجر ـ أن الموضوع أعمق من ذلك.

2

عاد لويس سيروكولد فى السادسة والنصف. أوقف سيارته عند البوابات، ومضى

مترجلاً عبر الحديقة. ورأت الآنسة ماربل عبر نافذتها أن كريستيان جولبراندسن قد خرج للقائه، وبعد أن حيا الرجلان بعضهما البعض أخذا يذرعان الشرفة الأمامية جيئة وذهاباً.

كانت الآنسة ماربل قد أحضرت معها منظارها المكبر، الخاص بمراقبة الطيور، وها هى الآن ستجعل لمنظارها المكبر فائدة، فهل هناك سرب من طيور السيسكين على الشجرة أم لا؟

وقد لاحظت أن الرجلين قد بدا عليهما القلق البالغ. مالت الآنسة ماربل إلى الأمام قليلاً، حيث كان يتناهى إلى سمعها بين الحين والآخر مقتطفات من الحديث، ولو أن أحدهما رفع عينيه لأعلى بالمصادفة، لبات واضحاً له أنها مجرد امرأة شديدة الاهتمام بالطيور، وتركز فى نقطة بعيدة تماماً عن الحديث الدائر بينهما.

كان كريستيان يقول:"... كيف نبعد كارى لويز عن معرفة؟".

وفى المرة التالية، عندما كانا يمران تحتها، كان لويس هو المتحدث.

"... لو نستطيع إخفاء الأمر عنها. أتفق معك على أنها الشخص الذى ينبغى التفكير فيه ـــ".

وتناهى إلى مسامعها عبارات ضعيفة أخرى "ـــ إنه أمر خطير ـــ "، "ليس له مبرر ـــ "، "إنها مسئولية كبيرة ـــ "، "ـــ ربما علينا أن نطلب مشورة خارجية".

وفى نهاية الأمر سمعت الآنسة ماربل كريستيان جولبراندسن يقول:

"إذا كنت تشعر بالبرد فهيا بنا إلى داخل البيت".

أدخلت الآنسة ماربل رأسها من النافذة وارتسمت على وجهها الحيرة. لا يمكن ترتيب ما سمعته بسهولة لمعرفة الأمر، حيث كانت مجرد عبارات متناثرة، ولكن ذلك بالطبع أكد لها شعورها الغامض الذى كان يتزايد داخلها بوجود مشكلة ما، المشكلة التى أحست بها فان رايدوك وكانت على يقين من وجودها. وأياً ما كان الأمر الغريب، غير المألوف الذى يحدث فى منزل ستونى جيتس، فإنه سوف يؤثر، على كارى لويز بالتأكيد.

3

فى ذلك اليوم بدت وجبة العشاء متكلفة ورسمية أكثر من المعتاد، فقد كان كل من جولبراندسن ولويس شاردى الذهن، وغارقين فى أفكارهما، وكان والتر هود محملقاً فى الموجودين أكثر من المعتاد، ولأول مرة بدا أن جينا وستيفن لم يكن لديهما الكثير لقوله لبعضهما البعض أو للصحبة التى معهما، أما الطبيب مافيريك فكان أكثر من حافظ على تسلسل الحديث الذى دخل فى مناقشة متخصصة مطولة مع السيد بومجارتين، أحد مسئولى علاج الأحداث من خلال إشراكهم فى العمل.

ذهب الجميع إلى الصالة بعد انتهائهم من تناول العشاء اعتذر كريستيان عن البقاء معهم متعللاً بأن لديه رسالة مهمة، عليه كتابتها.

"إذا سمحت لى، يا عزيزتى كارى لويز، سأذهب إلى غرفتى الآن".، "هل لديك كل ما تريد هناك؟ هل رتبت له كل شىء يا جولى؟".

قال كريستيان: "نعم، نعم، كل شىء معد. لقد طلبت منهم إحضار الآلة الكاتبة، وقد أحضروا لى واحدة. لقد كانت الآنسة بيلفر لطيفة معى ومتعاونة".

ثم غادر الصالة الكبرى من الباب الأيسر الذى يفضى إلى بداية سلم، ثم إلى ممر ينتهى بجناح يضم غرفة نوم، فيها حمام ملحق بها.

عندما ذهب قالت كارى لويز:

"ألن تذهبى الليلة إلى المسرح يا جينا؟".

هزت جينا رأسها بالنفى. ثم ذهبت وجلست بالقرب من النافذة المطلة على فناء المنزل والممشى.

نظر ستيفن إليها ثم مشى، حيث كان البيانو الضخم قابعًا. ثم جلس وأخذ يلعب على مفاتيحه برقة شديدة، مصدراً لحنًا قصيراً حزينًا. أما خبراء العلاج، السيد بومجارتين والسيد لاسى، ودكتور مافيريك فقد تمنوا للحاضرين ليلة سعيدة وغادروا، وقد قام والتر بإشعال مصباح الإضاءة، ولكن حدثت فرقعة قصيرة، انطفأت معها نصف الأضواء فى الصالة.

زمجر غاضبًا وقال: "هذا المفتاح اللعين متعطل دائمًا، سأذهب وأضع قابسًا جديداً".

غادر المكان، وتمتمت كارى لويز قائلة: "إن وولى ماهر جداً فى أعمال الكهرباء وما شابه، أتذكرين كيف أصلح ماكينة الخبز؟".

قالت ميلدريد: "يبدو أن ذلك هو كل ما يستطيع القيام به هنا. أمى، هل تناولت شرابك المقوى؟".

بدا الانزعاج على الآنسة بيلفر ثم هرعت قائلة: "لقد نسيت أمر هذا الشراب تماماً". خرجت خارج الغرفة ثم عادت، وفى يدها كوب صغير ممتلئ بسائل وردى اللون.

أخذت كارى لويز الكوب بيد مطيعة، وكان على وجهها ابتسامة خافتة.

بدا على وجهها الاشمئزاز وقالت: "إنه شراب شنيع، ولكن لا أحد يترك لى فرصة كى أتناساه".

وحينها قال لويس سيروكولد على نحو غير متوقع: "لا أعتقد أن عليك تناول هذا الشراب الليلة يا عزيزتى، لست واثقًا من أنه يناسب حالتك حقًا!".

وبهدوء أخذ الكوب من الآنسة بيلفر، ولكن ظهرت عليه نفس القوة المتوازنة التى يبدو دائمًا أنه يتمتع بها، ثم وضع الكوب على المائدة الضخمة.

قالت الآنسة بيلفر بحدة: "لا أوافقك على ذلك مطلقًا يا سيروكولد، فلقد تحسنت صحة السيدة سيروكولد منذ ـــ "، ثم صمتت فجأة واستدارت بحدة.

فقد صفع الباب الأمامى صفعة قوية على نحو جعله يرتطم ويتأرجح، دلف إيدجر لاوسون إلى الصالة الفسيحة ذات الإنارة الخافتة وكأنه ممثل شهير يظهر على خشبة المسرح بعد أن حقق نجاحًا ساحقًا، ثم وقف فى منتصف الصالة، وأخذ وقفة كان مظهره خلالها سخيفًا حقًا.

قال إيدجر بأسلوب مسرحى: "وأخيرًا قد عثرت عليك يا عدوِّى".

كان يتحدث إلى لويس سيروكولد، وقال:

لم تبد على سيروكولد دهشة كبيرة.

"لماذا يا إيدجر. ماذا حدث؟".

"هل تسألنى عما حدث، أنت! أنت تعرف ما حدث. لقد كنت تخدعنى وتتجسس علىّ، وتتحالف مع أعدائى ضدى".

سحبه لويس من ذراعه وقال: "والآن، اهدأ يا عزيزى، لا تزعج نفسك، أخبرنى عن هذا الأمر بهدوء. هيّا إلى مكتبي".

قاده عبر الصالة إلى باب فى اليمين، ثم أغلق الباب خلفهما، وبعد أن فعل ذلك، كان هناك صوت آخر، صوت حاد لمفتاح يدار فى القفل.، نظرت الآنسة بيلفر إلى الآنسة ماربل، فإن الفكرة ذاتها كانت تجول فى خاطرهما. لم يكن لويس سيروكولد من أدار المفتاح مغلقًا الباب.

قالت الآنسة بيلفر بحدة: "هذا الشاب على وشك أن يفقد صوابه، إنه لم يعد مأمون الجانب".

قالت ميلدريد: "إنه غير متزن بالمرة، وبالقطع جاحد لكل ما فعله الآخرون من أجله. عليك الاحتراس منه يا أمي".

تنهدت كارى لويز وغمغمت: "لا ضرر حقيقيًا منه. إنه متعلق بلويس، متعلق به للغاية".

نظرت الآنسة ماربل إليها بفضول وتعجب. فلم يكن هناك أى شىء فى الطريقة التى واجه بها إيدجر زوجها، منذ دقائق قليلة مضت ـ يدل على أنه متعلق به، فالأمر أبعد بكثير من ذلك، وتساءلت فى نفسها، كما تساءلت من قبل، ما إذا كانت كارى لويز تتعمد تجاهل الحقائق وإدارة ظهرها لها!

قالت جينا بحدة:

"إن معه شيئًا فى جيبه. أعنى فى جيب إيدجر، كان هناك شىء يعبث به".

تمتم ستيفن، وهو يتوقف عن العزف على البيانو: "فى الأفلام السينمائية، لابد وأن هذا الشيء مسدس".

سعلت الآنسة ماربل ثم قالت معتذرة: "أظن أنك على حق، لقد كان مسدسًا بالفعل".

من خلف الباب المغلق لحجرة مكتب لويس جاء صوت كل منهما مميزًا، ولكن الآن، فجأة، أصبح إيدجر لاوسون يصيح، بينما جاء صـوت لـويس محـافظًا علـى نبرتـه الـهادئة المعتـادة: "أك-اذيب، أك-اذيب، أك-اذيب، كل-ها أك-اذيب. أن-ت أب-ى، وأن-ا ابن-ك، ولق-د ح-رمتنى م-ن حقوقى، كان من حقى أن أمتلك هذا المكان. أنت تكرهنى. وتريد القضاء علىّ!".

كانت هناك تمتمة من جانب لويس لتهدئة إيدجر، أما الصوت الذى كان يتحدث بهستريا فقد بقى محافظًا على نبرته العالية، وأخذ يتلفظ بألفاظ بذيئة. وقد بدا أن إيدجر لم يعد قادرًا على التحكم فى نفسه، وصدر عن لويس كلمات بين الحين والآخر "اهدأ ... "، "تمالك أعصابك ... "أنت تعرف أن ذلك ليس حقيقيًا ... "، ولكن بدا أن هذه الكلمات لم تفلح فى تهدئته، بل على النقيض، زادت حدة الرجل الغاضب أكثر وأكثر.

كان الجميع فى الصالة فى صمت مطبق، يستمعون باهتمام لما يدور خلف الباب المغلق لحجرة مكتب لويس.

صاح إيدجر: "سأرغمك على الإنصات إلىّ، سأمحو من على وجهك ذلك التعبير المتعالى، سأنتقم، سأنتقم منك لكل ما سببته لى من معاناة".

جاء الصوت الآخر منفعلاً، على نقيض أسلوب لويس المعتاد غير الانفعالى.

"ضع المسدس جانبًا".

قالت جينا بحدة: "إن إيدجر سوف يقتله. إنه مجنون. ألا يجب أن نستدعى الشرطة أو أن نفعل أى شىء؟".

ظلت كارى لويز غير متأثرة وقالت بهدوء:

"ليس هناك داعٍ للقلق يا جينا. إن إيدجر يحب لويس. إنه يعرض نفسه بشكل مسرحى. هذا كل ما فى الأمر".

جاء صوت إيدجر من خلف الباب ضاحكًا على نحو جعل الآنسة ماربل تقر أنه، بالقطع، شخص مجنون.

"نعم إن معى مسدساً، وهو محشو بالرصاص. كلا أصمت لا تتحدث، لا تتحرك، إنك سوف تستمع إلىّ. إنك أنت من بدأ هذه المؤامرة ضدى، والآن سوف تدفع ثمن فعلتك".

انزعج الجميع عندما سمعوا صوتاً أشبه بالطلق النارى، ولكن كارى لويز همت قائلة:

"كل شىء على ما يرام، لقد أتى الصوت من الخارج ـ إنه فى الحديقة، أو فى مكان ما بالخارج".

وخلف الباب المغلق كان إيدجر يستشيط غضباً ويصرخ بصوت مرتفع: "أنت تجلس هناك تحملق فىّ، تتظاهر بأنك بلا حراك. لماذا لا تجثو على ركبتك طالباً منى الرحمة؟ سأطلق الرصاص، إنى أحذرك. سوف أرديك قتيلاً! إننى ابنك ـ ابنك غير المعتَرَف به ـ لقد أردت, التخلص منى، أو ربما أردت أن أغادر الدنيا بأسرها. ولقد كلفت جواسيسك بمطاردتى، وملاحقتى فى كل مكان أذهب إليه، لقد تآمرت علىّ. أنت، أبي! أبى. إننى مجرد لقيط، أليس كذلك؟ مجرد لقيط. لقد كذبت علىّ طوال الوقت، وتظاهرت بالعطف علىّ طوال الوقت ـ طوال الوقت ـ إنك لست جديراً بالحياة، لن أتركك لتعيش".

ومرة أخرى، نزل على مسامعهم سيل من الكلمات البذيئة.

سمعت الآنسة ماربل فى وقت ما أثناء هذا المشهد الآنسة بيلفر وهى تقول: "لابد وأن نفعل شيئاً ما ولا نقف مكتوفى الأيدى "، ثم غادرت الصالة.

بدا إيدجر وقد توقف لالتقاط أنفاسه، ثم أخذ فى الصياح مرة أخرى.

"سوف تموت ـ سوف تموت ـ سوف تموت الآن. خذ هذه أيها الوغد، وهذه أيضاً".

دوى صوت عال لطلقتين متتابعتين، لم يكن الصوت هذه المرة صادراً من الحديقة، ولكنه قطعاً من خلف ذلك الباب المغلق.

صاح شخص ما، اعتقدت الآنسة ماربل أنها ميلدريد:

"يا إلهى، ماذا عسانا أن نفعل؟".

ومن داخل الغرفة صدر صوت ارتطام ثقيل ثم دوى صوت أكثر فظاعة من سابقه، ثم كان هناك صوت نحيب، هرع شخص من جانب الآنسة ماربل، وبدأ يرج الباب ويقرعه بشدة.

لقد كان ستيفن ريستاريك .

"افتح الباب. افتح الباب".

عادت الآنسة بيلفر إلى الصالة وفى يدها سلسلة من المفاتيح.

قالت لاهثة الأنفاس: "جرب أيًا من هذه المفاتيح".

فى هذه اللحظة عاد الضوء المنقطع إلى الصالة مرة أخرى، فعادت الحياة إلى الصالة مرة أخرى بعد الظلمة.

وبدأ ستيفن ريستارك فى تجربة المفاتيح، وبينما هو يقوم بذلك، إذ سمعوا صوت المفتاح الداخلى يتحرك فى الباب.

وداخل الغرفة استمر صوت النحيب.

عاد والتر هود إلى الصالة بتثاقل ثم توقف مندهشًا وتساءل:

"ماذا يحدث هنا؟".

قالت ميلدريد باكية: "هذا الشاب البشع المجنون أطلق الرصاص على السيد سيروكولد".

تحـــدثت كـــارى لـــويز قائلـــة: "مـــن فضـــلكم، دعونـى أتحـدث إلـيـه". ثـم نهضـت وسـارت نحـو حجـرة المكتـب وبلطـف شـديد نحـت سـتيفن ريستاريك جانبًا.

ثم نادت عليه بلطف: "إيدجر، إيدجر ... هل تسمح لى بالدخول؟ من فضلك يا إيدجر".

سمعوا جميعًا صوت المفتاح يدخل فى قفل الباب، ثم تحرك المفتاح لينفتح الباب ببطء.

ولكن لم يكن إيدجر من فتح الباب، لقد كان لويس سيروكولد. كان لاهث الأنفاس كما لو كان عائدًا لتوه من سباق للعدو، ولكنه على الرغم من ذلك لم يكن متأثرًا. قال: "كل شىء على ما يرام يا عزيزتى، كل شىء على ما يرام".

قالت الآنسة بيلفر بجفاء: "لقد ظننا أنه تم إطلاق الرصاص عليك".

عبس لويس سيروكولد، وقال بشىء من الحدة:

"بالطبع لم يطلق الرصاص علىّ"., وكان الجميع قادرين على رؤية ما بداخل حجرة المكتب، وكان إيدجر يجلس منهارًا إلى جوار المكتب، وكان ينتحب. وكان المسدس ملقى على الأرض، حيث سقط من يد إيدجر.

قالت ميلدريد: "ولكننا سمعنا صوت الطلقات".

"أوه، نعم فقد أطلق النار مرتين".

"ولم يصبك؟".

"بالطبع لم يصبنى".

رأت الآنسة ماربل أن استخدام "بالطبع "لم يكن مناسبًا مع هذا الموقف. فلابد وأن الرصاصات قد أطلقت من مسافة قريبة للغاية، فكيف تكون قد أخطأت هدفها.

قال لويس سيروكولد بعصبية وتوتر: "أين مافيريك؟ إننا فى حاجة إلى مافيريك".

قالت الآنسة بيلفر: "سأحضره، هل علىّ الاتصال بالشرطة أيضًا؟".

"الشرطة؟! بالطبع لا".

قالت ميلدريد: "بل علينا قطعًا الاتصال بالشرطة، إنه خَطِر".

قال لويس سيروكولد: "هذا هراء، ذلك البائس، هل يمثل أى خطورة؟".

لم يبد أن إيدجر يمكن أن يمثل أى خطورة فى هذه اللحظة. فقد بدا شابًا صغيرًا مثيرًا للشفقة، ومثيرًا للاشمئزاز إلى حد ما.

وبدا أيضًا أن صوته قد فقد النبرة التى حرص على التظاهر بها وهو يقول نائحًا: "لم أكن أعنى ذلك، لا أعرف ماذا دهانى! كيف تحدثت بكل هذه الأشياء؟ لابد وأنه قد أصابنى الجنون".

نظرت إليه ميلدريد بازدراء، بينما استطرد هو قائلاً:

"لابد وأننى جننت حقًا ـ لم أكن أعنى ذلك. أرجوك يا سيد سيروكولد، إننى لم أكن أعنى ذلك حقًا".

ربت لويس سيروكولد على كتفه

"حسنًا يا ولدى، لم يحدث شىء".

"كان من الممكن أن أقتلك يا سيد سيروكولد".

سار والتر هود عبر الغرفة وحدق إلى الجدار خلف المكتب.

قال: "لقد نفدت الرصاصات هنا "، وألقى بصره على المكتب والكرسى القابع خلفه ثم أردف بتجهم: "لابد أنها كانت من مسافة قريبة".

"لقد فقدت صوابى، لم أكن أعرف ماذا أفعل. لقد ظننت أنه سلبنى حقوقى. لقد اعتقدت ـــ "، هذا ما قال إيدجر .

طرحت الآنسة ماربل السؤال الذى طالما أرادت طرحه؛ فسألته: "من أخبرك بأن السيد سيروكولد هو والدك؟".

لاح تعبير ماكر على وجه إيدجر الشارد للحظة، ثم اختفى ذلك التعبير سريعًا، وقال: "لم يخبرنى أحد، لقد خطرت الفكرة لى".

كان والتر هود يحملق فى المسدس الملقى على الأرض عندما سأله: "من أين حصلت على هذا المسدس بحق الجحيم؟".

"المسدس؟! "قالها إيدجر بينما كان يحملق فى المسدس هو الآخر.

قال والتر: "إنه يشبه مسدسي". ثم توقف والتقطه من على الأرض: "يا إلهى، إنه مسدسى بالفعل. لقد أخذته من غرفتى أيها القذر".

تدخل سيروكولد بين إيدجر الذى انكمش وتضاءل خائفًا فى تذلل ـ ووالتر الأمريكى الغاضب., قال لويس سيروكولد: "يمكننا مناقشة ذلك لاحقًا. هاهو مافيريك قد أتى، هل يمكن أن تفحصه يا مافيريك؟".

تقدم مافيريك من إيدجر بأسلوب طبيب متخصص.

"إن هذا لن يجدى يا إيدجر، هذا لن يجدى".

قالت ميلدريد فى عصبية: "إنه مجنون وخطر، لقد صوب المسدس نحو زوج أمى وأطلق عليه النار، ولكنه أخطأه".

أصدر إيدجر صوتًا خافتًا وكأنه يعوى، فقال مافيريك موبخًا: "انتبهى من فضلك لقولك يا سيدة ستريت".

"لقد سئمت من كل هذا. سئمت من طريقة عيشكم هنا! إننى أؤكد لكم أن هذا الفتى مجنون".

انحنى إيدجر وتملص من يد الدكتور مافيريك، وألقى بنفسه على الأرض، عند موضع قدمى سيروكولد.

"ساعدنى، ساعدنى، لا تتركهم يأخذونى ويحبسونى، لا تدعهم ...".

فكرت الآنسة ماربل فى أن ذلك إنما هو مشهد مؤسف.

قالت ميلدريد غاضبة: "أؤكد لكم أنه ...".

قالت والدتها فى محاولة لتهدئتها: "أرجوك يا ميلدريد ليس الآن، إنه يتألم".

تمتم والتر: "إنه مجنون ... إنهم جميعًا هنا مجانين".

قال مافيريك: "سأعتنى به، تعال معى يا إيدجر، تناول مهدئًا واذهب إلى فراشك، وسنتحدث فى ذلك الأمر غدًا. فالآن، أنت تثق بى، أليس كذلك؟".

وقف إيدجر على قدميه وهو يرتعد قليلاً، ونظر إلى الطبيب الشاب متشككًا، ثم إلى

ميلدريد ستريت، وقال:

"لقد قالت إننى مجنون".

"لا، لا، إنك لست مجنونًا".

علا وقع خطوات الآنسة بيلفر عبر الصالة فى حدة وجاءت عابسة مزمومة الشفتين وكان وجهها مكفهراً.

وقالت بتجهم: "لقد اتصلت بالشرطة، سيصلون إلى هنا خلال دقائق قليلة".

صاحت كارى لويز بغضب: "جولي!".

أصدر إيدجر صوتًا أشبه بالعويل.

وعبس لويس سيروكولد غاضبًا، وقال:

"لقد قلت لك يا جولى إننى لا أرغب فى استدعاء الشرطة، إنها حالة طبية".

قالت الآنسة ماربل: "فليكن ما يكون، فإن لى رأيى الخاص. ولكن كان علىّ استدعاء الشرطة، لقد أردى السيد جولبراندسن قتيلاً رميًا بالرصاص".,

الفصل الثامن

استغرق الأمر دقيقة أو اثنتين قبل أن يستوعب الحاضرون ما قالته.

قالت كارى لويز غير مصدقة ما حدث:

"تم إطلاق النار على كريستيان؟ لقى حتفه؟ أوه، بالطبع هذا مستحيل".

قالت بيلفر وهى تزم شفتيها مخاطبة الجميع أكثر منها إلى كارى لويز: "إذا كنت لا تصدقيننى، فاذهبى وشاهدى بنفسك".

كانت غاضبة، وقد بدا غضبها واضحاً من حدة صوتها.

أخذت كارى لويز خطوة بطيئة باتجاه الباب وهى لا تكاد تصدق الأمر، فاستوقفها لويس سيروكولد، واضعاً يده على كتفها.

"كلا ياعزيزتى، دعينى أذهب".

خرج عبر الباب، وتبعه الدكتور مافيريك وهو ينظر بارتياب إلى إيدجر. وذهبت معهم الآنسة بيلفر.

ساعدت الآنسة ماربل كارى لويز، بلطف، على الجلوس، جلست وبدت عيناها مرتاعتين من هول المفاجأة

ورددت مرة أخرى "تم إطلاق الرصاص على كريستيان".

وكان صوتها يحمل نبرة صوت طفل مذعور.

ظل والتر هود بالقرب من إيدجر، وأخذ يحملق فيه، ممسكاً فى يده المسدس الذى التقطه من على الأرض.

قالت السيدة سيروكولد بصوت حائر: "ولكن من الذى يمكن أن يطلق النار على كريستيان؟".

لم يكن سؤالاً ينتظر إجابة.

تمتم والتر فى نفسه: "إنهم مجانين! أكثرهم هكذا".

اقترب ستيفن من جينا بشكل يوحى بالحماية، فقد كان وجهها الصغير المشدوه هو الشىء المفعم بالحياة فى هذه الغرفة.

وفجأة فُتح الباب الأمامى، وهبت رياح باردة مع دخول رجل ضخم يرتدى معطفًا طويلاً.

وقد بدت حرارة تحيته مثيرة للصدمة.

"مرحبًا جميعًا، ماذا يحدث الليلة. لقد كان الطريق يغطيه الضباب. وكان علىّ الإبطاء الشديد فى القيادة".

مرت لحظة من الذهول، ظنت فيها الآنسة ماربل أنها ترى الشىء شيئين. لم يكن ممكنًا أن يكون نفس الرجل واقفًا بالقرب من جينا، وفى ذات الوقت يدخل من الباب. وبعد ذلك أدركت أن الأمر لم يكن سوى مجرد تشابه، بل إنك إذا أمعنت النظر فلن تجد أن هناك تشابهًا قويًا. بدا واضحًا أن الاثنين شقيقان يتشابهان عائليًا، عائليًا، لا أكثر.

فبينما كان ستيفن ريستاريك نحيلاً إلى درجة الهزال، كان الوافد الجديد يتمتع بالصحة، وقد جاء المعطف الضخم ذو الياقة المصنوعة من الفرو بشكل يتناسب مع امتلاء جسده على نحو أنيق. كان شابًا وسيمًا، تلحظ فى شخصيته الهيبة وروح الدعابة التى تميز الأفراد الناجحين.

ولكن الآنسة ماربل لاحظت فيه شيئًا آخر فعندما دلف الى الصالة كانت عيناه تنظران مباشرة إلى جينا.

قال بشىء من الريبة: "لقد توقعتم مجيئى أليس كذلك؟ ألم تصلكم برقيتى؟".

كان يوجه حديثه الآن إلى كارى لويز. وتقدم نحوها., وبشكل آلى مدت يدها إليه لتصافحه.

أخذ يدها وقبلها بلطف، وكان ذلك تصرفًا رقيقًا منه، ينم عن الولاء وليس مجرد مجاملة مفتعلة.

غمغمت قائلة: "بالطبع يا عزيزى أليكس بالطبع، ولكن حدثت فقط بعض الأشياء التى شغلتنا".

"ماذا يحدث؟".

أخبرته ميلدريد بما حدث، حيث روته بشىء من التلذذ الذى رأته الآنسة ماربل كريهًا.

قالت: "كريستيان جولبراندسن ... أخى كريستيان جولبراندسن، وجدوه مقتولاً رميًا بالرصاص".

صاح غير مصدق لما سمع: "يا إلهى، هل تعنين أنه أقدم على الانتحار؟".

تحركت كارى لويز بخفة.

"كلا، كلا لا يمكن أن يكون انتحاراً، ليس كريستيان من يفعل ذلك، أوه كلا".

قالت جينا: "إن العم كريستيان لم يكن ليقتل نفسه مطلقاً".

جال أليكس ريستاريك بنظره بين الحاضرين من شخص إلى آخر، وتلقى من أخيه ستيفن نظرة قصيرة مؤكدة. بادله والتر النظر بشيء من الاستياء، ثم استقرت عينا أليكس على الآنسة ماربل وقد تجهم، بدا وكأنه وجد شيئاً غير مقبول بين ديكورات المسرح.

نظر إليها على نحو يوحى أنه ينتظر أن يفسر له أحدهم سبب وجودها، ولكن لم يفعل أحد ذلك، وبقيت الآنسة ماربل تبدو فى صورة تلك العجوز الحلوة المرتبكة، ذات الشعر الأبيض الناعم.

سأل أليكس: "متى؟ أعنى متى حدث ذلك؟".

قالت جينا: "قبل وصولك مباشرة، منذ ثلاث أو أربع دقائق مضت، على حد اعتقادى، لقد سمعنا جميعاً صوت الرصاص، ولكننا لم نلحظ الأمر".

"ألم تلاحظوا؟ لِمَ؟".

"حسناً، فقد كانت هناك بعض الأمور الأخرى التى انشغلنا بها "هكذا قالت جينا بشيء من التردد.

قال والتر مؤكداً: "بالطبع، هناك ما كان يشغلنا".

دلفت جوليت بيلفر إلى الصالة عبر باب المكتبة.

"يرى السيد سيروكولد أن علينا جميعاً الانتظار فى المكتبة، فسيكون ذلك مناسباً بالنسبة للشرطة. سنذهب جميعاً فيما عدا السيدة سيروكولد، فقد أصابتها صدمة بالغة، ولقد أمرت بوضع زجاجات ساخنة على فراشك حتى تعمل على تدفئته حتى أساعدك على النوم سأصطحبك إلى أعلى ...".

قالت "لابد وأن أرى كريستيان أولاً".

"أوه، كلا يا عزيزتى، لا تزعجى نفسك".

نحّتها كارى لويز بلطف جانباً، قائلة:

"عزيزتى جولى إنك لا تفهمين"ثم نظرت حولها وقالت "جين؟!".

وكانت الآنسة ماربل قد تحركت باتجاهها بالفعل.

"هلاّ أتيت معى يا جين".

ثم تحركت باتجاه الباب، فى الوقت الذى كان فيه الدكتور مافيريك قادماً منه.، صاحت الآنسه بيلفر:

"أوقفها يا دكتور مافيريك. إنها تتصرف بحماقة".

نظرت كارى لويز بهدوء إلى الطبيب الشاب، حتى أنها ابتسمت له ابتسامة خفيفة.

قال دكتور ما فيريك: "هل تودين الذهاب لرؤيته؟".

"لابد أن أفعل ذلك".

تنحـــى جـــانبًا، وقـــال: "أفـــهم ذلـــك، إذا كنـــت تشـعرين بضـرورة ذلـك يـا سـيدة سـيروكولد، ولكـن مـن فضـلك، فبعـد ذلـك علـيك الاسـترخاء والسماح للآنسة بيلفر بأن تعتنى بك، فإلى هذه اللحظة أنت لم تشعرى بالصدمة بعد، ولكنى أؤكد لك أنها قوية".

"نعم أعتقد أنك محق. سأتوخى الحذر. هيّا يا جين".

خرجت السيدتان من الباب، وعبرتا العتبة الموجودة أسفل السلم، ثم سارتا فى ممر طويل يقود إلى حيث تكون غرفة الطعام عن يمينهما، بينما البابان المفضيان إلى المطبخ عن يسارهما، ومرتا من الباب الجانبى المفضى إلى الشرفة، وصولاً، فى نهايه الأمر، إلى الباب المفضى إلى الجناح المصنوع من خشب البلوط، والذى كان مخصصاً لكريستيان جولبراندسن. كانت الحجرة مفروشة كما لو كانت حجرة جلوس أكثر منها غرفه نوم، مع فراش وضع فى فجوة فى أحد الجدران الجانبية بالغرفة، ويوجد باب آخر يفضى إلى غرفة الملابس والحمام.

توقفت كارى لويز عند عتبة الباب. كان كريستيان جولبراندسن جالساُ على المكتب الضخم وأمامه آلة كاتبة متنقلة صغيرة على ذلك المكتب. إنه لايزال يجلس هناك الآن إلا أنه مائل على أحد الجوانب، وقد منعه ذراعا المقعد المرتفعات من الانزلاق على الأرض.

كان لويس سيروكولد يقف إلى جوار النافذة، وكان قد فتح الستائر قليلاً وأخذ يحملق فى الليل.

أخذ يتلفت حوله مقطباً جبينه، ثم قال:

"يا عزيزتى، ما كان لك القدوم إلى هنا".

تقدم نحوها، فمدت ذراعها نحوه، وتراجعت الآنسة ماربل خطوة أو خطوتين إلى الوراء.

"بلى يالويس، كان علىّ المجىء ـ لرؤيته فعلى المرء أن يعرف، تماماً، كيف تسير الأمور".

مشت بتمهل باتجاه المكتب.

قال لويس محذرًا:

"لابد ألا تلمسى أى شىء. فيجب أن تجد الشرطة كل شىء كما هو".

"بالطبع لقد تم إطلاق النار عليه عن عمد، أليس كذلك؟".

قال لويس سيروكولد وقد بدا مندهشًا لطرح هذا السؤال من الأساس:

"أوه، بلى، اعتقدت أنك تعلمين ذلك".

"أعرف ذلك فى الواقع. فكريستيان لم يكن من نمط الأشخاص الذين قد يقدمون على الانتحار، وكان لديه من الكفاءة ما يمنع وقوع حادث له على سبيل الخطأ وعلى ذلك، فإن ما حدث إنما يقودنا إلى شىء واحد ـ "، ثم ترددت قبل أن تقول "إنها جريمة قتل".

سارت إلى جوار المكتب، ثم وقفت تنظر الى الرجل المقتول. كان وجهها يملؤه الحزن والعاطفة.

قالت: "عزيزى كريستيان، لقد كان دائمًا طيبًا معى".

وبرقة لمست أعلى رأسه بأصابعها وقالت: "رحمك الله يا عزيزى كريستيان".

قال لويس شيئًا من الذى لم تعهده فيه الآنسة ماربل من قبل:, "تمنيت أنه لو كان فى مقدورى تخفيف هذا العناء والألم عنك يا كارولين".

هزت زوجته رأسها بلطف.

وقالت: "لا يمكن لأحد أن يوفر العناء على شخص آخر "، ثم أردفت قائلة: "عاجلاً أم آجلاً، يجب مواجهة الأمور، ولهذا فمن الأفضل مواجهتها عاجلاً. سأذهب الآن لآخذ قسطًا من الراحة، أعتقد أنك ستبقى هنا يالويس حتى قدوم الشرطة؟".

"نعم".

استدارت كارى لويز، فأحاطتها الآنسة ماربل بإحدى ذراعيها.,

الفصل التاسع

حين وصل المفتش كيرى إلى المنزل هو ورجاله وجد الآنسة بيلفر فى الصالة الكبرى فى استقباله.

سارت نحو المفتش بثقة وقالت: "أنا جوليت بيلفر، أنا السكرتيرة الخاصة بالسيدة ورفيقتها".

"هل أنت من عثر على الجثة وأبلغ الشرطة؟".

"نعم، معظم أفراد المنزل فى المكتبة ـ تفضل بالدخول من خلال ذلك الباب. لقد ظل السيد سيروكولد الى جوار الجثة حتى يضمن عدم المساس بأى شىء، وسوف يحضر إلى هنا فى الحال دكتور مافيريك الذى كان أول من فحص الجثة، كان عليه علاج حالة فى الجناح الآخر. هلا أصطحبكم إليه".

"من فضلك".

فكر المفتش فى نفسه "امرأة ذكية، تبدو وكأنها سجلت كل شىء على شريط".

ثم لحق بها عبر الممر.

وخـــلال العشـرين دقيقـة التاليـة أخـذ رجـال الشـرطة يقـومون بإجراءاتـهم المعتـادة، فـالتقط المصـور الصـور الضـرورية، ووصـل الطبـيب الشرعى، وانضم إليه الطبيب مافيريك. ووصلت سيارة الإسعاف بعد نصف ساعة لتنقل جثة كريستيان جولبراندسن، وبدأ المفتش كيرى فى التحقيق.

اصطحب لويس سيروكولد المفتش كيرى الى حجرة المكتبة، وأخذ المفتش ينظر بحرص إلى جميع المتواجدين فى الحجرة مكونًا ملحوظات موجزة بشأنهم فى ذهنه. فهناك السيدة العجوز ذات الشعور الأشيب، وسيدة فى منتصف العمر، والفتاة حسنة المظهر التى رآها تأخذ جولة بالسيارة فى الريف، وزوجها الامريكى عابس الوجه، وشابان لهما علاقة بهذا المكان على نحو ما، والمرأة الذكية الآنسة بيلفر التى أبلغت عن الحادث، واستقبلته عند وصوله.

كان المفتش كيرى قد أعد كلمته ليلقيها عليهم، وهو الآن يفعل ذلك كما خطط له.

قال "أعلم أن الأمر قد سبب لكم ألمًا وإزعاجًا كبيرًا، وآمل ألا أبقيكم ساهرين

طويلاً هذه الليلة، حيث يمكننا مناقشة الأمور بشكل مفصل فى الغد، لقد علمت أن الآنسة بيلفر هى من وجد السيد كريستيان مقتولاً، وسأطلب منها أن تعطينى الخطوط العريضة للموقف العام، لأن ذلك سيوفر علينا الكثير من الوقت. إذا رغبت يا سيد سيروكولد فى الذهاب إلى زوجتك فلك الحرية فى ذلك، وعندما أنتهى من الحديث مع الآنسة بيلفر فإننى سأتحدث إليك. هل الأمور واضحة الآن؟ أريد غرفة صغيرة حيث ـــ".

قال لويس سيروكولد: "مكتبى ياجولى".

أومأت الآنسة بيلفر وقالت: "كنت سأقترح هذا لتوى".

قادته عبر الصالة الكبيرة، وتبعها المفتش كيرى ورجاله.

أعدت الآنسة بيلفر لهم ولنفسها مقاعد مريحة. بدا وكأنها هى ـ وليس المفتش كيرى ـ المسئول عن سير التحقيق.

ثم حانت اللحظة التى أخذ فيها المفتش زمام المبادرة. كان المفتش كيرى يتمتع بصوت جميل، وكان أسلوبه لطيفاً فى الحديث، وقد بدا هادئًا وجاداً، كما بدا عليه شىء من الأسف، وقد أخطأ البعض بالتقليل من كفاءته وما يتمتع به من قدرات، وفى واقع الأمر، فقد بدا أنه يتمتع بذات الكفاءة التى تتمتع بها الآنسة بيلفر. ولكنه يفضل عدم استعراض قدراته.

تنحنح المفتش قبل أن يقول: "لقد تعرفت على المعلومات الرئيسية من السيد سيروكولد. لقد كان السيد كريستيان جولبراندسن الابن الاكبر للسيد الراحل إيريك جولبراندسن مؤسس صندوق جولبراندسن للأعمال الخيرية .. وغيرها من المؤسسات الخيرية، وقد كان السيد كريستيان أحد المسئولين عن هذا المكان، وقد وصل الى هنا فجأة بالأمس، أليس كذلك؟".

شعر المفتش بالسعادة لمباشرتها ولحضور بديهتها، ثم استمر قائلاً:, "كان السيد سيروكولد خارج البلدة فى ليفربول، وعاد هذا المساء فى السادسة والنصف".

"نعم".

"وبعد الغداء هذا المساء، أعلن السيد جولبراندسن عن نيته للعمل فى مكتبه، وترك المجموعة بعد تناول القهوة، أليس كذلك؟".

"نعم".

"والآن من فضلك يا آنسة بيلفر، احكِ لى بأسلوبك الخاص كيفية اكتشافك للجثة".

"لقد وقع حدث مزعج هذه الليلة فقد أقدم شاب مريض نفسياً، على تهديد السيد

سيروكولد بمسدس. وقد كانا معًا فى هذه الغرفة، وكان بابها موصدًا. وقد أطلق الشاب الرصاص من المسدس. يمكنك أن ترى آثار الطلقات على الجدار، وقد خرج السيد سيروكولد من هذا الموقف دون أى أذى. بعد إطلاق الرصاص انهار ذلك الشاب بشكل تام، ثم أرسلنى السيد سيروكولد للبحث عن الطبيب مافيريك، اتصلت به فى غرفته، ولكنه لم يكن هناك. لقد وجدته مع أحد زملائه، فأرسلت له برسالة، فلما تلقاها حضر على الفور، وفى طريقى وأنا عائدة إلى هنا مررت بحجرة السيد جولبراندسن. كنت أود سؤاله عما إذا كان يرغب فى تناول شىء ما؛ لبن دافىء، أو عصير قبل أن آوى إلى فراشى. قرعت الباب، ولكن لم يجب أحد، لذا فتحت الباب. فوجدت السيد جولبراندسن مقتولاً، ثم اتصلت بمن فى المنزل.

"ما المداخل والمخارج فى هذا المنزل، وكيف يتم تأمينها؟ هل يمكن أن يكون أحدهم قد تسلل الى المنزل دون مرأى أو مسمع منكم؟".

"يمكن لأى شخص أن يدخل إلى الشرفة من خلال الباب الجانبى، حيث لا يتم إغلاقه إلا وقت نومنا جميعًا، حيث إن الجميع يستخدمون هذا الباب للوصول إلى مبنى المعهد".

"ولديكم على حد اعتقادى مابين مائتين إلى مائتين وخمسين صبيًا حدثًا فى هذا المعهد؟!".

"نعم، ولكن مبانى المعهد مؤمنة تأمينًا جيدًا، ومن المستبعد أن يغادر أى شخص منه دون التأكد من هويته ومراقبته".

"سوف نتأكد من ذلك بالطبع. هل ذكر السيد جولبراندسن شيئًا عن أى أعداء؟ أو هل اتخذ قرارات بشأن سياسة المعهد لم تلق القبول من بعض الناس؟".

هزت الآنسة بيلفر رأسها نافية.

"أوه كلا، ليس للسيد جولبراندسن علاقة بإدارة المعهد أو الأمور الإدارية المتعلقة به".

"وماذا كان الغرض من زيارته؟".

"ليس لدى فكرة".

"ولكنه شعر بالضيق لعدم وجود السيد سيروكولد وقرر فى التو انتظار رجوعه".

"نعم".

"إذن فقد كان الذى أتى به إلى هنا بالقطع له علاقة بالسيد سيروكولد؟".

"نعم، ربما يكون كذلك، إنى أعتقد أن ما أتى به إلى هنا بالتأكيد له علاقة بالمعهد".

"نعم، وبافتراض ذلك، فهل كان له أى لقاء مع السيد سيروكولد؟".

"كلا، لم يكن هناك وقت لذلك، فقد وصل السيد سيروكولد قبل العشاء مباشرة".

"ولكن بعد العشاء قال السيد جولبراندسن إن لديه خطابات مهمة عليه كتابتها، ثم انصرف لفعل ذلك، ألم يحاول ترتيب موعد للاجتماع مع السيد سيروكولد؟".

ترددت الآنسة بيلفر قبل أن تقول:

"كلا، كلا، لم يفعل".، "بالطبع كان هذا شيئًا غريبًا، نظرًا لأنه ترك كل ما لديه من مشاغل وقرر الانتظار خصيصًا لمقابلته".

"نعم كان هذا غريبًا".

ولم يتكشف للآنسة بيلفر غرابة ذلك فى تلك اللحظة.

"ألم يصطحبه السيد سيروكولد إلى غرفته؟".

"كلا، فقد ظل السيد سيروكولد فى الصالة".

"هل لديك أى تصور عن الوقت الذى قُتل فيه السيد جولبراندسن؟".

"أعتقد أننا ربما سمعنا صوت الرصاص، وإذا كان ما سمعناه هو صوت رصاص القاتل فقد كان ذلك فى حوالى التاسعة وثلاث وعشرين دقيقة".

"هل سمعتم صوت رصاص، ولم يزعجكم ذلك؟".

"لقد كان ذلك فى ظروف غريبة".

وشرحت، بشكل مفصل، المشهد الذى حدث بين لويس سيروكولد وإيدجر لاوسون، والذى كان قد وقع فى ذات التوقيت.

"لذا فلم يخطر ببال أحد أن تكون هذه الرصاصة قد أتت من داخل المنزل، أليس كذلك؟".

"كلا، كلا، قطعًا. لا أعتقد ذلك، فقد شعرنا جميعًا بالارتياح لأن الرصاصة لم تأت من حجرة المكتب".

وأضافت الآنسة بيلفر بعبوس: "إننا لم نتخيل مطلقًا وجود محاولة قتل وجريمة قتل فى الوقت ذاته، فى نفس المنزل".

اتفق معها المفتش كيرى على صحة ذلك.

قالت الآنسة بيلفر فجأة: "وربما كان ذلك السبب الذى دفعنى للذهاب إلى غرفة السيد جولبراندسن بعد ذلك، وبالطبع كنت أرغب حقًا أن أسأله عما إذا كان يريد شيئًا، ولكن ذلك كان مجرد عذر لكى أتأكد بنفسى أن كل شىء على ما يرام".

"وما الذى جعلك تعتقدين أنه ربما يكون هناك ما يسوء؟".

"لا أدرى، أعتقد أنه صوت الرصاص الذى سمعته بالخارج، مع أنه لم يعن لى هذا الصوت أى شىء فى اللحظة التى سمعته فيها. لقد فكرت فى الأمر، وقلت لنفسى إن ذلك الصوت هو مجرد صوت محرك سيارة السيد ريستاريك".

"سيارة السيد ريستاريك؟!".

"نعم أليكس ريستاريك. لقد وصل بسيارته هذا المساء ـ لقد وصل بعد جريمة القتل مباشرة".

"أفهم ذلك، وعندما اكتشفت أمر جثة السيد جولبراندسن، هل لمست شيئًا؟".

قالت بيلفر وفى صوتها نبرة تأنيب "بالطبع لا، فأنا أعلم، بطبيعة الحال، أنه لا يجب لمس أى شىء أو تحريك أى شىء من مكانه، لقد تم إطلاق الرصاص على رأس السيد جولبراندسن إلا أنه لم يكن هناك أى سلاح نارى إلى جواره، وهذا ما جعلنى أدرك على الفور أنه ليس انتحارًا وإنما جريمة قتل".

"الآن، عندما اصطحبتنا إلى الغرفة، هل وجدت أن كل شىء فى الغرفة ظل كما هو منذ لحظة اكتشافك للجثة؟".

فكرت الآنسة بيلفر واعتدلت فى جلستها إلى الوراء ونظرت لأعلى، وفكر المفتش كيرى فى نفسه بأنها تملك ذاكرة فوتوغرافية.

قالت الآنسة بيلفر: "هناك شىء واحد مختلف، فلم يكن هناك شىء على الآلة الكاتبة".

قال المفتش كيرى: "هل تريدين قول إنك عندما دخلت الغرفة لأول مرة رأيت أن السيد جولبراندسن بدا كما لو كان يكتب رسالة؟ وأن هذه الرسالة قد اختفت تمامًا؟".

"أكاد أجزم بأننى رأيت الحافة البيضاء للورقة من بين أسطوانات الآلة الكاتبة".. المفتش كيرى: "شكرًا يا آنسة بيلفر. من أيضًا دخل إلى هذه الحجرة قبل وصولنا؟".

"السيد سيروكولد، وقد ظل هناك بينما كنت أنا أقوم باستقبالكم، وكذلك السيدة سيروكولد والآنسة ماربل دخلتا إلى الغرفة، فقد أصرت السيدة سيروكولد على القدوم إلى هنا".

سأل المفتش كيرى: "السيدة سيروكولد والآنسةماربل ... أى منهما الآنسة ماربل؟".

"إنها السيدة العجوز ذات الشعر الأبيض. لقد كانت زميلة دراسة للسيدة سيروكولد، وقد أتت إلى هنا فى زيارة منذ حوالى أربعة أيام".

"حسنًا أشكرك يا آنسة بيلفر، كل ما ذكرته وأدليت به واضح تمام الوضوح. سأتحدث مع السيد سيروكولد الآن.. آه... ولكن أعتقد أن علىّ التحدث مع الآنسة ماربل قليلاً أولاً، فإنها سيدة مسنة ولابد وأنها ترغب فى الذهاب إلى فراشها، فمن القسوة أن تظل امرأة عجوز مثلها مستيقظة لوقت متأخر، لابد أن ذلك الحادث كان مؤلمًا بالنسبة لها".

قالت الآنسة بيلفر: "هل أذهب لإخبارها؟".

"نعم من فضلك!".

انصرفت الآنسة بيلفر، ونظر المفتش كيرى الى السقف.

"جولبراندسن؟! لماذا جولبراندسن؟! هناك مائتان من الصبية الأحداث غير الأسوياء والذين لم يتكيفوا مع المجتمع يعيشون داخل هذا المبنى، وليس هناك سبب يمنع أيًا منهم من ارتكاب الجريمة، فمن الممكن أن يكون أحدهم هو القاتل، ولكن لماذا يقتل جولبراندسن تحديداً؟ فهو الشخص الغريب فى هذا المنزل".

قال الرقيب لاك: "إننا بالقطع لم نعرف كل شىء بعد".

قال المفتش كيرى: "بل لم نعرف أى شىء حتى الآن".

عندما دلفت الآنسة ماربل إلى الغرفة باديًا عليها بعض الارتباك نهض المفتش كيرى بطريقة ودودة محييًا إياها حتى يشعرها بالارتياح.

قال: "لا تجزعى يا سيدتى "، فبالنسبة للسيدات ممن هن فى سن الآنسة ماربل، فإن ضباط الشرطة يجب أن يعمدوا إلى الهدوء، ويجب أن يظهروا أقصى درجة من الاحترام لأن رجال الشرطة فى نظرهن ينتمون إلى طبقة أقل من طبقتهن". أردف المفتش قائلاً: أعلم أن الأمر مزعج للغاية، ولكننا علينا التوصل إلى الحقائق بوضوح ـ حتى يصير كل شىء جليًا لنا".

"أوه نعم أعلم ذلك، لكن ذلك أمر صعب، أليس كذلك؟ أعنى أن يكون كل شىء جليًا واضحًا. لأنك لو نظرت بتركيز إلى شىء بعينه، فلن تستطيع رؤية شىء غيره، وعادةً ما ينظر المرء إلى الشىء الخاطئ تاركًا ما سواه، ومن الصعب أن يحدد المرء إن كان ذلك محض مصادفة أم أن المرء يرغب ألا يصل إلى هدفه. إن السحرة يطلقون على ذلك "ضياع الوجهة "، إنهم أذكياء، أليس كذلك؟، إننى لم أستطع أبداً معرفة أسلوبهم وحيلهم فى ممارسة السحر، مستخدمين القارورة الزجاجية، إنها شىء لا يمكن تصغيره، أليس كذلك؟".

جفل المفتش كيرى قليلاً، وقال بلطف: "هذا صحيح تمامًا يا سيدتى، لقد سردت علىّ الآنسة بيلفر كل ما حدث الليلة الماضية وإنى على ثقة من أنكم جميعًا قد عانيتم".

قال الآنسة ماربل: "نعم، لقد كان، حقًا، مأساويًا".

قال: "لقد كان الأمر أولاً بين السيد سيروكولد و ـــ "، ثم نظر إلى ورقة فى يده "وإيدجر لاوسون".

قالت الآنسة ماربل "إنه رجل غريب، لقد شعرت طوال الوقت بأن هناك شيئًا غير طبيعى فيه".

قال المفتش كيرى: "إننى واثق من ذلك، والآن، وبعد أن انتهى ذلك الأمر فقد وقع حادث مقتل السيد جولبراندسن. لقد علمت أنك اصطحبت السيدة سيروكولد لرؤية الجثة".

"نعم فعلت، لقد طلبت منى اصطحابها؛ فإننا أصدقاء قدامى".

"حقًا، ولقد ذهبتما إلى الغرفة التى كان بها السيد جولبراندسن. هل لمستما أى شىء عندها فى الغرفة؟"., "أوه كلا، فقد حذرنا السيد سيروكولد من القيام بذلك".

"هل لاحظت يا سيدتى ما إذا كان هناك خطاب أو ورقة مثلاً فى الآلة الكاتبة؟".

قالت الآنسة ماربل بحزم: "لا لم يكن هناك شىء، لقد بدا لى أن ذلك شيئًا غريبًا، ولذا لاحظت عدم وجود أى أوراق على الفور، فقد كان من المفترض أن السيد جولبراندسن يجلس هناك أمام الآلة الكاتبة لكتابه شىء ما. نعم فقد فكرت أن ذلك أمر غريب حقًا".

نظر إليها المفتش كيرى بحدة، وقال: "هل دار بينك وبين السيد جولبراندسن حديث مطول عندما كان هناك؟".

"بل حديث قصير جدًا".

"هل هناك شىء مهم أو مميز، تتذكرينه، دار بينكما؟".

فكرت الآنسة ماربل: "لقد سألنى عن صحة السيدة سيروكولد، تحديدًا، سألنى عن حالة قلبها".

"قلبها هل كانت تعانى السيدة سيروكولد من مشاكل فى قلبها؟".

"لا شىء على الإطلاق كما علمت".

صمت المفتش كيرى دقيقة أو دقيقتين ثم قال:

"هل سمعت صوت الرصاص هذا المساء أثناء الجلبة التى دارت بين السيد سيروكولد وإيدجر لاوسون؟".

"إننى لم أسمعه بنفسى فى واقع الأمر، فإننى أعانى من الصمم إلى حد ما، ولكن السيدة سيروكولد ذكرت أنه كان قادمًا من الخارج".

"وهل ترك السيد جولبراندسن الحاضرين بعد العشاء مباشرة؟".

"نعم فقد قال إن هناك خطابات عليه كتابتها".

"لكنه لم يظهر أى رغبة فى مناقشة العمل مع السيد سيروكولد، أليس كذلك؟".

قالت الآنسة ماربل: "كلا، لقد دار بينهما حديث قصير للغاية قبل العشاء".

"حقًا، متى كان ذلك؟ لقد علمت أن السيد سيروكولد عاد إلى المنزل قبل العشاء مباشرة".

"هذا صحيح. ولكنه جاء من سفر مترجلاً وعندما سار عبر الحديقة خرج السيد جولبراندسن لمقابلته وأخذا يسيران جيئة وذهابًا هناك".

"مَنْ، أيضًا، يعرف ذلك؟".

قالت الآنسة ماربل "لا أعتقد أن هناك شخصًا آخر يعرف ذلك، إلا إذا كان السيد سيروكولد قد أخبر السيدة سيروكولد بذلك، فقد عرفتُ بالأمر مصادفة عندما كنتُ أنظر من نافذتى على بعض الطيور".

"الطيور؟!".

أضافت الآنسة ماربل بعد برهة.

"نعم، الطيور. فقد اعتقدت أنها من طيور السيسكين".

لم يكن المفتش كيرى مهتمًا بهذا النوع من الطيور.

قال بلطف: "ألم يتصادف أن سمعت أى شىء مما قالوه؟".

تقابلت عيناها البريئتان الضيقتان بعينيه.

قالت الآنسة ماربل بلطف: "بعض الكلمات العابرة للأسف".

"وما تلك الكلمات؟".، صمتت الآنسة ماربل للحظة، ثم قالت: "إننى لا أعرف الموضوع الذى كان محور نقاشهما، ولكن انصب كل اهتمامهما على إخفاء ما كانا يتحدثان عنه عن السيدة سيروكولد "لنجنبها العناء "، هذا هو ما قاله السيد جولبراندسن، وقد قال السيد سيروكولد: "أوافقك الرأى فى أنها الشخص الذى يجب الاهتمام به "، وقد ذكر أيضًا شيئًا عن "مسئولية كبيرة "، وأنه عليهما أن يستعينا بنصيحة خارجية بخصوص هذا الأمر".

ثم توقفت.

"أعتقد أنه من الأفضل أن تسأل السيد سيروكولد عن هذا الأمر بنفسك".

"سنفعل ذلك ياسيدتى. والآن، أليس هناك شىء آخر غير طبيعى حدث هذا

المساء؟".

فكرت الآنسة ماربل:

"لقد كان كل شيء غير طبيعى، إذا كنت تعرف ما أعنى ـــ".

"نعم، نعم".

طرأ شيء على ذاكرة الآنسة ماربل، فقالت:

"لقد كان هناك شيء آخر غير طبيعى. إن السيد سيروكولد منع زوجته كارى من أخذ دوائها المعتاد، مما أثار ضيق الآنسة بيلفر كثيراً". ثم ابتسمت بطريقة من يقلل من أهمية ذلك الأمر.

"ولكن ذلك بالطبع شيء بسيط ...".

"نعم، بالطبع. حسناً، أشكرك يا آنسة ماربل".

وحينما غادرت الآنسة ماربل الحجرة قال المحقق لاك فى نفسه:

"إنها امرأة عجوز لكنها حادة الذكاء ...".,

الفصل العاشر

دلف إلى حجرة المكتب الشخصية محور الاهتمام، ألا وهو السيد سيروكولد، وجال ببصره قبل الحاضرين قبل أن يوليهم ظهره ليغلق باب الغرفة خلفه حتى تكون هناك خصوصية فى الجلسة التى ستقوم بينهم. سار ثم ذهب للجلوس، ولكنه لم يجلس على نفس المقعد الذى جلست عليه الآنسة ماربل إلى جوار المكتب، بل جلس على كرسيه الخاص خلف مكتبه. أما المفتش كيرى فكانت الآنسة ماربل قد أجلسته على أحد الكراسى على جانبى المكتب، وكأنها تحفظ للسيد سيروكولد مكانه دون وعى منها.

بعدما جلس سيروكولد نظر بتمعن إلى رجلىّ الشرطة الجالسين أمامه وكان تكسو وجهه علامات الألم والإجهاد، وكأن وجهه وجه رجل يمر بأزمة حادة، وقد أذهل ذلك الأمر المفتش كيرى قليلاً؛ لأنه ـ على الرغم من أن مقتل كريستيان جولبراندسن لابد وأن يسبب صدمة للسيد لويس سيروكولد، إلا أن جولبراندسن لم يكن صديقًا عزيزًا للقتيل، ولم يكن كذلك أحد أقاربه، وكانت الصلة التى تجمع بينهما صلة بعيدة.

وبشكل غريب بدا أن الأدوار قد تبدلت، فلم يظهر لويس سيروكولد بمظهر الرجل الذى جاء إلى هذه الغرفة حتى يتم استجوابه من قبل رجال الشرطة، بل ظهر وكأنه أتى ليكون هو الرئيس على جلسة الاستجواب، مما أزعج المفتش كيرى قليلاً.

فقال مسرعًا: "والآن يا سيد سيروكولد ... "وبدا أن سيروكولد مازال شاردًا وغارقًا فى أفكاره، فقال وهو يتنهد: "كم يصعب على الإنسان معرفة الشىء الصحيح الذى عليه القيام به".

قال المفتش كيرى:

"أعتقـــد أننـــا سـنحكم علـى ذلـك يـا سـيد سـيروكولد. والآن، وفيمـا يتعلـق بالسـيد جولبراندسـن، لقـد علمـت أنـه أتـى بشـكل مفـاجئ، أهـذا صحيح؟".

"بشكل مفاجئ تمامًا".

"ألم تكن تعلم أنه سيحضر؟".

"لم يكن لدى أدنى فكرة عن ذلك".

"ألا تعلم أيضًا سبب قدومه إلى هنا؟".

قال لويس سيروكولد بهدوء: "أوه، بلى أعلم سبب قدومه، فقد أخبرنى بذلك".

"متى؟".

"لقد أتيت من المحطة إلى هنا مترجلاً، وكان هو يرانى من المنزل، وقد نزل لاستقبالى، وحينها أخبرنى بالشىء الذى حضر من أجله".

"أعتقد أنه جاء فى عمل له علاقة بمعهد جولبراندسن، أليس كذلك؟".

"أوه كلا، لم يكن الأمر له علاقة بالمعهد".

"لقد اعتقدت الآنسة بيلفر أن ذلك كان السبب".

"كان من الطبيعى افتراض ذلك، ولم يفعل جولبراندسن أى شىء ليغير من انطباع الآخرين عن سبب زيارته، وكذلك لم أفعل أنا".

"لماذا يا سيد سيروكولد؟".

قال لويس سيروكولد ببطء:"لأننا رأينا أنه يجب إخفاء سبب الزيارة الحقيقى عن الجميع".

"وماذا كان السبب الحقيقى؟".

صمت سيروكولد لبرهة ثم تنهد: "كان من عادة جولبراندسن القدوم إلى هنا مرتين فى العام لحضور اجتماع مجلس الأوصياء، وكان, الاجتماع الأخير منذ شهر واحد فقط. وبالتالى، فلم يكن من المتوقع أن يحضر إلى هنا قبل مرور خمسة أشهر، ولذلك اعتقدت أن أى شخص ربما يدرك أن الأمر الذى أحضره الآن مرة أخرى لابد وأن يكون عاجلاً. ولكنى رأيت أيضًا أن اعتقاد الجميع بطبيعة الحال سينحصر فى أن قدومه إلى هنا مجرد زيارة عمل، وأن الأمر العاجل على أى حال سيكون متعلقًا بالوصاية على المعهد، وعلى حد علمى، لـــم يفعـــل جولبراندســـن شـيئًا يتنـاقض مـع مـذا الانطبـاع ـ أو ربمـا يكـون ذلـك مـا ظنـه، أعتقـد أن مـذه مـى الحقيقـة فـى الغـالب، لقـد ظـن جولبراندسن أنه لم يفعل شيئًا يتناقض مع افتراض الآخرين على سبب زيارته".

"معذرة يا سيد سيروكولد، إننى لم أفهمك".

لم يجب لويس سيروكولد فى الحال. وبعدها قال بحزن:

"لقد أدركت ذلك عند موت جولبراندسن، والذى كان جريمة قتل، لاشك فى ذلك. وبعد موت جولبراندسن بهذه الطريقة أعتقد أن علىّ إخبارك بكل شىء وبكل الحقائق يا سيدى، ولكننى وحتى أكون صريحًا معك أخشى أن يؤثر ذلك على سعادة زوجتى وعلى راحة بالها. أعلم أننى لن أخبرك بما عليك فعله سيدى المفتش، ولكنى سأكون شاكرًا لك إذا تدبرت وسيلة تخفى بها بعض الأشياء عن زوجتى قدر

المستطاع لما سيسببه ذلك من ألم لها. أود أن أخبرك يا سيدى المفتش بأن جولبراندسن أتى هارعاً إلى هنا فى سباق مع الزمن ليخبرنى بأنه يعتقد أن هناك من يدس السم البطىء لزوجتى بكل برود".

"ماذا؟".

قالها المفتش وهو ينحنى بارتياب إلى الأمام "ماذا؟".

"نعم، لقد كان ذلك بمثابة صدمة كبيرة لى. إننى لم أشك فى شىء كهذا مطلقاً، ولكن عندما أخبرنى كريستيان بشكوكه، أدركت أن بعض الأعراض التى بدأت زوجتى تضج بالشكوى منها مؤخراً تدل على صحة هذه الشكوك وتتوافق معها. فإن الأعراض التى عانت منها زوجتى وما اعتبرته مجرد روماتيزم وتشنج فى الساقين، والدوار الذى كانت تشعر به من حين إلى آخر تتناسب تماماً مع أعراض التسمم بالزرنيخ".

"لقد أخبرتنا الآنسة ماربل بأن السيد كريستيان سألها عن حالة السيدة سيروكولد الصحية".

"هل فعل ذلك؟ شىء مدهش حقاً. أظن أن شكوكه كانت حول ذلك النوع من السم الذى يوجه إلى القلب مباشرة، والذى يتسبب فى موت مفاجئ، دون إثارة أى شكوك غير ضرورية حول وجود شبهة جنائية، ولكنى أعتقد أن سم الزرنيخ هو الاحتمال الأكبر لنوع السم المستخدم مع زوجتى".

"إذن فإنك تعتقد تماماً أن شكوك جولبراندسن فى محلها".

"أوه، نعم أعتقد ذلك، لسبب واحد؛ هو أن جولبراندسن ما كان ليأتى إلىّ بهذا الافتراض ما لم يكن متأكداً تماماً مما يقوله. كان جولبراندسن رجلاً عنيداً وحذراً ويصعب إقناعه، ولكنه ذكى للغاية".

"وماذا كان دليله على ذلك؟".

"لم يتوفر لدينا الوقت للخوض فى ذلك. لقد كان لقاؤنا سريعاً. وقد دار الحديث فيه حول تفسيره لأسباب هذه الزيارة المفاجئة، وحول ضرورة إخفاء الأمر عن زوجتى حتى نتأكد من صحته".

"وقد كان يشك فى أن الشخص بعينه يدس السم لها؟".

"إنه لم يذكر لى ذلك، وفى واقع الأمر، لا أظن أنه كان يعرف. ربما كان يشك فى أحدهم. أعتقد الآن أنه كان يشك فى شخص ما، وإلا فلماذا يتم قتله؟".

"ولكن، ألم يذكر أى اسم لك؟".

"لا، لم يذكر أى شخص ـ لقد اتفقنا على التحقيق فى الأمر تحقيقاً دقيقاً، وقد

اقترح علىّ اللجوء إلى نصيحة وتعاون الدكتور جالبريث، فهو صديق قديم جداً لعائلة جولبراندسن، وأحد الأوصياء على المعهد. إنه رجل يتمتع بحكمة كبيرة، وذو حنكة، وقد رأينا أنه سيكون قادراً على مساعدة زوجتى والتخفيف عنها، إذا ما استدعى الأمر على إخبارها عن هذه الشكوك، وكنا سنقرر ـ بناء على نصيحته ـ مدى أهمية إبلاغ الشرطة، أو عدم إبلاغها بهذا الأمر"., قال كيرى: "إنه أمر غريب حقاً".

"لقد ذهب جولبراندسن بعد العشاء لكتابة خطاب للدكتور جالبريث، وقد كان يكتبه بالفعل عندما تم إطلاق الرصاص عليه".

"وكيف عرفت ذلك؟".

قال لويس بهدوء: "لأننى أخذت الخطاب من الآلة الكاتبة، إنه معى هنا".

ثم أخرج من الجيب الموجود على صدره ورقة مطوية، وأعطاها لكيرى.

قال الأخير بصرامة: "كان ينبغى ألا تأخذ هذه الرسالة أو تلمس أى شىء فى الحجرة".

"لـــم ألمـــس أى شـــىء آخـــر. أعلـم أننـى بأخـذى لـهذا الخطـاب فـى نظـرك قـد ارتكبـت جـرماً لا يغتفـر ولكـنّ هنـاك سـبباً قـوياً دفعنـى لأخـذه وإخفائه، لقد كنت على يقين من أن زوجتى ستصر على القدوم إلى هنا لرؤية جولبراندسن. فخشيت أن تقرأ شيئاً مما هو مكتوب فى الرسالة. أعترف بأننى أخطأت، ولكن، معذرة، سوف أكرر نفس الأمر وأفعل أى شىء ـ أى شىء ـ إذا كان هناك ما يمكن أن يتسبب فى عدم سعادة زوجتى".

لم يقل المفتش كيرى أى شىء ولكنه قرأ الرسالة المكتوبة، وقد كان نصها:

"عزيزى دكتور جالبريث:

إذا كان هذا ممكناً، فإننى أرجوك أن تأتى إلى ستونى جيتس بأقصى سرعة ممكنة ـ فهناك أزمة بالغة الخطورة، ولا أدرى كيف أتعامل معها. إننى أعرف كم تحب العزيزة كارى لويز، وكم ستشعر بالقلق عليها إذا علمت أن هناك ما يمكن أن يسبب الضرر لها، ولا أدرى إلى أى مدى ينبغى ألا تكون كارى لويز على معرفة بهذا الأمر، وكيف لنا أن نخفيه عنها؟ تلك هى الأسئلة التى تحيرنى ولا أستطيع الإجابة عنها.

إننى لا أعتمد فى ذلك على مجرد التخمين، ولكن لدىّ من الأسباب ما يدعو للاعتقاد بأنه يتم تسميم هذه السيدة اللطيفة البريئة. لقد ساورتنى الشكوك فى هذا الأمر لأول مرة عندما. ..".

وهنا انقطع الخطاب فجأة.

قال كيرى: "وهل عندما وصل كريستيان جولبراندسن إلى هذه النقطة تم إطلاق

الرصاص عليه؟".

"نعم".

"ولكن لماذا ظل هذا الخطاب فى الآلة الكاتبة ولم يأخذه القاتل؟".

"لا أستطيع إلا أن أستنتج سببين ـ الأول: هو أن القاتل لم يكن لديه فكرة عن هوية الشخص الذى يكتب له جولبراندسن الخطاب، ولم يكن، أيضاً، يعرف موضوع الخطاب. والثانى: أنه ربما لم يكن لديه متسع من الوقت ليأخذه. ربما سمع قدوم شخص ما إلى الغرفة، فلم يكن لديه متسع من الوقت إلا ليهرب دون أن يراه أحد".

"ألم يُلمّح لك جولبراندسن بمن يشتبه به ـ إذا كان قد اشتبه بأحدهم؟".

ربما كان هناك لحظة من التوقف قبل أن يجيب لويس

"كلا لم يكن يشتبه فى أحد".

وأضاف بشيء من الغموض: "كان كريستيان رجلاً عادلاً للغاية".

"من وجهة نظرك، ما الطريقة التى يتم بها دس السم لزوجتك سواء أكان الزرنيخ أم غيره؟".

"لقد فكرت فى ذلك بينما كنت أبدل ملابسى لتناول العشاء، وبدا لى أن الاحتمال الأكبر يتركز حول الشيء الذى تتناوله زوجتى بصفة دائمة؛ دواء، أو عقار ما. وبالنسبة للطعام فإننا جميعاً نأكل من نفس الطعام، ولا يتم إعداد أى طعام خاص لزوجتى، ولكن بوسع أى شخص أن يدس السم فى زجاجة دواء زوجتى".، "لابد أن نأخذ الدواء ونقوم بتحليله".

قال لويس بهدوء: "لقد أخذت عينة منه بالفعل، أخذتها هذا المساء قبل تناول العشاء". ومن أحد الإدراج أخرج زجاجة صغيرة، بها سائل أحمر اللون.

قال المفتش كيرى وهو ينظر إليه بفضول: "إنك تفكر فى كل شيء يا سيد سيروكولد".

"إننى أومن بأهمية التصرف السريع. فقد منعت زوجتى الليلة من تناول جرعة الدواء المعتادة، وهذه الجرعة لاتزال هناك فى كوب فوق المنضدة فى الصالة ـ أما زجاجة الدواء نفسها فهى فى غرفة تناول الطعام".

مال كيرى فوق المكتب، وأخفض صوته وتحدث بشكل بعيد عن صفته الرسمية: "أستميحك عذراً يا سيد سيروكولد، ولكن لماذا تحرص على إخفاء الأمر عن زوجتك إلى هذا الحد؟ هل تخشى أن يصيبها الذعر؟ بالتأكيد سيكون ذلك فى صالحها، أيضاً، لو علمت بالأمر؟!".

"نعم ـ نعم ربما يكون ذلك صحيحاً ـ ولكنى لا أظن أنك تفهم الموقف تماماً، فبدون معرفة طبيعة زوجتى كارولين، فسيكون من الصعب عليك فهم الأمر. إن زوجتى شخصية مثالية تماماً، وتثق فيمن حولها ثقة عمياء، فهى حتى لا ترى أن هناك أى شرور فى هذا العالم، ولا تسمع عن الشر، ولا تتحدث عنه. إنها لا تؤمن حتى بوجود الشر، ولن يقنعها أبداً معرفة أن هناك من يسعى إلى قتلها، وليس ذلك فحسب، فالأمر أبعد من ذلك، لأننى عندما أفكر فى الأمر أعتقد أن هذا المجرم ليس مجرد أى شخص عادى، بل ربما كان شخصاً من المقربين إليها للغاية ...".

"أهذا ما تعتقده؟".

"علينا أن نكون واقعيين، فعلى الرغم من أن هذا المكان يعج بأكثر من مائتى شخص منحرفين، غير أسوياء، ممن عبروا عن أنفسهم كثيراً بممارسة العنف بشكل علنى، إلا أنه وحسب الطريقة التى تسير بها الأمور ـ لا يمكن أن يكون أحد من هؤلاء مشتبهاً به فى هذه القضية؛ فلا يمكن أن يدس السم البطىء إلا شخص يعيش هنا باعتباره أحد أفراد الأسرة، وإذا فكرت فى الأشخاص الذين يعيشون فى هذا المنزل ستجد أنهم: زوجها، وابنتها، وحفيدتها، وزوج حفيدتها، وابن زوجها الذى تعتبره فى مكانة ابنها، والآنسة بيلفر رفيقتها المخلصة وصديقتها المقربة منذ سنوات عديدة فجميعهم مقربون إليها، وأعزاء على قلبها ـ وعلى الرغم من ذلك فلابد أن يكون المشتبه به واحداً منهم".

قال كيرى ببطء: "هناك غرباء يمكن ـــــــ".

"نعم، إلى حد ما، فهناك الدكتور مافيريك، وشخص أو اثنان من القائمين على المعهد، غالباً ما يتواجدون معنا، وكذلك يوجد الخدم، ولكن وبصراحة، ليس هناك أى دافع يمكن أن يقود أحدهم إلى مثل هذا الفعل؟".

قال المفتش: "وهناك أيضاً ذلك الشاب، ما اسمه ـ نعم إيدجر لاوسون؟".

"نعم، ولكنه لم يأت إلى هنا كزائر دائم التردد علينا إلا مؤخراً".

"ولكنه شخص غير متوازن ـ ماذا عن مهاجمته لك هذه الليلة؟".

قلل سيروكولد من أهمية هذا السؤال بإشارة من يده.

"إنه يتصرف بطفولية. لم يكن لديه أى نية لإيذائى".

"على الرغم من وجود هاتين الرصاصتين فى الجدار؟ لقد أطلق الرصاص عليك، أليس كذلك؟".

"لم يقصد التصويب علىّ. لقد كان ذلك جزءاً من أداء دور مسرحى".

"ولكن الأمر أخطر من أن يكون أداء دور مسرحى يا سيد سيروكولد".

"إنك لا تفهم الأمر، لابد من أن تتحدث إلى الطبيب النفسى مافيريك. إن إيدجر كان طفلاً غير شرعى، وإن الطريقة التى استرضاها لمواساة نفسه والتخفيف عنها ـ بسبب حرمانه من والده ومن الأصل الكريم ـ هى التظاهر بأنه ابن شخصية معروفة، إنها حالة مرضية شائعة. وقد كانت حالته تتحسن كثيراً، ولكن بعدها ـ ولسبب ما ـ حدثت له انتكاسة، وقد جاءت هذه الانتكاسة فى صورة اعتقاد أننى "والده "، وقام بهجوم مسرحى علىّ مشهراً مسدساً فى وجهى ومهدداً إياى. ولم أكن منزعجاً من ذلك مطلقاً، فعندما أطلق النار، بالفعل،, انهار وأخذ ينتحب، وقد أخذه الدكتور مافيريك وأعطاه مهدئاً. وسيكون فى حالته الطبيعية تماماً فى صباح الغد".

"ألا ترغب فى محاكمته؟".

"سيكون ذلك أسوأ شىء يمكن فعله ـ أعنى بالنسبة له".

"صراحة يا سيد سيروكولد، أرى أنه يجب عليك فرض بعض القيود على هذا الفتى المضطرب ـ فليس مقبولاً بأى حال وجود أشخاص يطلقون النيران هناك وهناك من مسدساتهم للتعبير عن نفسياتهم المريضة، عليك أن تفكر فيما يمثله ذلك من خطورة على المجتمع، وأنت تدرك ذلك". جادله لويس قائلاً: "تحدث إلى دكتور مافيريك فى هذا الأمر؛ فسوف يعطيك وجهة النظر المتخصصة فى هذه الحالة، ثم أضاف: "إن إيدجر البائس لم يقتل جولبراندسن لقد كان موجوداً هنا أثناء حدوث تلك الجريمة، يهددنى بالمسدس".

"تلك هى النقطة التى كنت بصدد تناولها يا سيد سيروكولد، لقد فكرنا فى احتمالية قدوم أحدهم من خارج المنزل، وبدا أنه أى شخص كان قادراً على الدخول من الخارج، وإطلاق الرصاص على السيد جولبراندسن طالما أن الباب المفضى الى الشرفة الخارجية غير مغلق. ولكن داخل المنزل لم يكن هناك فرصة كبيرة لذلك، ويبدو لى على ضوء ما أخبرتنى به أنه ينبغى الانتباه لذلك كثيراً. وربما أنه لم يدرك أحد أنك قد أجريت بالفعل حديثاً منفرداً مع السيد جولبراندسن سوى الآنسة العجوز ماربل، التى كانت بالمصادفة تتطلع إلى الخارج عبر نافذة حجرة نومها، وإن لم يكن هناك من رآكما، فربما تم قتل جولبراندسن لمنعه من إخبارك بما يساوره من شكوك ـ ولا يجب أن نتعجل فى تحديد الدوافع الأخرى لقتله الآن، فهذا شىء سابق للأوان ...، أعتقد أن السيد جولبراندسن كان شخصاً ثرياً، أليس كذلك؟".

"بلى، لقد كان رجلاً ثرياً للغاية، وله أبناء وبنات، وسوف يستفيدون جميعاً من موته، ولكنى لا أعتقد أن أحداً من أسرته هنا فى هذا البلد، وكذلك فإنهم أشخاص محترمون للغاية ولا يمكن أن يقدموا على فعل كهذا. وعلى حد علمى؛ ليس بينهم شخص سيئ السلوك، أو غريب الأطوار".

"هل كان له أية أعداء؟".

"أعتقد أن ذلك الأمر مستبعد كثيراً، لم يكن حقًا من هذا النوع من الرجال".

"إذن، فالشكوك تدور حول من فى هذا المنزل؟! من يعيش داخل المنزل يمكن أن يقتله؟".

قال لويس سيروكولد ببطء: "هذا أمر يصعب علىّ تحديده؛ فهناك الخدم، والأفراد المقيمون بالمنزل، وضيوفنا، وجميعهم ـ من وجهة نظرك ـ مشتبه فيهم على حد اعتقادى، ولكن يمكننى إخبارك على حد علمى، بأن الجميع فيما عدا الخدم كانوا فى الصالة الكبيرة عندما غادر كريستيان وعندما كنت أنا هناك، ولم يترك أحد الصالة".

"لم يغادر أحد مطلقًا؟!".

"أعتقد ـ "، ثم قطب لويس جبينه محاولاً التذكر قبل أن يقول: "لقد تعطلت بعض الأنوار وقد ذهب السيد والتر لرؤية الأمر، وإصلاحها".

"هل هو ذلك الشاب الأمريكى؟".

"نعم، وبالطبع لم أعرف ماذا حدث بعد أن أتيت أنا وإيدجر إلى هنا".

"ألا تستطيع أن توضح لى الأمور أكثر من ذلك يا سيد سيروكولد؟".

هز لويس سيروكولد رأسه نافيًا: "معذرة. إننى لا أستطيع مساعدتك، فالأمر برمته صعب".

تنهد المفتش كيرى وقال:"لقد تم إطلاق الرصاص على السيد جولبراندسن من مسدس آلى صغير. هل تعرف ما إذا كان أحد يمتلك مسدسًا من هذا النوع؟".

"ليس لدى أدنى فكرة، أعتقد أن ذلك غير محتمل".

تنهد المفتش كيرى وقال: "يمكنك إخبار الجميع بأن بوسعهم الخلود إلى النوم، فإننى سأتحدث إليهم غداً".

عندما غادر سيروكولد الغرفة قال المفتش كيرى للمساعد لاك:

"حسنًا ـ ماذا تظن؟".، قال لاك: "إنه يعرف ـ أو يظن أنه يعرف من فعل ذلك".

"نعم أوافقك الرأى، وإنه غير راضٍ عن الأمر مطلقًا ...".

الفصل الحادى عشر

حيّت جينا الآنسة ماربل على عَجَل، عندما نزلت الأخيرة لتتناول الإفطار فى صباح اليوم التالى:

قالت: "لقد أتت الشرطة إلى هنا مرة أخرى، وهم فى المكتبة الآن. إن وولى معجب بهم للغاية. إنه لا يستطيع فهم مدى هدوئهم الشديد وحياديتهم. أعتقد أن وولى مهتم بالأمر كله. أما أنا فلست مهتمة بما حدث، بل أبغضه، فأنا أعتقد أن ما حدث هو شىء مريع للغاية. فى رأيك، لماذا أشعر بهذا الانزعاج إلى هذه الدرجة؟ هل لأننى نصف إيطالية؟".

"هذا احتمال وارد للغاية، فكونك نصف إيطالية قد يفسر على الأقل عدم اكتراثك بإظهار مشاعرك".

ابتسمت الآنسة ماربل قليلاً عندما قالت ذلك لجينا.

قالت جينا، وهى تمسك بذراع الآنسة ماربل، وتقودها إلى غرفة الطعام: "إن جولى فى محنة شديدة. أنا أعتقد ذلك، لأن الشرطة تتولى الأمر، وبالتأكيد، لن تستطيع جولى "إدارتهم "مثلما تدير أى شخص آخر".

وأردفت جينا بحدة وهما يدخلان إلى غرفة الطعام، حيث يجلس الأَخَوان أليكس وستيفن لتناول الإفطار: "أما أليكس وستيفن فلا يعبآن بالأمر".

قال أليكس: "عزيزتى جينا، إنك تظلميننا كثيراً، صباح الخير يا آنسة ماربل، لا، إن الأمر يهمنى كثيراً، ولكنى لا أعرف عمك حتى يبدو علىّ الاهتمام، وعلى الرغم من ذلك إننى ـ إلى حد كبير ـ من المشتبه فيهم، وأعتقد أنك تدركين ذلك".

"لماذا؟".

"حسنًا، يبدو أننى كنت أقود سيارتى الى المنزل فى الوقت الذى قتل فيه، على ما يبدو. ولقد كانوا يبحثون فى هذه الأمور، ويبدو أن وقتًا طويلاً قد مر علىّ بين البوابة الخارجية وحتى وصولى إلى المنزل، وهو وقت يكفى ـ حسب رأيهم لترك السيارة والركض حول المنزل للدخول من الباب الجانبى، وإطلاق الرصاص على كريستيان، ثم الخروج بسرعة والعودة مرة أخرى للسيارة".

"وما الذى كنت تفعله حقًا خلال ذلك الوقت؟".

"لم أعتقد حقًا أن الفتيات الصغيرات اللاتى فى مثل سنك قد يسألن أسئلة قاسية كهذه. على أى حال قد كنت هناك واقفًا أمام سيارتى كالأحمق أحملق فى مصابيحها الأمامية لأشاهد كيف أثر الضباب على شكل الإضاءة مفكرًا ما الأدوات التى قد تمكنى من خلق تأثير مشابه لذلك على خشبة المسرح عند عرض مسرحيتى الجديدة "المنزل الحجرى".

قالت جينا: "ولكن يمكنك أن تخبرهم بذلك!".

"هذا سيحدث بطبيعة الحال، ولكنك تعرفين رجال الشرطة. فتجدينهم يقولون لك بشكل متحضر "شكرًا لك "، ويسجلون جميع أقوالك، إلا أنك لا تعرفين ما الذى يدور بعقولهم، حتى إن المرء ليشعر حقًا بأن لديهم عقولاً متشككة دائمًا".

قال ستيفن بابتسامة خبيثة من شفتيه الرفيعتين: "كم سيكون من المسلى أن تكون من المشتبه بهم يا أليكس، أما أنا فموقفى سليم! فإننى لم أغادر الصالة البارحة".

صاحت جينا: "ولكن لا يمكنهم الاشتباه فى أن يكون القاتل واحدًا من بيننا!".

كانت عيناها السوداوان شاردتين.

قال أليكس وهو يتناول الكثير من المربى: "لا تقولى يا عزيزتى إن المجرم لابد أن يكون مدسوسًا علينا، فهذا شىء مبتذل".

أطلت الآنسة بيلفر من الباب وقالت: "آنسة ماربل، بعد الانتهاء من إفطارك، من فضلك، اذهبي إلى المكتبة".

قالت جينا: "يطلبونك أنت مرة أخرى، قبل أى واحد منا".

بدا كأن ذلك قد جرح شعورها بعض الشىء., سأل أليكس: "مهلاً، ماذا كان ذلك؟".

قال ستيفن: "لم أسمع أى شىء".

"لقد كان صوت طلق نارى".

قالت جينا: "لقد كانوا يطلقون الرصاص فى الغرفة التى قتل فيها العم كريستيان، وفى الخارج أيضًا، ولا أعرف سبب ذلك".

فتح الباب مرة أخرى، ودخلت منه ميلدريد ستريت، وكانت ترتدى رداء أسود مع عقد من العقيق.

ودون أن تنظر إلى أحد من الموجودين غمغمت بتحية الصباح، وجلست. وقالت بصوت خفيض: "أريد القليل من الشاى، من فضلك، يا جينا. لن آكل الكثير ـ بعض الخبز المحمص فقط".

مس-حت ميل-دريد عيني-ها وأنف-ها بلط-ف بالمن-ديل ال-ذى ك-انت تمس-كه ف-ى ي-دها، ث-م رفع-ت عيني-ها ونظ-رت بش-كل غ-ير ملح-وظ للأخ-وين الجالسين. شعر ستيفن وأليكس ببعض الضيق، وانخفض صوتهما وبدا وكأنهما يهمسان ثم نهضا سريعاً، وغادرا الغرفة.

قالت ميلدريد بصوت مرتفع، جعل الآنسة ماربل تشك أن هدفها هو أن يسمع العالم كله ما تقوله: "ألم يكن بمقدورهما على الأقل ارتداء رابطة عنق سوداء؟".

قالت الآنسة ماربل بلهجة من يعتذر: "لا أعتقد أنهما كانا يعلمان مسبقاً بأن هناك جريمة قتل ستقع".

أصدرت جينا صوتاً خافتاً مكبوتا فنظرت إليها ميلدريد بحدة وسألتها: "أين ذهب والتر هذا الصباح؟".

احمر وجه جينا، وأجابت: "لا أعلم، إننى لم أره". ثم جلست هناك وهى فى حالة قلق كأنها طفل مذنب.

همت الآنسة ماربل واقفة وقالت: "سأذهب الى المكتبة الآن".

2

كان لويس سيروكولد يقف هناك فى المكتبة إلى جوار النافذة.

ولم يكن هناك سواه فى الغرفة.

وقد استدار عند دخول الآنسة ماربل إلى داخل الغرفة وتقدم لمقابلتها، وأخذ يدها فى يده.

قال: "آمل ألا تكون الصدمة مازالت تؤثر عليك. فمن المؤكد أنه بمثابة ضغط كبير تواجد الشخص بالقرب من جريمة قتل، خاصة إذا لم يمر هذا الشخص بمثل هذه الظروف من قبل".

غير أن حياء الآنسة ماربل قد منعها من أن تقول له إن جرائم القتل ليست بالشىء الغريب عليها، بل إنها الآن أصبحت معتادة تماماً على هذا النوع من الجرائم، واكتفت بالقول إن الحياة فى قريتها سانت مارى ميد ليست بالحياة المستقرة الآمنة بالقدر الذى قد يعتقده الناس الذين يعيشون خارجها.

وقالت: "تأكد يا سيدى أن هناك أموراً كثيرة غاية فى الوضاعة تحدث فى هذه القرية، وهناك فرصة جيدة للمرء أن يتعرف على أشياء لن يراها مطلقاً فى المدينة".

استمع سيروكولد إليها باهتمام، ولكن كان يوليها نصف سمعه فقط.

قال لها ببساطة شديدة: "إننى فى حاجة إلى مساعدتك".

"بالطبع يا سيد سيروكولد".

"إنه أمر يتعلق بزوجتى ويؤثر عليها ـ يؤثر على كارولين. وأعتقد أنك تحبينها كثيراً، أليس كذلك؟".

"نعم حقاً، فالجميع يحبونها".، "هذا ما كنت أومن به، ولكن بدا أننى كنت مخطئاً. وبعد أن سمح لى المفتش كيرى، سأخبرك بشىء لم يعرفه أى شخص آخر إلى الآن، بل كان هناك شخص واحد فقط يعرف ذلك".

وقد أخبرها بإيجاز بما أخبر به المفتش كيرى الليلة الماضية.

بدت الآنسة ماربل مرتعبة.

"لا أستطيع تصديق ذلك يا سيد سيروكولد، إننى لا أستطيع تصديق ذلك حقاً".

"كان ذلك تماماً نفس شعورى عندما أخبرنى كريستيان جولبراندسن بالأمر".

"لا أصدق أن للعزيزة كارى لويز أعداء، ولو عدواً واحداً فى هذا العالم".

"إن وجود عدو لها أمر لا يصدقه عقل، ولكن، هل تعرفين السبيل إلى ذلك؟ إنه السم ـ السم البطىء ـ وهذا ينبع من داخل أفراد الأسرة التى تجمعها الألفة والمحبة. لابد أن الفاعل هو أحد أفراد أسرتنا شديدة الترابط ـــ".

"وحتى ينجلى هذا الأمر، فهل أنت متأكد من أن السيد جولبراندسن لم يكن مخطئاً فى شكوكه؟".

"كلا لم يكن مخطئاً. إنه حريص لدرجة تمنعه من الإعلان عن ذلك دون وجود أى دلائل، علاوة على ذلك، أخذت الشرطة زجاجة دواء كارولين وعينة أخرى منفصلة عن الدواء، وقد وجدوا أن كلتا العينتين تحتوى على الزرنيخ، وأن الاختبارات الفعلية ستستغرق وقتاً أطول، ولكن أمر وجود الزرنيخ فى الدواء قد ثبت صحته على أى حال".

"إذن فإن الروماتيزم والصعوبة فى السير وكل ذلك ـــ".

"نعم بسبب السم، قد علمت أن تشنجات الساقين لهى تماماً من أعراض التسمم فى هذه الحالة، علاوة على أن كارولين قد تعرضت لنوبتين حادتين من الآلام فى معدتها قبل قدومك إلى هنا ـ ولم أكن أتخيل ذلك مطلقاً حتى أتى كريستيان إلى هنا ـــ". ثم صمت.

قالت الآنسة ماربل بلطف: "إذن فإن روث كانت محقة!".

"روث؟".

بدا لويس سيروكولد مشدوهاً ـ واحمر وجه الآنسة ماربل.

وقالت: "هناك شىء لم أخبرك به. إن مجيئى إلى هنا لم يكن من قبيل المصادفة،

فهلا سمحت لى أن أشرح، معذرة، إننى لا أجيد التعبير عن نفسى ولا أجيد الحكى، فأرجو أن تكون صبوراً معى".

وأصغى لويس سيروكولد لما قالته الآنسة ماربل حول مشاعر القلق والخطورة التى كانت تعترى روث.

قال معلقًا: "إنه أمر غريب حقًا. لم يكن لدىّ أدنى فكرة عن ذلك".

قالت الآنسة ماربل: "كان الأمر كله غريبًا، إن روث نفسها لم تكن تعرف السبب الذى دفعها للشعور على هذا النحو. لكن لابد أن هناك سببًا ـ ومن واقع خبرتى ـ أعرف أنه لابد أن هناك سببًا لكل شىء ـ ولكن قولها "هناك ما يسوء "كان أكثر ما تستطيع التعبير عنه".

قال لويس سيروكولد بتجهم: "حسنًا، يبدو أنها كانت على حق، والآن يا آنسة ماربل، هل ترين موقفى؟ هل أخبر كارى لويز بهذا الأمر، أم لا؟".

قالت الآنسة ماربل بسرعة، وبصوت مرتاع: "أوه، كلا". ثم احمر وجهها، ونظرت متشككة إلى السيد سيروكولد الذى هز رأسه موافقًا إياها.

وقال: "إذن فإن شعورك هذا هو نفس ما شعرت به أنا وهو أيضًا ما شعر به كريستيان جولبراندسن، فهل كان من الممكن أن نشعر بشىء كهذا تجاه امرأه عادية؟".

"كارى لويز ليست امرأة عادية. إن إيمانها بالآخرين وثقتها بهم هما ما يبقيانها على قدر الحياة، وكذلك إيمانها بالفطرة الإنسانية ـ أوه يا عزيزى، إننى لا أجيد التعبير عن نفسى ـ ولكن تلك هى مشاعرى، وأرى أننا حتى يأتى الوقت الذى نكشف فيه هوية من ...".، قاطعها سيروكولد قائلاً: "نعم، هذه هى النقطة المهمة، ولكنك تعرفين، يا آنسة ماربل، أن هناك خطورة أيضًا فى كتمان الأمر ـــ".

"إذن، فأنت تريدنى ـــ كيف أعبر عن ذلك؟ تريدنى أن أراقب كارى لويز وأن أقوم بحمايتها؟!".

قال سيروكولد ببساطة: "فأنت الشخص الوحيد الذى يمكن أن أضع به ثقتى، لأن الجميع هنا يبدون مخلصين لها، ولكن هل هم بالفعل مخلصون لها حقًا كما يبدون؟ ولكنك أنت صديقتها منذ سنوات عديدة مضت".

قالت الآنسة ماربل: "وكذلك فقد وصلت إلى هنا منذ أيام قليلة فقط".

ابتسم لويس سيروكولد، وقال:

"بالتأكيد".

قالت الآنسة ماربل فى أسف: "أعتقد أن الأمر له علاقة بالطمع فى أموالها، ولكن

من هو المستفيد تحديداً من موت كارى لويز؟".

قال لويس بمرارة: "المال! إن الدافع دائمًا يكون هو المال، أليس كذلك؟".

"حسنًا، أعتقد أنه فى هذا الموقف لابد وأن يكون المال هو الدافع. وذلك لأن كارى لويز سيدة لطيفة للغاية، وتتمتع بالكثير من الجاذبية، ولا يستطيع أى شخص أن يتخيل أن هناك من يكرهها، أعنى أنه لا يمكن أن يكون لها أعداء، فالسبب أو الدافع المنطقى لمحاولة قتلها، عندئذ، إنما يعود كما ذكرت إلى المال، وذلك لأن الناس، يا سيد سيروكولد ـ ولا أعتقد أننى فى حاجة لقول هذا لك ـ غالبًا ما يفعلون أى شىء من أجل المال".

"نعم، أعتقد أنك محقة".

ثم أردف قائلاً: "بطبيعة الحال، لقد أخذ المفتش كيرى هذه النقطة فى الاعتبار. إن السيد جيلفوى سوف يصل اليوم من لندن، ويمكننا أن نحصل منه على معلومات مفصلة. تعد مؤسسة جيمس وجيلفوى إحدى أشهر المؤسسات القانونية، وكان والد جيلفوى أحد الأوصياء الرئيسيين على المعهد، كما أن السيد جيلفوى ووالده هما اللذان كتبا وصية كارولين والوصية الأصلية للسيد إيريك جولبراندسن، سوف ألخص لك هذه الأمور ـــ".

قالت الآنسة ماربل بامتنان: "شكرًا لك، فدائمًا ما أرى أن فهم الأمور القانونية أمر مهم فى مثل هذه الحالات".

"لقد تبرع السيد إيريك بإنشاء هذه الكلية، وقدم العديد من المنح الدراسية المختلفة وصناديق التمويل، وغير ذلك أنشأ الكثير من المؤسسات الخيرية. ثم ترك لكل من ابنته ميلدريد وابنته بالكفالة بيبا (والدة جينا) مبلغًا متساويًا من المال، وبعد كل هذه الأعمال الخيرية ترك ما تبقى من ثروته الضخمة تحت الوصاية، على أن تحصل كارولين طوال حياتها على الأرباح التى تدرها هذه الثروة كاملة".

"وماذا بعد وفاتها؟".

"بعد وفاتها يتم توزيع الأموال مناصفة بين ميلدريد وبيبا ـ أو أطفالهما فى حالة وفاتهما قبل كارولين".

"إذن، فالأموال ـ فى الواقع ـ ستذهب إلى كل من السيدة ستريت، وجينا".

"نعم، وبعيدًا عن هذه الأموال تمتلك كارولين أيضًا ثروة كبيرة خاصة بها ـ رغم أنها ليست بنفس قدر ثروة جولبراندسن. وقد كتبت لى نصف هذه الثروة منذ أربع سنوات، تركت عشرة آلاف لجوليت بيلفر مما تبقى، وتم توزيع الباقى بين أليكس وستيفن ريستاريك ابنى زوجها بالتساوى".

قالت الآنسة ماربل: "آه، يا عزيزى، هذا أمر محزن. إنه أمر محزن للغاية".

"ماذا تقصدين؟".

"إن ما أقصده أن جميع من فى البيت إذن لديهم دافع مالى للقيام بذلك".

"نعم، ولكنى رغم ذلك لا يمكننى التصديق بأى حال من الأحوال أن أحداً منهم يمكن أن يقدم على جريمة قتل مثل هذه. فميلدريد هى ابنتها، ويتم الإنفاق عليها بشكل جيد بالفعل، وجينا تحب جدتها للغاية، وهى وإن كانت مبذرة وتنفق الكثير من الأموال، إلا أنها ليست, جشـــعة. وكمـــا تـرين فـإن جولـى بـيلفر متعلقـة بكـارولين بشـكل مبـالغ فيـه. وألـيكس وسـتيفن ريسـتاريك يـهتمان بكـارولين كمـا لـو كـانت والدتهما الحقيقية. نعم، وعلى الرغم من أنهما لا يمتلكان مالاً خاصاً بهما، إلا أن كارولين بالفعل تنفق الكثير من دخلها على تمويل مشاريعهما الخاصة، وتنفق الكثير على مشاريع أليكس بصفة خاصة، ولا يمكن أن أتصور أن يقدم أى منهم على دس السم لها متعمداً حتى يرث أموالها لا يمكننى تصديق شىء من هذا القبيل يا آنسة ماربل".

"وزوج جينا يعيش فى البيت هنا أيضاً، أليس كذلك؟".

أجاب سيروكولد متجهماً: "بلى يوجد زوج جينا".

"إنك لا تعرف الكثير عنه. ولا يملك المرء سوى أن يراه شاباً تعساً للغاية".

تنهد لويس، وقال:

"كلا، إنه غير ملائم هنا، كما أنه ليس مهتماً أو متحمساً مطلقاً لما نحاول فعله، ولكن على أية حال؛ لماذا ينبغى عليه فعل ذلك؟ إنه شاب صغير فى مقتبل العمر، وقد أتى إلينا من بلاد يقاس فيها الرجال بمقدار ما حققوه من نجاحات فى حياتهم".

قالت الآنسة ماربل: "بينما نحن هنا مغرمون تماماً بالفاشلين".

نظر إليها سيروكولد نظرة حادة متشككة.

احمر وجهها وتمتمت بكلام غير مفهوم:

"أعتقد أحياناً أن المرء قد يبالغ فى العمل فى الاتجاه المعاكس.. أعنى أنك إذا أمعنت النظر فى الأمور فسوف تجد أن الشباب الصغار من أبناء الأسر الطبيعية ـ والذين تمت تربيتهم تربية جيدة، فى جو أسري جيد، وزرع آباؤهم بداخلهم قوة الشخصية والإصرار والرغبة على شق طريقهم فى الحياة ـ هم حقاً الشباب الذى يحتاج إليه المجتمع".

قطب لويس حاجبيه مفكراً، فأردفت الآنسة ماربل فى سرعة، وازدادت حمرة وجهها أكثر وأكثر، وتمتمت بكلام غير مفهوم أكثر من ذى قبل.

"هذا لا يعنى أننى لا أقدر ذلك ـ إننى أقدره حقًا ـ إن ما تقوم به أنت وكارى لويز عمل نبيل حقًا ـ عمل عطوف ـ ويجب على المرء أن يكون عطوفًا ـ لأن ذلك رغم كل شىء هو ما يهم ـ إن الأمر لا يعدو سوى حظ سيئ وحظ جيد ـ وهناك الكثير مما هو متوقع من الأشخاص المحظوظين. ولكنى أعتقد فى بعض الأحيان أنه على المرء أن يتمتع بحس إدراك النسبة والتناسب ـ أوه، ولكنى لا أعنيك بذلك يا سيد سيروكولد. حقًا، إننى لا أعرف ما أعنيه ـ ولكن الإنجليز يتسمون بالغرابة، فحتى فى الحروب، نجد أنهم يفتخرون بهزائمهم وخسائرهم أكثر من انتصاراتهم. إن الأجانب لا يستطيعون أبدًا فهم سبب تفاخرنا بـ "دانكريك". إنهم لا يفضلون عدم ذكر ذلك حتى لأنفسهم. ولكننا غالبًا ما نخجل من الانتصار ـ ونتعامل معه وكأنه أمر ليس من اللطيف حقًا التفاخر به. وانظر إلى جميع شعرائنا! إنه أمر غريب حقًا حين تفكر فيه!".

استردت الآنسة ماربل أنفاسها وقالت:

"ما أعنيه الآن حقًا هو أن كل شىء يحدث هنا سيبدو غريبًا بالنسبة للشاب الصغير والتر هود".

قال لويس: "نعم أفهم مقصدك، وأعتقد أن والتر بالطبع له تاريخ طويل فى الحروب، وليس هناك شك فى شجاعته".

قالت الآنسة ماربل: "ولكن ذلك لا يجدى، لأن الحرب شىء والحياة اليومية شىء آخر مختلف تمامًا. وفى واقع الأمر، أعتقد أن ارتكاب جريمة يحتاج إلى شجاعة ـ أو ربما يحتاج أكثر إلى الخداع، نعم يحتاج إلى الخداع".

"ولكن من الصعب القول بأن لدى والتر هود دافعًا لذلك".

قالت الآنسة ماربل "ولِمَ لا؟ فهو يكره وجوده هنا. إنه يرغب فى المغادرة من هنا، ويرغب فى أن تذهب جينا مَن هنا. إن ما يرغب فى الحصول عليه حقًا هو المال. وربما يرى أنه من الضرورى أن تحصل جينا على كل الأموال قبل أن ترتبط بشخص آخر غيره".

قال لويس بصوت مندهش: "ترتبط بشخص آخر!"., تعجبت الآنسة ماربل من العمى الذى أصاب المصلحين الاجتماعيين المتحمسين.

"نعم إنى أعنى ما قلت، فإن كلا من ابنَيْ ريستاريك واقع فى حبها".

قال لويس بعقل شارد: "أوه، لا أعتقد ذلك". ثم أردف قائلاً:

"إن دور ستيفن لا يقدر بثمن فى عملنا ـ إن دوره بالغ الأهمية حقًا. فطريقته التى يجمع بها هؤلاء الصبية الأحداث معًا، ويجعلهم حريصين على العمل، وشغوفين به مذهلة حقًا. لقد أدى هؤلاء الصبية عرضًا رائعًا الشهر الماضى، فقد كانت المشاهد رائعة، وكذلك كانت أزياؤهم، وكل شىء فى العرض، وهذا يبين ـ كما أقول دائمًا

لمافيريك ـ أن نقص مشاهدتهم للدراما فى حياتهم هو ما يدفع هؤلاء الصبية إلى ارتكاب الجرائم. فالطفل بفطرته يحاول إيجاد دور درامى لنفسه. ومافيريك يقول ـ آه، نعم مافيريك ـــ".

ثم توقف:

"أود أن يتحدث الطبيب مافيريك مع المفتش كيرى بشأن إيدجر، إن الأمر برمته فى غاية السخافة حقاً".

"ما الذى تعرفه حقاً عن إيدجر لاوسون يا سيد سيروكولد؟".

قال لويس بإيجابية: "أعرف عنه كل شىء، كل شىء يمكن أن يحتاج المرء إلى معرفته عن شخص ما؛ بيئته، ونشأته، وشعوره العميق بعدم الثقة بالنفس ـــ".

قاطعته الآنسة ماربل قائلة: "ألا يمكن أن يكون إيدجر لاوسون هو الذى دس السم للسيدة سيروكولد؟".

"هذا أمر مستبعد. لقد جاء إلى هنا منذ بضعة أسابيع فقط، وعلى أى حال فهذا أمر سخيف وغير منطقى! ما الذى يدفع إيدجر إلى دس السم لزوجتى؟، ماذا عساه أن يجنى من فعلٍ كهذا؟".

"أعلم أنه لن يجنى أى شىء مادى. ولكن ربما تكون لديه ـ أسبابه الشاذة، فإنه نفسه شخص غريب شاذ، كما تعلم".

"هل تعنين أنه مضطرب؟".

"أعتقد ذلك. كلا لا أعتقد ـ ليس هكذا تماماً. إن ما أعنيه هو أنه غير طبيعى على الإطلاق".

لم تكن هذه العبارة تعكس كل ما تشعر به نحوه بالضبط، ولكن لويس استطاع قراءة كلماتها غير المنطوقة من خلال قسمات وجهها وتعبيراته.

وقال متنهداً: "نعم، إنه غير طبيعى ذلك المسكين. وقد كان يُظهر تحسناً كبيراً، ولا أدرى حقاً ماذا ألمّ به وتسبب فى هذه الانتكاسة على نحو مفاجئ".

انحنت الآنسة ماربل إلى الأمام بحماس وقالت: "هذا ما أتساءل عنه. إذا ـــ".

ثم توقفت عن الحديث عندما دلف المفتش كيرى إلى الحجرة.,

الفصل الثانى عشر

انصرف لويس سيروكولد، وجلس المفتش كيرى وابتسم إلى الآنسة ماربل ابتسامة غامضة.

قال: "إذن فقد طلب منك السيد سيروكولد أن تكونى الملاك الحارس لها؟!".

قالت معتذرة: "نعم، فى الواقع. آمل ألا يكون لديك مانع ـــ".

"ليس لدىّ مانع. أعتقد أنها فكرة جيدة للغاية".

"هل يعرف السيد سيروكولد مدى كفاءتك فى هذه المهمة؟".

"لا أفهمك تمامًا، سيدى المفتش".

"أرى ذلك. إن السيد سيروكولد يعتقد أنك مجرد سيدة عجوز لطيفة، كانت زميلة لزوجته فى المدرسة "، ثم هز رأسه نافيًا قبل أن يقول: "ولكننا نعلم أنك أكثر من ذلك يا آنسة ماربل، أليس كذلك؟".

فالجريمة كثيرًا ما اعترضت طريقك. أما السيد سيروكولد فيعرف جانبًا واحدًا فقط من الجريمة؛ جريمة الأحداث الواعدين "هؤلاء المشاريع "الذين يعمل على إصلاحهم، والأمر الذى يجعلنى أشعر بالإعياء قليلاً فى بعض الأحيان. ربما أكون مخطئًا فى موقفى هذا، ومن طراز قديم، ولكن هناك الكثير من الصبية الصالحين، صبية يمكنهم أن يحققوا شيئًا إذا ساعدهم شخص على بدء حياتهم، ولكن ـ وحتى أكون أمينًا معك ومع نفسى ـ فإن الأثرياء لا يتركون الأموال لمن يستحقونها. حسنًا، حسنًا، لا تهتمى كثيرًا لما أقول، فإننى رجل من طراز قديم. لقد رأيت صبيانًا ـ وفتيات ـ يقف كل شىء فى طريقهم؛ منازل سيئة، وحظ سيئ، وظروف سيئة، ورغم ذلك، فقد نجحوا فى تحقيق أشياء صغيرة نافعة فى حياتهم. فهذا النمط من الشباب هو من يستحق أن أترك له أموالى، إذا كنت أمتلك أموالاً، ولكن هذا بالطبع ما لا أملكه، فإننى لا أملك إلا معاشى، وحديقة صغيرة لطيفة.

وأومأ برأسه إلى الآنسة ماربل:

"لقد أخبرنى المفتش بلاك عنك كثيرًا الليلة الماضية. وقال إنك تتمتعين بخبرة كبيرة فيما يتعلق بالجانب السيئ من الطبيعة البشرية. حسنًا، والآن، فلنتعرف على وجهة نظرك عن الشىء الذى يلدغ خلسة دون أن يراه أحد؛ هل هو العقرب الأمريكى؟".

قالت الآنسة ماربل: "سيكون ذلك هو الشيء المقنع لكل فرد".

ابتسم المفتش كيرى برقة بينه وبين نفسه.

ثم قال فى حالة من التذكر: "لقد لدغ العقرب أفضل فتاة لدىّ". وأردف قائلاً: "من الطبيعى ألا أكون متسرعًا فى إصدار الأحكام، لكن أسـلوب هـذا العقـرب لـم يكـن علـى مـا يـرام، وإذا تحـدثنا مـن وجـهة نظـر منطقيـة، فمـن يسـتطيع دس السـم للسـيدة سـيروكولد خلسـة، وبطريقة منتظمة؟".

قالت الآنسة ماربل: "حسنًا، يميل المرء دائمًا وهذا حال الطبيعة البشرية ـ إلى التفكير فى الزوج، أو التفكير فى الزوجة إذا انعكس الموقف. هذا هو الافتراض الأول فى حالات التسمم، أليس كذلك؟".

قال المفتش كيرى: "أوافقك الرأى تمامًا".

قالت الآنسة ماربل وهى تهز رأسها نافية: "ولكن، فى هذه الحالة ـ لا أستطيع بصراحة الشك فى السيد سيروكولد؛ فهو، كما ترون، شديد الإخلاص لزوجته، ومن الطبيعى أن يحاول التظاهر بذلك ـ لكن ما يفعله ليس بتظاهر ـــ إنه إخلاص حقيقى. إنه يحب زوجته، وإننى على يقين تام من أنه لم يدس السم لها".

"نعترف بأنه ليس لديه الدافع للقيام بذلك ـ فقد وهبته نصف ثروتها بالفعل".

قالت الآنسة ماربل مؤكدة: "بالطبع هناك دوافع أخرى قد تدفع الرجل إلى الرغبة فى التخلص من زوجته وإزاحتها من طريقه؛ كأن يرتبط بعلاقة مع فتاة صغيرة مثلاً. ولكن لا أرى حقًا دلائل على ذلك فى قضيتنا هذه. فالسيد سيروكولد لا يتصرف بشكل يوحى بأنه, مرتبط عاطفيًا. إنه لأمر محزن حقًا". وقد بدت وكأنها حزينة وأردفت قائلة: "علينا استبعاده من شكوكنا".

قال المفتش وهو يبتسم: "أمر محزن أليس كذلك؟".

وعلى أى حال، لا يمكن أن يكون هو قاتل جولبراندسن، ويبدو لى، بلا شك، أن هناك شيئًا مشتركًا يربط بين الحدثين، فالذى كان يسمم السيدة سيروكولد هو قاتل جولبراندسن. وقد قتله حتى يمنعه من إفشاء الأمر، وما علينا الوصول إليه، الآن، هو الشخص الذى كانت الفرصة سانحة له لقتل جولبراندسن ليلة أمس. والمشتبه به الأول ـ والذى لا مجال للشك بشأنه ـ هو والتر هود. فهو الذى أضاء مصباح القراءة، وهو الذى تسبب فى عطل الكهرباء وانقطاعها، ومن هنا وجد الفرصة لمغادرة الصالة بحجة الذهاب إلى صندوق المقابس، وهذا الصندوق موجود فى الممر المؤدى إلى المطبخ والذى يفتح على الممر الرئيسى. وقد سُمعَت الطلقة وقت اختفائه من الصالة. فهذا هو المشتبه به الأول، فقد كان مكانه مناسبًا تَمامًا لارتكاب الجريمة".

سألت الآنسة ماربل: "وماذا عن المشتبه به الثانى؟".

"المشتبه به الثانى هو أليكس ريستاريك، الذى كان بمفرده فى سيارته بين البوابة الخارجية والبيت، وقد استغرق وقتًا طويلاً فى الوصول إلى هنا".

انحنت الآنسة ماربل إلى الأمام بشغف وقالت: "هل من مشتبه به آخر؟ إنه أمر لطيف منك للغاية أن تخبرنى بكل ذلك".

قال المفتش كيرى: "هذا ليس لطفًا فسوف أحصل على مساعدتك، ولقد وضعت يديك على نقطة مهمة عندما سألت: "هل من مشتبه به آخر؟ "؛ لأننى هنا سوف أعتمد عليك. لقد كنت هناك، فى الصالة ليلة البارحة ويمكنك أن تخبرينى بمن تركها ...".

"نعم ـ نعم، لابد أن أكون قادرة على إخبارك بذلك .... ولكن هل سأستطيع ذلك؟ أنت تعرف الظروف حينها ـــ".

"تعنين أنكم جميعًا كنتم تنصتون إلى ذلك الشجار الذى كان يدور خلف باب حجرة مكتب السيد سيروكولد أليس كذلك؟".

أومأت الآنسة بحماس.

"نعم فقد كنا جميعًا خائفين حقًا، فقد بدا أن السيد لاوسون قد جن جنونه، لقد شعرنا جميعًا بالرعب مما كان يحدث، فيما عدا السيدة سيروكولد، فقد بدت غاية فى الهدوء ورباطة الجأش وغير متأثرة تمامًا بالأمر. لقد خشينا أن يقدم لاوسون على فعل أحمق، ويؤذى السيد سيروكولد، فقد كان يصرخ ويتلفظ بعبارات شنيعة، وكنا نسمعها جميعًا بوضوح شديد، وفى هذه الظروف، وخاصة بعد انطفاء الأنوار ووجودنا فى الظلام، لم أنتبه مطلقًا لأى شخص آخر".

"أتعنين بذلك أنه كان بوسع أى شخص الخروج من الصالة خفية أثناء هذا الجدال، وأن يعبر الممر، ويطلق الرصاص على السيد جولبراندسن، ثم يرجع مرة أخرى دون أن يلحظه أحد؟".

"أعتقد أن ذلك ممكن".

"من هم الأشخاص الذين يمكنك أن تجزمى بعدم مغادرتهم الصالة بشكل مؤكد؟".

فكرت الآنسة ماربل:

"يمكن القول بأن السيدة سيروكولد ظلت هناك ـ لأننى كنت أشاهدها. كانت تجلس بالقرب من حجرة المكتب، ولم تتحرك مطلقًا من مقعدها، وكم أدهشتنى قدرتها على الحفاظ على هدوئها ورباطة جأشها فى موقف كهذا".

"وماذا عن الآخرين؟".

"وقد خرجت الآنسة بيلفر ـ ولكن أعتقد، كلا إننى على يقين ـ إنها خرجت بعد

إطلاق الرصاص. أما ميلدريد لا أدرى حقًا موقفها، فقد كانت تجلس خلفى ولم أستطع رؤيتها، وكانت جينا تجلس عند النافذة البعيدة. وأعتقد أنها ظلت طوال الوقت هناك، ولكنى لا أستطيع التأكيد على ذلك بشكل قاطع، وكان ستيفن يجلس إلى البيانو، لكنه توقف عن العزف ـ عندما بدأ الشجار ـ حتى يتمكن من سماع ما يحدث ـ".

قال المفتش كيرى: "ينبغى ألا ننخدع بالوقت الذى سمعتم فيه صوت الرصاصة، فهذه خدعة تم استخدامها من قبل. إنهم يطلقون رصاصة زائفة بحيث يتم تحديد وقت وقوع الجريمة، ويكون تحديداً خاطئًا. إذا كانت الآنسة بيلفر قد اختلقت حيلة كهذه (على الرغم, من أنه احتمال بعيد، لكن كل شىء ممكن) فإنها يمكن، حينها، أن تغادر الصالة، كما فعلت، أمام جميع الحاضرين بعد سماع صوت الرصاصة. كلا إننا لا يمكننا الاعتماد على الرصاصة واعتبارها الدليل القاطع. إن المدة الزمنية التى وقعت خلالها الجريمة تمتد بين مغادرة كريستيان جولبراندسن للصالة ولحظة عثور الآنسة بيلفر عليه مقتولاً، ولا يمكن أن نستبعد أى شخص عن دائرة الاتهام سوى هؤلاء الذين لم تكن أمامهم أى فرصة لارتكاب الجريمة، وهؤلاء ينحصرون فى لويس سيروكولد وإيدجر لاوسون، اللذين كانا فى حجرة المكتب، والسيدة سيروكولد التى كانت تجلس فى الصالة. إنه لمن سوء الحظ قطعاً أن يقتل جولبراندسن فى الليلة ذاتها التى وقع فيها ذلك الشجار بين سيروكولد والشاب لاوسون".

قالت الآنسة ماربل متمتمة: "هل تعتقد أنه مجرد سوء حظ؟".

"أوه؟ ماذا تعتقدين؟".

غمغمت الآنسة ماربل: "أعتقد أن ذلك الشجار كان مرتبًا".

"هل تعتقدين ذلك؟".

"حسـنًا، لقـد بـدا علـى الجمـيع الدهشـة مـن تعـرض إيـدجر لانـهيار مفـاجئ كـهذا، إن صـح القـول بأنـه يعـانى مـن تلـك العقـدة ـ أو أيًا كـان المصطلح الذى يطلق عليها ـ حول أبيه غير المعروف. إن وينستون تشيرشل وفيسكونت مونتوجمرى من الشخصيات التى يمكن أن تكون محتملة تماماً فى مثل حالته العقلية؛ فهو يختار أى شخصية مشهورة تخطر بباله ويقول: إنها أبوه. ولكن على افتراض أن هناك من أدخل إلى رأسه فكرة أن لويس سيروكولد هو والده الحقيقى، وأن لويس سيروكولد هو الذى كان يقوم بمطاردته واضطهاده، وأن له الحق فى أن يكون أمير ستونى جيتس بأكملها، وسوف يتقبل شخص فى مثل حالته العقلية فكرة مثل هذه دون تردد، مما يزيد من تفاقم الموقف ومن حدة الأمور بداخله، وسيضمن من أدخل إلى رأسه مثل هذه الفكرة أن لاوسون آجلاً أو آجلاً سيفعل ما فعله، ويقدم ذلك المشهد المثير، وكان ذلك بمثابة ستار رائع! حيث سوف يركز الجميع انتباههم على الموقف الخطير الذى يتصاعد ـ خاصة إذا كان أحدهم قد أمده بمسدس".

"م م م، نعم، إنه مسدس والترهود، أليس كذلك؟".

"أوه، نعـــم لقـــد فكـــرت فـى ذلـك، ولكـن تعـرف أن والتـرهود غـير اجتمـاعي، كمـا أنـه حـاد الـمزاج، ولكنـى لا أعتقـد حـقًا أنـه شـخص بـهذه الحماقة".

"إذن، فأنت لا تعتقدين أنه والتر، أليس كذلك؟".

"أعتقد أن الجميع يريدون تصديق أن والتر هو الفاعل لأن ذلك سوف يشعرهم بارتياح، وعلى الرغم من أن ذلك أمر قاسٍ وصعب، إلا أن ذلك سوف يخفف من حدته، لأنه من خارج العائلة".

سألها المفتش كيرى: "وماذا عن زوجته؟ هل كانت ستشعر بارتياح كذلك؟".

لم تجب الآنسة ماربل، حيث كانت تفكر فى جينا وستيفن وهما يقفان معًا عندما رأتهما أول مرة، وفكرت أيضًا كيف أن عينى أليكس ريستاريك ذهبتا مباشرة إلى جينا ليلة أمس عندما دخل إلى الصالة لكن، تُرى ما موقف جينا؟

2

بعد مضى ساعتين اتكأ المفتش كيرى بمقعده إلى الوراء ثم تنهد.

"حسنًا لقد وَضحَ لنا الكثير من الأمور".

وافقه المحقق لاك.

وقال: "إن الخدم الذين يقيمون فى المنزل خارج الشبهات، فقد كانوا مع بعضهم جميعًا خلال اللحظة الفاصلة، أما الخدم الآخرون ممن لا يقيمون فى المنزل فإنهم كانوا قد انصرفوا".

أومأ كيرى برأسه، فقد كان يعانى من إرهاق ذهنى.

حقق مع أخصائى العلاج النفسى وأعضاء هيئة التدريس، وكذلك مع من يُطلق عليهما ـ بينه وبين نفسه ـ "الشابين الصغيرين "، اللذين, تناولا العشاء مع العائلة فى تلك الليلة. فقد تم تحليل روايتيهما والتأكد من صحتهما، حيث كانتا غير ذات أهمية، وكانت أنشطتهما وعاداتهما تتعلق بالمجتمع، فليس من بينهما من يعانى من روح عدائية، وقد كان ذلك مفيدًا فى إثبات حجة غيابهما عن موقع الجريمة. ولكن كيرى لم يستجوب دكتور مافيريك بعد، والذى ـ فى اعتقاده الشخصى ـ هو المسئول الأول عن المعهد، فقد أرجأ أمر استجوابه إلى النهاية.

"ولكننا سنستجوبه الآن يا لاك".

وهكذا فقد دلف الطبيب الشاب، وبدا أنيق المظهر مهندم الثياب، ينظر بشىء من

الحدة من خلف نظارته.

أكد مافيريك على صحة أقوال فريق عمله، واتفق مع كيرى فى استنتاجاته. لم يكن هناك شك أو شبهات حول نزاهة الكلية؛ فلا يمكن إيعاز موت كريستيان جولبراندسن إلى "المرضى الصغار "، كما كان يلقبهم كيرى الذى كان معجباً بمستوى المناخ الطبى هناك".

قال الدكتور مافيريك، مبتسماً ابتسامة صغيرة: "ولكن المرضى لم تتحسن حالتهم مطلقاً يا سيدى المفتش".

لقد كانت ابتسامة متعالية، ولن يكون المفتش كيرى مثل باقى البشر ما لم يتحفظ عليها، ولو قليلاً.

فقال بشكل محترف:

"والآن ماذا عن تحركاتك الخاصة يا دكتور مافيريك، هل يمكنك أن تفيدنى فيما يخص تحركاتك؟".

"بالطبع. فلقد كتبت تحركاتى لك فى أوقات تقريبية لحدوثها".

لقد غادر دكتور مافيريك الصالة فى التاسعة وخمس عشرة دقيقة، وكان ذلك بصحبة الدكتور لاسى ودكتور باومجارتن، وقد ذهب ثلاثتهم إلى غرفة دكتور باومجارتن، حيث ظلوا هناك لمناقشة بعض أساليب العلاج حتى أتت الآنسة بيلفر مسرعة، وطلبت من الطبيب مافيريك القدوم إلى الصالة الكبرى، وكان ذلك تقريباً فى حوالى التاسعة والنصف. وذهب على الفور إلى الصالة، ووجد إيدجر لاوسون هناك منهاراً.

تحرك المفتش كيرى قليلاً، وقال:

"دقيقة واحدة يا دكتور مافيريك. هل هذا الشاب الصغير فى رأيك يعانى بشكل مؤكد من حالة نفسية مرضية؟".

ابتسم الطبيب مافيريك ابتسامة متعالية مرة أخرى، وقال:

"إننا جميعاً نعانى من حالات نفسية مرضية يا سيدى المفتش".

فكر المفتش فى أن إجابته سخيفة حقاً، فالمفتش يعلم جيداً أنه لا يعانى من حالة نفسية، وهو واثق فى ذلك، أما الطبيب مافيريك فهو أدرى بحاله!

"هل هو مسئول عن تصرفاته؟ هل يدرك ما يفعله؟".

"تماماً".

"إذن فإنه عندما أطلق الرصاص على السيد سيروكولد كانت هذه قطعاً محاولة

لقتله".

"كلا، كلا أيها المفتش كيرى. لم تكن شيئًا من هذا القبيل".

"لا تحاول يا دكتور مافيريك، لقد رأيت أثر الرصاصتين على الجدار. فلابد أنهما كانتا قريبتين من رأس السيد سيروكولد بشكل خطير".

"ربما، ولكن لم يكن لدى لاوسون النية لقتل السيد سيروكولد أو حتى لجرحه. إنه مفتون ومعجب جداً بالسيد سيروكولد".

"ولكنها تبدو طريقة غريبة لإظهار هذا الإعجاب".

ابتسم دكتور مافيريك مرة أخرى، ووجد المفتش كيرى هذه الابتسامة مختلفة.

"كل شيء يفعله المرء هو شيء إرادى. فكل مرة تنسى فيها أيها المفتش اسم أو وجه شخص، فذلك لأنك ـ لا إراديا ـ رغبت فى ذلك"., نظر إليه المفتش غير مصدق.

"فكل مرة يَزِلُّ فيها لسانك بشيء لم ترغب قوله فهذا له معنى. لقد كان إيدجر لاوسون يقف على بُعد أمتار قليلة من السيد سيروكولد، كان من الممكن بسهولة أن يرديه قتيلاً. ولكن بدلاً من ذلك، أخطأ فى التصويب عليه، لماذا؟ لأنه أراد ذلك. إن الأمر بهذه البساطة. لم يكن هناك أى خطر يهدد السيد سيروكولد ـ وكان السيد سيروكولد يعلم ذلك علم اليقين. إنه يتفهم موقف إيدجر تماماً. إنه موقف دفاع وازدراء لهذا العالم الذى أنكر عليه أبسط احتياجات طفل فى الحياة ـ الأمان والحب".

"أعتقد أنى أود مقابلة ذلك الشاب".

"بالتأكيد إذا رغبت. إن انفجاره الليلة الماضية كانت له آثاره الجيدة فى تخليصه من ضغوطه. وقد تحسنت حالته اليوم. وسوف يسعد السيد سيروكولد لذلك".

حملق فيه المفتش كيرى بحدة، ولكن الطبيب مافيريك كان جاداً كعادته.

تنهد كيرى.

وسأل: "هل لديك سم زرنيخ؟".

"زرنيخ؟". قالها وقد بدا أن السؤال قد أدهش الطبيب مافيريك، فلم يكن متوقعًا تمامًا: "يا له من سؤال غريب للغاية. لماذا تسأل عن الزرنيخ؟".

"من فضلك أجب عن السؤال فقط".

"كلا ليس لدىّ زرنيخ من أى نوع فى حوزتى".

"ولكن لديك بعض العقاقير، أليس كذلك؟".

"أوه بالتأكيد أدوية مهدئة، مورفين، ومسكنات البربيتوريت. إنها الأدوية المعتادة".

"هل تشرف على علاج السيدة سيروكولد؟".

"كلا، فالطبيب جانتر هو طبيب العائلة. إننى أحمل، بالطبع، شهادة طبية عامة، لكننى متخصص فقط فى الطب النفسى".

"حسنًا فهمت، شكرًا لك يا دكتور مافيريك".

وحينما انصرف الدكتور مافيريك، تمتم المفتش إلى لاك بأن الجلوس مع الأطباء النفسيين يجعله يشعر بألم فى رقبته.

"سوف ننتقل إلى أفراد الأسرة الآن، سألتقى مع والتر هود أولاً".

كان والترهود حذرًا فى موقفه، وقد بدا كما لو كان يتفحص رجل الشرطة بتعبيرات غريبة. ولكنه قد أبدى تعاونًا تامًا.

لقد كانت هناك أسلاك كثيرة تالفة فى ستونى جيتس ـ حيث كان النظام الكهربى بها بأكمله قديمًا للغاية، ولم يكونوا يسمحون بوجود نظام مثل هذا فى الولايات المتحدة.

قال المفتش كيرى بابتسامة ذابلة: "لابد وأنه تم تركيبه فى أيام السيد جولبراندسن الراحل على ما أعتقد، عندما كانت الكهرباء لا تزال اختراعًا جديدًا؟".

"نعم، هذا صحيح، فشخص إنجليزى عجوز إقطاعى لطيف مثله لا يهتم أبدًا بتحديث الأشياء".

إن مقبس الكهرباء الذى كان مسئولاً عن إضاءة معظم الأضواء فى الصالة الكبرى قد تلف، وقد ذهب إلى صندوق المقابس ليستطلع الأمر، وخلال الأحداث قام بإصلاحه، وعاد مرة أخرى.

"ما المدة التى استغرقتها خارج الصالة؟".

"لا أستطيع تحديد ذلك بشكل جازم. فلقد كان صندوق المقابس فى مكان غريب. وكان علىّ صعود الدرج والحصول على شمعة. ربما استغرق الأمر عشر دقائق ـ أو ربما ربع ساعة".، "هل سمعت صوت الرصاص؟".

"كلا، لم أسمع شيئًا من هذا القبيل. هناك بابان مزدوجان يؤديان إلى المطبخ؛ أحدهما مغطى كله باللباد".

"أرى ذلك، وماذا رأيت عندما عدت مرة أخرى إلى الصالة؟".

"كانوا جميعًا مجتمعين عند الباب المؤدى إلى حجرة مكتب السيد سيروكولد. وقد قالت السيدة ستريت إنه تم إطلاق الرصاص على السيد سيروكولد ـ ولكن فى واقع

الأمر لم يحدث ذلك، فقد كان السيد سيروكولد على خير حال. فقد أخطأ الأحمق إصابته".

"هل تعرفت على المسدس؟".

"بالتأكيد تعرفت عليه، فهو مسدسى".

"متى كانت آخر مرة رأيته فيها؟".

"منذ يومين أو ثلاثة أيام مضت".

"أين تحتفظ به؟".

"فى أحد الأدراج داخل غرفتى".

"من الذى يعلم أنك تحتفظ به هناك؟".

"لا أعلم من يعرف الأشياء التى داخل هذا المنزل".

"ماذا تعنى بذلك يا سيد هود؟".

"إنهم جميعاً مجانين هنا!".

"عندما عدت إلى الصالة، هل كان الجميع متواجدين بها؟".

"ماذا تعنى بالجميع؟".

"نفس الأشخاص الذين كانوا هناك عندما غادرت لإصلاح الكهرباء".

"كانت جينا هناك.. والسيدة العجوز ذات الشعر الأبيض ـ الآنسة بيلفر ـ ولكننى لم ألحظ بشكل دقيق ..".

"لقد وصل السيد جولبراندسن بشكل غير متوقع أول أمس، أليس كذلك؟".

"أعتقد ذلك، لقد علمت أنه لم يأت فى موعده المعتاد".

"هل بدا أى شخص منزعجاً من وصوله؟".

فكر والتر هود لبرهة قبل أن يجيب:

"كلا، لا أستطيع تأكيد ذلك".

مرة أخرى كان هناك لمحة حذر فى أسلوبه.

"هل لديك أى فكرة عن سبب مجيئه؟".

"أعتقد أن السبب هو معهد جولبراندسن الذى يهتمون به كثيراً. فالأمر كله هنا يثير الجنون".

"لكن هناك مثل تلك المعاهد والمؤسسات فى الولايات المتحدة".

"يوجد هناك مؤسسة لتنفيذ البرامج، وأخرى لإضافة اللمسات الإنسانية على الأمور، كما يفعلون هنا. لقد نلت ما يكفينى من الأطباء النفسيين فى الجيش. وهذا المكان مكتظ بهم. إنهم يُعلّمون السفاحين الصغار كيفية صنع السلال ونحت أرفف الدواليب. إنه لعب, أطفال! هذا كله هراء!".

لم يبد المفتش كيرى أى تعليق على هذا النقد فربما يتفق معه.

قال وهو يرقب والتر بعناية:

"إذن، فليست لديك أية فكرة عن هوية قاتل السيد جولبراندسن؟".

"من الممكن أن يكون أحد هؤلاء الأولاد النابغين فى المعهد قد مارس أسلوبه فى ارتكاب الجرائم".

"كلا يا سيد هود، فهؤلاء خارج الشبهات، فعلى الرغم من أن هناك قدراً من الحرية فى المعهد، إلا أنه أقرب إلى المعتقل، وتتم إدارته على هذا الأساس. لا يمكن لأحد الدخول إليه أو الخروج منه بعد حلول الظلام ليتمكن من ارتكاب جريمة قتل".

قال والتر: "ولكن شكوكى لا تذهب بعيداً عنهم! حسناً. إذا كنت تلصق الأمر بالمنزل، فأنا أؤكد لك أن الرهان الرابح سيكون على أليكس ريستاريك".

"لِمَ تقول ذلك؟".

"لقد كانت لديه الفرصة لفعلها؛ فقد كان يقود سيارته بمفرده عبر الحديقة".

"وماذا يمكن أن يكون دافعه لقتل كريستيان جولبراندسن؟".

هز والتر كتفيه بعدم اهتمام وقال:

"إننى غريب هنا. ولا أعرف شئون العائلة. ربما كان العجوز جولبراندسن قد سمع شيئاً عن أليكس، وكان يريد أن يخبر الزوجين سيروكولد بالأمر".

"وإلى ماذا يمكن أن يؤدى ذلك؟".

"ربما يمنع عنه المال. إن بوسعه الآن الحصول على المال، وهو يستغل الكثير منه بالفعل".

"تعنى فى أعماله ومشاريعه المسرحية؟!".

"هل يسميها كذلك؟".

"هل تريد التلميح بأنها غير ذلك؟".

ومرة أخرى هز والتر كتفيه، وقال: "وكيف لى أن أعرف؟".

الفصل الثالث عشر

كان أليكس ريستاريك كثير المزاح، وكان يكثر من الإشارة بيديه أثناء كلامه.

قال أليكس: "أعرف، أعرف! فأنا المشتبه الأول، لقد قدت سيارتى إلى هنا بمفردى، وقد هبط علىّ وحى الإبداع وأنا فى طريقى إلى المنزل. لا أنتظر منك فهم ما أقوله، فكيف لك أن تفهم؟".

قال المفتش كيرى بتحفظ: "ربما أفهم "، فاسترسل أليكس ريستاريك فى حديثه، قائلاً:

"لقد انتابتنى واحدة من نوبات الإبداع تلك التى لا تأتى كثيراً، والتى لا تعرف متى هبطت عليك، وكيف حدث ذلك ...؟ إنه نوع من التأثير، أو ربما فكرة تتبادر إليك، فينصب كل تركيزك عليها وتهمل ما سواها. إننى أعمل على إنتاج مسرحية سيتم عرضها الشهر القادم. وفجـأة وجـدت أمـامى ليلـة أمـس مـا يصـلح لـيكون ديكـوراً غايـة فـى الروعـة، حـيث كـانت الأضـواء تلمـع بشـكل جيـد، حـيث كـانت تلـك الأضواء تقطع الضباب وتلقيه خلفها، مما يترك انعكاساً باهتاً على أسطح مجموعة عالية من الأبنية. لقد كان كل عنصر من هذه العناصر يساعد على استكمال الصورة فى مخيلتى. صوت الرصاص، وقع خطوات الجرى، وصوت المحرك الذى يعمل بالطاقة الكهربية، والذى ربما كان صوت محرك زورق بيجر فى نهر التيمز، وعندئذ، ظننت أنى قد وجدتها، وجدت الفكرة التى تتناسب مع مسرحيتى، ولكنى سألت نفسى، ما الذى ينبغى فعله للحصول على نفس هذه المؤثرات؟ ثم ...".

قاطعه المفتش كيرى قائلاً: "هل سمعت صوت طلقات، وأين سمعتها؟".

قـال أليـكس: "لقـد أتـى الصـوت مـن الضـباب، أيـها المفتـش". ثـم أضـاف مـلـوحاً بيـده: "مـن خـارج الضـباب. وهـذا هـو الـجزء الـرائع فـى المسرحية".

قال المفتش: "ألم يخطر ببالك أنه ربما قد وقع ما يسوء؟".

"ربما قد وقع ما يسوء؟! ولماذا أفكر فى ذلك؟".

"هل سماع صوت طلقات نارية أمر عادى إلى هذه الدرجة؟!".

"آه، كنت أعلم أنك لن تفهمنى! لقد كان صوت الطلقات شيئاً يتناسب مع مشهد مسرحيتى الجديدة الذى أريد ابتكاره. كنت أرغب فى وجود طلقات نارية، كنت أريد

إحداث حالة من الإثارة، أو القيام بتصرف جنونى. وكل ما كنت أهتم به هو كيف يتم إعداد ذلك؟ هل كان هذا الصوت صادراً من عادم شاحنة تسير مسرعة على الطريق؟ أم من خلال مطاردة للص يركض خلف أرانب لصيدها؟".

"غالبًا ما ينصبون الشراك للأرانب هنا".

استمر أليكس:

"هل هو طفل يطلق ألعابًا نارية؟ حتى هذه لا أعتقد أنها سوف تكون مثيرة مثل حدوث طلقات نارية. كنت أعيش داخل المسرحية ـ بل إننى خلف المقاعد ـ أشاهد المسرحية".

"كم عدد الطلقات التى سمعتها؟".

أجاب أليكس بأسلوب جاف: "لا أدرى... اثنتان أو ثلاث. لقد أُطلقت اثنتان معًا فى نفس الوقت، نعم أستطيع تذكر ذلك بالفعل".

أومأ المفتش كيرى وقال: "وماذا عن صوت الخطوات التى تجرى، أظن أنك ذكرت ذلك!! أين كنت حينها؟".

"تناهت إلى مسامعى صوت الخطوات الراكضة من وسط الضباب... اعتقدت أنها أتت من مكان قريب من المنزل".

قال المفتش كيرى بلطف: "هذا يدل على أن قاتل السيد جولبراندسن جاء من الخارج، من خارج المنزل".

"بالطبع، ولِمَ لا؟ لا أعتقد أنك تشتبه فى أن يكون القاتل قد جاء من داخل المنزل؟!".

قال المفتش كيرى بأسلوب لطيف مبالغ فيه: "علينا التفكير فى كل الاحتمالات".,
قال أليكس ريستاريك بلباقة: "نعم، أعتقد ذلك".

وأردف قائلاً: "إن وظيفتك مرهقة للغاية دون شك أيها المفتش! فلابد من البحث والتدقيق فى كل التفاصيل والأوقات والأماكن، والأمور الصغيرة التافهة المرتبطة بالحدث، وفى النهاية، ما الفائدة من ذلك كله؟ هل هذا سيعيد كريستيان جولبراندسن المسكين للحياة مرة أخرى؟".

"إن إلقاء القبض على المجرم سوف يكفى يا سيد ريستاريك".

"آه، مثل همجية ووحشية أفلام رعاة البقرة!".

"هل كنت تعرف السيد جولبراندسن جيداً؟".

"ليس إلى الحد الذى يجعلنى أقتله أيها المفتش. كنت أقابله من حين إلى آخر منذ

أن كنت صبيًا صغيرًا أعيش هنا. لقد كان يأتى إلى المنزل ويمكث فترات قصيرة. لقد كان جولبراندسن من نوع الناس الذى لا يثير اهتمامى، لأنه كان قطبًا من أقطاب الصناعة، وإنى لا أهتم برجال الصناعة، أعتقد أنه يقتنى مجموعة كاملة من تماثيل النحات "ثوروالدسن "مما ينم عن طبيعة شخصيته، أليس كذلك؟ يا للعجب من هؤلاء الأثرياء".

نظر إليه المفتش كيرى بتفحص، ثم قال: "هل تهتم بالسموم يا سيد ريستاريك؟".

"س ـ ـ موم؟! ي ـ ـ ا عزيزى، م ـ ن المؤك ـ د أن ـ ه ل ـ م يت ـ م تس ـ ميمه قب ـ ل إط ـ لاق الرص ـ اص علي ـ ه. ل ـ و أن ذل ـ ك ق ـ د ح ـ دث فس ـ وف يك ـ ون موض ـ وعًا لروايـ ـة بوليسية بالغة الجنون".

"إنه لم يسمم.. ولكنك لم تجب عن سؤالى".

"إن للسم ما يميزه، فليس بنفس قسوة رصاصة المسدس أو الأسلحة الحادة، ولكنى لست على دراية كاملة بالسموم، إن كان ذلك ما تقصده بسؤالك".

"هل سبق أن استحوذت مادة الزرنيخ على تفكيرك؟".

"هل تعنى أننى أضعها فى شطائر الممثلين بعد العروض المسرحية؟ ألا تعرف الممثلة روز جليدون؟ إنها من أولئك الممثلات اللاتى يعتقدن أن لهن شهرة ليس لها مثيل. كلا، لم أفكر بالزرنيخ مطلقًا، وأعتقد أنه يتم الحصول عليه من خلال الحصول على مبيدات الأعشاب الضارة أو الورق المسمم الخاص بقتل الذباب.

"كم مرة أتيت إلى هنا يا سيد ريستاريك؟".

"هذا يختلف وفقًا لظروفى. فأحيانًا لا أحضر لعدة أسابيع، ولكننى أحاول أن أحضر إلى هنا فى عطلة نهاية الأسبوع كلما كان ذلك فى إمكانى، حيث إننى دائمًا ما أعتبر ستونى جيتس بيتى الحقيقى".

"هل تشجعك السيدة سيروكولد على ذلك؟".

"إن جميل السيدة سيروكولد علىّ لا يمكن الوفاء به، فأنا مدين لها بالعطف والتفهم والحب ـ ـ ـ".

"ومدين لها بالكثير من الأموال أيضًا على حد اعتقادى، أليس كذلك؟".

بدا أليكس وكأنه شعر بالاشمئزاز قليلاً، وقال: "إنها تعتبرنى ابنًا لها، وتؤمن بعملى".

أردف المفتش: "هل تحدثت معك عن وصيتها من قبل؟".

"بالتأكيد، ولكن لم كل هذه الأسئلة أيها المفتش؟ فالسيدة سيروكولد لم يصبها أى أذى".

قال المفتش بتجهم: "ومن الأفضل أنها لم تُصب بأذى".

قال أليكس: "والآن ما الذى تعنيه من ذلك؟".

"إن كنت لا تعرف فذلك أفضل بكثير، وإن كنت تعرف فإننى أحذرك".. عندما خرج أليكس قال الرقيب لاك: "إنه مراوغ كبير، ما رأيك؟".

هز المفتش كيرى رأسه فى حيرة، وقال: "يصعب تحديد ذلك والجزم به، فربما يكون لدى هذا الشاب موهبة خلاقة بالفعل، وربما يكون من هؤلاء المغرمين بالحياة الناعمة. لقد قال إنه سمع صوت خطوات هاربة، أليس كذلك؟ إننى أراهن على أنه قد اخترع ذلك من نسج خياله".

"هل هناك سبب معين دفعك لاعتقاد ذلك؟".

"قطعاً هناك سبب معين يدفعه إلى ذلك لم نتوصل إليه بعد، ولكننا سنصل إليه".

"فى النهاية يا سيدى، ربما تسلل أحد هؤلاء الصبية المخادعين إلى خارج مبنى الكلية دون علم أحد، وربما كان بين هؤلاء الصبية بعض اللصوص الذين يتسللون إلى البيوت، وإن كان الأمر هكذا ـــ".

قال المفتش: "ذلك هو ما يريدوننا أن ننشغل به، وإنه بالفعل لأمر مقنع للغاية. ولكن لو صار ذلك صحيحاً يا لاك فسوف ألتهم قبعتى الجديدة".

2

قال ستيفن ريستاريك: "لقد كنت جالساً على البيانو، لقد كنت ألعب عليه بعض الموسيقى الهادئة عندما حدث الشجار بين لويس وإيدجر".

"وماذا كان اعتقادك حيال ذلك؟".

"حسناً ـ لكى أكون صادقاً معك، فلتعرف أننى لم آخذ الأمر مأخذ الجد حقاً. فهذا المريض البائس إيدجر تنتابه نوبات كهذه من جراء حقده على الآخرين، لأنه غير متزن حقاً كما تعرف. وكل هذا الهراء كان نوعاً من انفجار لشيء مكبوت بداخله، والحقيقة أننا جميعاً نتعمد إغاظته، وبصفة خاصة جينا بالطبع".

"جينا؟ أتعنى السيدة هود؟ ولماذا تتعمد إغاظته؟".

"لأنها امرأة جميلة، امرأة جميلة للغاية، ولأنها ترى أنه مثار سخرية الجميع! إنها نصف إيطالية كما تعلم، والإيطاليون يتسمون بشيء من القسوة، إنهم لا يظهرون أى تعاطف تجاه كبار السن، أو تجاه الأشخاص قبيحى الهيئة، أو الأشخاص غير الطبيعيين

بأى شكل من الأشكال. فإنهم يشيرون إلى مثل هؤلاء الأشخاص بسخرية. وهذا هو ما فعلته جينا مجازيًا، إنها ترى أنه لا فائدة من إيدجر، وتراه شخصًا سخيفًا متفاخرًا، وأنه فى أعماقه غير واثق من نفسه تمامًا. إنه يرغب فى أن يكون مؤثرًا فى الآخرين، ولكنه لا ينجح إلا فى أن يبدو أحمق وسخيفًا. فهى حتى لا تشعر بأن ذلك المسكين يتألم كثيرًا".

سأل المفتش كيرى: "هل تود التلميح بقولك هذا إلى أن إيدجر لاوسون واقع فى غرام السيدة هود؟".

رد ستيفن مبتهجًا: "أوه نعم، وفى واقع الأمر جميعنا كذلك بصورة أو بأخرى. وهى تحب أن ترانا على هذا الحال".

"وهل يحب زوجها ذلك؟".

"إن الأمور ليست واضحة أمامه كثيرًا. ولكنه يعانى أيضًا، ذلك البائس. فإن ما بينهما من عواطف لن تمكث طويلاً بطبيعة الحال. أعنى زواجهما سوف ينتهى فى وقت ليس ببعيد. لقد كان ذلك الزواج أشبه بالعلاقات التى تقام أثناء الحروب".

قال المفتش: "هذا كله مثير للغاية، ولكننا نبتعد هنا عن موضوعنا، وهو مقتل السيد كريستيان جولبراندسن".

قال ستيفن: "صحيح، ولكن لا أستطيع إفادتك فى هذا الأمر. فقد كنت جالسًا على البيانو، ولم أتركه حتى دخلت العزيزة جولى ببعض المفاتيح القديمة الصدئة، وحاولت فتح حجرة المكتب بواحد منها".

"لقد مكثت على البيانو، ولكن هل استمررت فى العزف عليه؟".

"هل تعنى أن اللحن الذى كنت أعزفه كان بمثابة الموسيقى التصويرية لصراع الموت والحياة الذى يدور فى حجرة مكتب لويس، كلا، فقد توقفت عن العزف عندما احتدمت الأمور بينهما، ولكنى لم أشك قطعًا أن هذا الشجار سوف ينتهى. فإن لويس يمتلك ما يمكننى, وصفه بالنظرة المؤثرة، حيث يمكنه وبسهولة تحطيم إيدجر ووضع حد لتصرفاته من مجرد نظرة واحدة إليه".

"ولكن على الرغم من ذلك فقد أطلق عليه إيدجر الرصاص مرتين".

هز ستيفن رأسه بلطف وقال:

"لقد كان ما يقوم به مجرد تمثيلية. إنه يسلى نفسه. لقد اعتادت أمى العزيزة القيام بذلك. إنها توفيت، أو ربما تكون قد هربت من المنزل عندما كنت فى الرابعة من عمرى، ولكن ما أذكره عنها أنها كانت تلوح دائمًا بمسدس إذا ما أغضبها شىء؛ حتى إنها قد فعلت ذلك فى ملهى ليلى ذات مرة، حيث رسمت شكلاً على الجدار بواسطة طلقات الرصاص. لقد كانت أمى تصوب بمهارة.. ولقد سببت لأبى الكثير من المشاكل.

لقد كانت راقصة روسية كما تعلم".

"طبعًا، ولكن هل يمكنك إخبارى، يا سيد ريستاريك، بمن غادر الصالة مساء أمس عندما كنت هناك وقت وقوع الحادثة؟".

"لقد خرج وولى لإصلاح الأضواء، وجوليت بيلفر للعثور على مفتاح يتناسب مع باب حجرة المكتب، ولم يخرج أحد آخر على حد علمى".

"هل لاحظت ما إذا كان أحدهم قد خرج؟".

قال ستيفن بعد تفكير:

"ربما لا، هذا إذا لم يكن أحد قد خرج متسللاً على أطراف أصابعه وعاد مرة أخرى. لقد كان المكان معتمًا فى الصالة ـ وكذلك كان هناك الشجار المحتدم الذى أصغينا إليه باهتمام كلنا".

"هل كان هناك أى شخص أنت على يقين من تواجده أثناء ذلك الوقت؟".

"السيدة سيروكولد ـ نعم، وجينا. أقسم على أنهما مكثا هناك".

"شكرًا لك يا سيد ريستاريك".

ذهب ستيفن باتجاه الباب، ثم تردد وعاد مرة أخرى.

قال: "ماذا عن أمر الزرنيخ؟".

"من الذى حدثك عن الزرنيخ؟".

"أخى".

"آه ـ نعم".

قال ستيفن: "هل كان هناك من يدس الزرنيخ للسيدة سيروكولد؟".

"ولماذا فكرت فى السيدة سيروكولد؟".

"لقد قرأت عن أعراض التسمم بالزرنيخ، ومن أعراضه حدوث التهاب الأعصاب، أليس كذلك؟ وأن ذلك ينطبق على الأعراض التى عانت منها السيدة سيروكولد مؤخراً بشكل أو بآخر، ثم أبعد لويس الدواء من يديها الليلة الماضية. أليس هذا ما يحدث هنا؟".

قال المفتش كيرى بصورة رسمية شديدة: "إن الأمر خاضع للتحقيق".

"وهل تعلم هى بذلك الأمر؟".

"لقد كان السيد سيروكولد حريصًا للغاية بشأن عدم إزعاجها بذلك".

"إزعاجها ليس بالكلمة المناسبة أيها المفتش.. إن السيدة سيروكولد لا تشعر بالإزعاج مطلقاً.. هل هذا هو السبب وراء مقتل السيد جولبراندسن؟ هل اكتشف أنه يتم تسميمها ـ ولكن كيف اكتشف الأمر؟ على أى حال إن الأمر كله يبدو غير معقول. إنه غير معقول تماماً".، "هل أدهشك الأمر كثيراً يا سيد ريستاريك؟".

"نعم فى واقع الأمر، فعندما أخبرنى أليكس عن ذلك لم أستطع تصديقه".

"من فى رأيك يمكن أن يدس السم للسيدة سيروكولد؟".

وللحظة ظهر العبوس على وجه ستيفن ريستاريك الوسيم.

"ليس شخصاً عادياً، ويمكنك استبعاد زوجها من الأمر، لأن لويس سيروكولد لن يجنى شيئاً من وراء ذلك، كما أنه يحب تلك السيدة لأقصى درجة، ولا يتحمل أن تشعر بالألم ولو فى أحد أصابعها".

"فمن عساه إذن؟ هل لديك أى فكرة؟".

"أوه نعم، ويمكننى القول بأنه أمر أكيد".

"فسر من فضلك".

"إنه مجرد إحساس، وليس أى شىء آخر. فليس هناك دليل على إحساسى ذلك، وربما لا تتفق معى".

خرج ستيفن ريستاريك من الغرفة بهدوء شديد، بينما كان المفتش كيرى يرسم شيئاً على الورقة التى كانت أمامه أشبه بالقطط.

وقد كان يفكر فى ثلاثة أشياء! أ) أن ستيفن ريستاريك واثق من نفسه للغاية. ب) أن ستيفن ريستاريك هو وشقيقه يمثلان جبهة واحدة. ج) أن ستيفن ريستاريك رجل وسيم، بينما كان والتر هود رجلاً عادياً.

وقد تساءل عن شيئين آخرين: ماذا كان يعنى ستيفن بقوله إنه "مجرد إحساس "، وهل كان يمكن لستيفن رؤية جينا من مقعده على البيانو ـ فى الغالب لا يمكنه ذلك.

3

فى جو المكتبة الكئيب دخلت جينا بتألق غريب، حتى إن المفتش كيرى رمش بعينيه قليلاً عندما رأى الشابة المتألقة التى جلست أمامه وانحنت إلى الأمام فوق الطاولة قائلة بلهجة المستعد للحديث: "حسناً؟!".

قال المفتش كيرى وهو يراقب قميصها قرمزى اللون وسروالها الأخضر الغامق بجفاء:

"ألاحظ أنك لا ترتدين السواد يا سيدة هود؟".

قالت جينا: "لا أملك أى ملابس سوداء اللون، أعلم أنه من المفترض أن تمتلك كل امرأة ثوبًا أسود ترتديه مع اللآلئ فى مثل هذه المناسبات، ولكننى لا أمتلك ثوبًا كهذا. كم أكره اللون الأسود، وأرى أنه لون شنيع لا يجب أن يرتديه إلا موظفو الاستقبال، ومديرات المنازل، وما إلى ذلك، وعلى أى حال فإن كريستيان جولبراندسن لم يكن من أقربائى حقًا، فإنه مجرد ابن زوج جدتى".

"أعتقد أنك لم تعرفيه تمام المعرفة، أليس كذلك؟".

هزت جينا رأسها نافية:

"لقد حضر إلى هنا ثلاث أو أربع مرات عندما كنت طفلة صغيرة، ولكن بعد اندلاع الحرب ذهبت أنا إلى أمريكا. وقد عدت للعيش هنا من جديد منذ حوالى ستة أشهر فقط".

"لقد أتيت قطعًا إلى المنزل لتعيشى هنا! ليست هذه مجرد زيارة!".

"لم أفكر حقيقة فى الأمر".

"هل كنت فى الصالة ليلة أمس، عندما ذهب السيد جولبراندسن إلى حجرته؟".

"نعم. لقد قال عمتم مساءً، وذهب. وسألته جدتى عما إذا كان قد حصل على كل شىء أراده فأجاب بنعم، إن جولى قد رتبت له كل شىء. لم تكن تلك كلماته حرفيًا، ولكن كان ذلك مضمونها، ثم قال إن هناك رسائل عليه كتابتها"., "وبعد ذلك؟!".

حكت له جينا ما حدث بين لويس وإيدجر لاوسون. وما حكته جينا كان القصة نفسها التى سمعها المفتش لويس عدة مرات حتى الآن، إلا أن هذه القصة عندما روتها جينا اكتسبت لونًا جديدًا وحيوية؛ فقد أصبحت القصة مفعمة بالدراما.

قالت: "لقد كان مسدس وولى، تخيل أن إيدجر يمتلك الشجاعة ليذهب ويسرقه من غرفته. لم أستطع تصديق أن إيدجر البائس يمتلك الجرأة ليقدم على فعل كهذا".

قال المفتش: "هل شعرت بالذعر عندما دخلا إلى المكتب، وأغلق إيدجر لاوسون الباب؟".

صاحت جينا وهى تفتح عينيها البنيتين الواسعتين: "أوه كلا، لقد أحببت ما حدث، لقد كان مشهدًا مثيرًا كما علمت، لقد كان أشبه بمشهد مسرحى مثير. إن كل شىء يفعله إيدجر مثار سخرية، ولا يمكن أن تعتد بما يقول ولو للحظة واحدة".

قال المفتش: "رغم أنه أطلق الرصاص من المسدس؟!".

قالت جينا: "نعم. وكنا نعتقد جميعًا أنه سوف يطلق النار على لويس فى نهاية الأمر".

"وهل استمتعت بالأمر؟". لم يستطع المفتش كيرى منع نفسه من هذا السؤال.

"أوه كلا، لقد كنت مرتعبة. لقد أصابنا جميعًا الذعر فيما عدا جدتى. إنها لم تعبأ تمامًا بالأمر".

"يبدو هذا شيئًا مميزًا".

"ليس تمامًا. إنها من هذا النمط من الأشخاص. إنها لا تعيش تمامًا فى عالم الواقع. إنها شخص لا يصدق مطلقًا أن هناك شيئًا سيئًا يمكن أن يحدث. إنها لطيفة للغاية".

"ومن كان فى الصالة وقت حدوث هذا المشهد؟".

"آوه، لقد كنا جميعًا هناك. فيما عدا العم كريستيان بالطبع".

"ليس الجميع يا سيدة هود، فقد دخل بعض الأشخاص وخرجوا".

سألت جينا بغموض: "أحقًا ذلك؟".

"فزوجك على سبيل المثال قد خرج لإصلاح الأضواء".

"نعم، إن وولى رائع فى إصلاح مثل هذه الأشياء".

"ولقد سُمع دوى الرصاص أثناء غيابه، الطلقة التى اعتقدتم جميعًا أنها أتت من الحديقة، أليس كذلك؟".

"لا أتذكر هذا.. أوه، نعم، لقد كان ذلك بعد عودة الأضواء مباشرة، وكان وولى قد عاد".

"هل هناك أى شخص آخر قد ترك الصالة؟".

"لا أعتقد ذلك. لا أتذكر".

"أين كنت تجلسين يا سيدة هود؟".

"هناك عند النافذة".

"بالقرب من باب المكتبة؟".

"نعم".

"ألم تغادرى الصالة مطلقًا؟".

"أغادرها؟! مع كل هذه الإثارة؟! بالطبع لا".، قالتها جينا بلهجة من تم الإساءة إليه.

"وأين كان يجلس الباقون؟".

"معظمهم حول المدفأة على حد اعتقادى. كانت العمة ميلدريد تحيك، وكذلك

العمة جين ـ أعنى الآنسة ماربل ـ وكانت جدتى تكتفى بالجلوس فقط".

"وماذا عن السيد ستيفن ريستاريك؟".

"ستيفن؟! لقد كان ستيفن يعزف على البيانو فى بداية الأمر، ولا أدرى أين ذهب بعد ذلك".

"وماذا عن الآنسة بيلفر؟!".

"كانت تذهب هنا وهناك كعادتها فهى لم تجلس مطلقاً. لقد كانت تبحث عن مفاتيح أو شىء كهذا".

ثم قالت فجأة: "ما كل هذه الجلبة عن دواء جدتى؟ هل ارتكب الصيدلى خطأ فى تركيبه أم ماذا؟".

"لماذا تعتقدين ذلك؟".

"لأن زجاجة الدواء قد اختفت، وجولى بيلفر تبحث عنها بجنون فى كل مكان وهى تستشيط غضباً، وقد أخبرها أليكس بأن رجال الشرطة قد أخذوها. فهل أخذتموها حقاً؟".

وبدلاً من الإجابة عن سؤالها قال المفتش كيرى: "هل تقولين إن الآنسة بيلفر شعرت بالغضب والانزعاج؟".

أجابت جينا دون اكتراث: "إن جولى دائمة التذمر، فتلك هى طبيعتها، أحياناً أتعجب كيف يمكن لجدتى أن تطيق ذلك".

"سؤال أخير يا سيدة هود، هل لديك أى فكرة عمن يكون قد قتل السيد كريستيان جولبراندسن؟ "

"أعتقد أن الفاعل هو واحد من غريبى الأطوار الذين يقيمون هنا. إننى أرى أن المجرمين من قاطعى الطريق عقلاء حقاً، بمعنى أنهم عندما يقومون بالهجوم على غيرهم فدائماً ما يكون ذلك بهدف السرقة، سرقة حقيبة النقود، أو الأموال، أو المجوهرات، ولا يفعلون ذلك مطلقاً لمجرد المتعة. أما غريبو الأطوار المتواجدون حولنا هنا ـ أو ما يسمونهم بغير القادرين على التكيف ذهنياً ـ ربما يقدم أحدهم على فعل كهذا لمجرد التسلية والمتعة ليس أكثر، ألا تظن ذلك؟ لأننى لا أرى سبباً لقتل العم كريستيان سوى المتعة والتسلية، أليس كذلك؟ إننى لا أعنى التسلية بالمعنى الحرفى... لكن...".

"إنك لا تعتقدين أن هناك دافعاً للقتل؟!".

"بلى، فهذا ما أعنيه. إنه لم يتعرض للسرقة، أليس كذلك؟".

قال المفتش: "ولكنك تعلمين جيداً أن مبانى الكلية مغلقة، وهناك قضبان تحوطها ولا يمكن لأحد أن يخرج من هناك دون تصريح".

ضحكت جينا بسعادة وقالت: "هل تصدق ذلك؟ إن هؤلاء الصبيان قادرون على الخروج من أى مكان! وقد علمونى الكثير من حيلهم تلك".

وعندما خرجت جينا قال المحقق لاك: "إنها امرأة تتمتع بالحيوية ولأول مرة أراها عن قرب. إن لها قواماً ممشوقاً، أليس كذلك؟ قواماً غير عادى إذا كنت تفهم ما أعنى".

رمقه المفتش كيرى بنظرة باردة. فأخبره المحقق لاك بسرعة بأنها كانت مرحة ولطيفة: "يبدو لى أنها قد استمتعت بكل ما حدث".

"سواء كان ستيفن ريستاريك محقاً بشأن قرب انهيار زواجها أم لا، فإننى قد لاحظت أنها أرادت أن تؤكد بكل جوارحها أن والتر هود قد عاد إلى الصالة قبل أن يدوى صوت الرصاصة".

قال لاك: "الشىء الذى نفاه الجميع؟!".

"بالضبط".

"وأيضاً لم تذكر أن الآنسة بيلفر قد غادرت الصالة للبحث عن مفاتيح".، قال المفتش مفكراً: "كلا... لم تذكر ذلك".،

الفصل الرابع عشر

كانت السيدة ستريت تتناسب مع الجو العام للمكتبة أكثر من جينا هود، فلم يكن هناك شيء متفرد لافت للنظر فى السيدة ستريت. كانت ترتدى ملابس سوداء، وكانت تضع دبوساً من العقيق، وكانت تضع فوق شعرها الرمادى بعناية باروكة أم ماذا؟

جال بخاطر المفتش كيرى أن هيئتها تجعلها تبدو كأرملة أستاذ جامعى تماماً، الأمر الذى كان غريباً، لأن القليل جداً من الناس هم من يظهرون على حقيقتهم.

وقد بدا للمفتش أنها امرأة زاهدة، وربما قوية، ولكنه يعتقد أنها لا تتمتع بالسخاء.

علاوة على ذلك فقد كان واضحاً أن السيدة ستريت تشعر بالاستياء.

قالت ميلدريد: "اعتقدت أنه كان بمقدورك أيها المفتش أن تخطرنى بالموعد الذى ستطلبنى فيه. لقد أجبرتنى على الجلوس والانتظار طوال الصباح".

ظن كيرى أن شعورها بأهميتها هو الذى جرح مشاعرها، ولذا فقد سارع بتطييب خاطرها.

"إننى فى غاية الأسف يا سيدة ستريت. فربما لا تكونين على دراية كاملة بالطريقة التى تسير عليها الأمور، فإننا كما تعلمين نبدأ بالشهادات الأقل أهمية، حتى ننتهى منها سريعاً إذا صح القول. فكم هو ضرورى بالنسبة لنا أثناء التحقيق أن نبقى شهادة شخص نستطيع الاعتماد عليه وعلى رأيه، ورجاحة عقله حتى نهاية الأمر، شخص يحسن مراقبة الأمور، وذلك حتى نتمكن من خلاله، التأكد مما تم إخبارنا به سابقاً".

بدا واضحاً أن السيدة ستريت قد هدأت: "نعم أتفهم ذلك. لم أدرك حقاً ...".

"والآن فأنت امرأة راجحة العقل، ولديك قدرة على الحكم على الأمور يا سيدة ستريت، وتتمتعين بخبرة واسعة، ثم إن هذا المنزل منزلك ـ فأنت ابنة أصحاب المنزل، ويمكنك إخبارى بكل شيء عن قاطنيه".

قالت ميلدريد ستريت: "يمكننى، قطعاً، القيام بذلك".

"إذن، فأنت ترين أنه عندما يحين السؤال بشأن هوية قاتل السيد كريستيان جولبراندسن فإنه يمكنك إفادتنا كثيراً".

"ولكن هل هناك أى سؤال بشأن ذلك؟ أليس واضحاً وضوح الشمس من هو قاتل أخى؟".

اتكأ المفتش كيرى فى مقعده إلى الخلف وأخذ ينقر بيده على شاربه الصغير المنمق، ثم قال: "حسنًا، علينا أن نكون حريصين. هل تعتقدين أن الأمر بهذا الوضوح؟".

"بالطبع، إنه زوج جينا المسكينة ذلك الأمريكى الشنيع. إنه الشخص الدخيل الوحيد هنا. ونحن قطعًا لا نعرف شيئًا عنه. ربما كان واحدًا من رجال العصابات الأمريكية المرعبة".

"ولكن هذا لا يبرر قتله للسيد كريستيان جولبراندسن، أليس كذلك؟ فما الدافع لقتله؟".

"لأن كريستيان اكتشف شيئًا بشأنه. وهذا هو ما أتى به إلى هنا بعد فترة وجيزة من زيارته الأخيرة".

"هل أنت على يقين من ذلك يا سيدة ستريت؟".

"أؤكد لك، مرة أخرى، أن الأمر يبدو لى فى غاية الوضوح. لقد جعل أخى الجميع يعتقدون أن زيارته إلى هنا كانت متعلقة بمجلس الوصاية، ولكن لم يكن ذلك حقيقيًا، فلقد كان هنا من أجل ذلك منذ شهر واحد فقط، ولم يحدث شىء مهم منذ ذلك الحين. لذا فلابد وأنه حضر من أجل شىء محدد، وقد التقى والتر فى زيارته الأخيرة، وربما كان قد تعرف عليه، أو ربما قام بتحريات عنه فى الولايات المتحدة، فهو لديه عملاء فى جميع أنحاء العالم، ولابد أنه قد اكتشف شيئًا خطيرًا. فإن جينا فتاة سخيفة للغاية. وهذا هو عهدنا بها. وليس غريبًا عليها أن تتزوج من رجل لا تعرف شيئًا عنه ـ لقد كانت ـ ولاتزال ـ مجنونة بالرجال! فربما كان رجلاً مطلوبًا من قبل الشرطة، أو أنه كان متزوجًا بالفعل، أو له شخصية سيئة، ولكن لم يكن أخى كريستيان من نمط الرجال الذى يسهل مراوغته وخداعه، وإنى على, يقين تام من أنه قد أتى إلى هنا بسبب ذلك الأمر، لقد أراد أن يفضح والتر ويظهره على حقيقته. ولهذا، فقد كان من الطبيعى أن يطلق عليه الرصاص".

قال المفتش كيرى وهو يضيف شاربين طويلين لواحدة من القطط التى كان قد رسمها من قبل.

"نعم ـ نعم".

"ألا توافقنى الرأى أنه لابد وأن يكون ذلك هو ما حدث؟".

قال المفتش مقرًا: "ربما كان ذلك ـ نعم".

"فهل يمكن أن يكون هناك تفسير آخر لذلك؟ لم يكن لكريستيان أى أعداء. وإن ما لا أفهمه هو عدم إلقائكم القبض عليه حتى الآن!".

"حسنًا. فكما تعلمين، يا سيدة ستريت، يجب أن يكون لدينا دليل".

"يمكنك الحصول على هذا الدليل بسهولة إذا أرسلت برقية إلى الولايات المتحدة ـــ".

"أوه، نعم، سوف نتحرى عن السيد والتر هود، تأكدى من ذلك، ولكن حتى يمكننا إثبات وجود الدافع لديه لقتل جولبراندسن، فليس هناك الكثير الذى يمكن أن نستند عليه. لكن هناك فرصة بالطبع ..".

"لقد خرج هود بعد كريستيان مباشرة مدعيًا أن الأضواء قد أصابها ماس كهربى ـــ".

"ولكن كان هناك ماس بالفعل".

"يمكنه أن يفتعل ذلك بسهولة".

"صحيح".

"وهذا قد أعطاه حجة لكى يخرج وبعدها ذهب إلى غرفة كريستيان، ثم أطلق عليه الرصاص، ثم أصلح الماس وعاد مرة ثانية إلى الصالة".

"لقد قالت زوجته جينا إنه عاد قبل سماعكم للطلقات القادمة من الخارج".

"هذا هراء! جينا لا يعتد بكلامها فإن الإيطاليين لا يمكن الوثوق بهم".

هنا أسقط المفتش جانب زهدها.

"هل تعتقدين أن زوجته شريكته فى الجريمة؟".

ترددت ميلدريد ستريت لدقيقة.

"كلا ـ كلا لا أعتقد ذلك "، إلا أنها بدا عليها الأسف بعض الشيء لأنها لا تظن ذلك. ثم أردفت: "ربما كان قتله لأخى جزءًا من الدافع ـ فقد أراد أن يمنع جينا من معرفة حقيقته. وعلى كل حال، فإن جينا هى مفتاح الكنز الذى يعيش عليه".

"كما أنها فتاة رائعة الجمال أيضًا".

"أوه نعم، إننى أقول دائمًا إن جينا حسنة المظهر. وهو شىء معتاد للغاية فى إيطاليا بالطبع. ولكن، إذا سألتنى عن رأيى فإن ما يسعى إليه والتر هود هو المال. وهذا هو ما أتى به إلى هنا، وجعله يستقر بين عائلة سيروكولد".

"لقد علمت أن السيدة هود ثرية للغاية".

"ليس فى الوقت الحالى. لقد أوصى والدى أن تحصل والدة جينا على نفس المبلغ من المال الذى أوصى أن آخذه أنا، ولكنها حصلت على جنسية زوجها (وأعتقد أن القانون قد تغير الآن) وبسبب الحرب، ولأنه فاشى، فلن يبقى لجينا إلا القليل من المال. إن والدتى تفسدها، وخالتها الأمريكية، السيدة فان رايدوك، أنفقت عليها مبالغ طائلة،

وابتاعت لها أثناء الحرب كل ما كانت ترغب فيه، وعلى الرغم من ذلك، يرى والتر أنه لن يستطيع الحصول على الكثير من المال إلا بعد وفاة والدتى، حيث ستئول، عندئذٍ، ثروة طائلة إلى جينا".، "وإليك كذلك يا سيدة ستريت".

ظهر لون ذابل على وجنتى السيدة ميلدريد ستريت.

"وإلىّ أيضًا كما تقول، لقد كانت حياتى أنا وزوجى دائمًا حياة هادئة، فقد كان زوجى ينفق القليل جداً من المال، إلا على الكتب فقد كان ينفق عليها ببذخ ـ لأنه كان عالمًا جليلاً ـ وكانت أموالى غالبًا تضاعف نفسها، وقد كانت أكثر من احتياجاتى البسيطة. غير أن المرء دائمًا يستطيع استغلال المال لصالح الآخرين. والأموال التى كانت تأتى لى أعتبرها أمانة وهبها لى الله".

قال المفتش كيرى وكأنه لم يستوعب تمامًا ما قالته: "ولكن الأموال عندما ترثينها لن تكون تحت وصاية أعنى أنها ستئول إليك كاملة، وتكون تحت تصرفك".

"أوه نعم، بهذا المعنى، إنها ستكون لى كلها".

حملت كلماتها الأخيرة تلك نبرة ما جعلت المفتش كيرى يرفع رأسه ناظراً نحوها بحدة. لم تكن السيدة ستريت تنظر إليه. كانت عيناها تبرقان، وفمها الطويل الرفيع يتقوس بابتسامة توحى بالنصر.

قال المفتش مفكراً:

"إذن، فأنت تعتقدين، وأنت أمامك بالطبع متسع من الفرص للحكم على الأمور ـ فإن السيد والتر هود يسعى وراء المال الذى سترثه زوجته بعد وفاة السيدة سيروكولد. بالمناسبة، إن السيدة سيروكولد ليست على ما يرام، أليس كذلك يا سيدة ستريت؟".

"دائمًا ما كانت أمى امرأة رقيقة".

"هذا صحيح ولكن الأشخاص الذين يتمتعون بالرقة غالبًا ما يعيشون لفترة تساوى عمر الأشخاص ذوى الصحة الجيدة، أو أطول من ذلك؟".

"نعم، أعتقد أنهم كذلك".

"ألم تلاحظى تدهور صحة والدتك مؤخراً؟".

"إنها تعانى من الروماتيزم، ولكن هذا أمر طبيعى مع تقدم السن. إننى لا أتعاطف مع أولئك الذين لا يكفون عن الشكوى من الآلام دون توقف طوال الوقت".

"وهل تتصنع السيدة سيروكولد الشكوى؟".

صمتت ميلدريد ستريت لدقيقة، ثم قالت أخيراً: "إنها لا تشكو هى بنفسها، ولكنها

اعتادت أن تكون مصدراً لشكوى الآخرين. دائماً ما يقلق زوج والدتى بشكل مبالغ فيه، وبالنسبة للآنسة بيلفر فإنها تجعل من نفسها مثاراً للضحك، وعلى أى حال، فإن تأثير الآنسة بيلفر على هذا البيت سيئ دون شك. لقد أتت إلى المنزل منذ سنوات عديدة مضت، وكرست إخلاصها وحبها لوالدتى، ورغم أن ذلك يبعث على الإعجاب إلا أنه أصبح مثل الوباء، فهى تمارس تماماً دور الديكتاتور على أمى. إنها المسئولة عن إدارة المنزل بأكمله، وتحمل مسئولية الكثير جداً من الأمور. أعتقد أنها بذلك تضايق لويس فى بعض الأحيان، وأعتقد أننى لن أفاجأ إذا طردها يوماً ما. إنها لا تتمتع بأى لباقة وكياسة مطلقاً، ومن المزعج بالنسبة للرجل أن يجد أن زوجته تتحكم فيها ويسيطر عليها امرأة متسلطة".

أومأ المفتش كيرى برأسه بلطف: "أتفهم ذلك ... أتفهم ذلك ...".

ثم راقبها متأملاً:

"هناك شىء واحد لا أفهمه تماماً، يا سيدة ستريت، ألا وهو وضع الأخوين ريستاريك هنا!"

"إنهما يضيفان إلىّ مزيداً من المشاعر الحمقاء. لقد تزوج والدهما من أمى المسكينة طمعاً فى مالها. وبعد عامين من الزواج هرب مع مغنية بلا أخلاق مطلقاً من يوغسلافيا. لقد كان شخصاً شديد الحماقة، وكانت والدتى عطوفة وحانية للدرجة التى دفعتها للتعاطف مع هذين الصبيين. ونظراً لأنه كان من المستحيل بالنسبة لوالدتى أن تترك الصبيين يمضيان إجازتهما مع سيدة بمثل أخلاق تلك المرأة سيئة الأخلاق، فقد قررت أمى أن تكفلهما. ومنذ ذلك الحين أصبحا عالة على بيتنا هذا، ولدينا الكثير من تلك الحالات فى هذا البيت أستطيع أن أخبرك بها".، "كان أمام أليكس ريستاريك الفرصة لقتل كريستيان جولبراندسن، حيث كان بمفرده فى سيارته ـ يقود فى المسافة بين الباب الخارجى والمنزل. لكن ماذا عن أخيه ستيفن؟".

"لقد كان ستيفن فى الصالة معنا. إن رأيى فى أليكس ليس جيداً. إنه يبدو غليظاً قاسياً للغاية، كما أننى أرى أن حياته غير مستقرة أو طبيعية، ولكنى لا أعتقد أنه قاتل. وفوق كل ذلك، لماذا يقدم على قتل أخى؟".

قال المحقق كيرى وهو يمسح ذقنه: "دائماً، أليس كذلك؟ "ثم أردف قائلاً: "فى اعتقادك ما الشىء الذى كان كريستيان جولبراندسن يعرفه ـ بشأن شخص ما، والذى جعل من الضرورى لهذا الشخص أن يتخلص منه؟".

قالت السيدة ستريت بلهجة منتصرة: "تماماً، لابد أنه والتر هود".

"إلا إذا كان شخصاً أقرب إلى أهل المنزل".

قالت ميلدريد بعصبية:

"ماذا تعنى بذلك؟".

قال المفتش كيرى ببطء:

"لقد كان من الواضح أن السيد جولبراندسن كان فى غاية القلق بشأن صحة السيدة سيروكولد عندما وصل إلى هنا".

قطبت السيدة ستريت جبينها، قائلة:

"غالبًا ما يقلق الرجال بشأن صحة والدتى لأنها تبدو ضعيفة، وأعتقد أنها تحب ذلك منهم! أو ربما أن كريستيان كان يستبقى معلوماته من خلال ما كانت تخبره به جوليت بيلفر".

"ألست قلقة بشأن صحة أمك، يا سيدة ستريت؟".

"كلا، وآمل بذلك ألا أكون فظة، فأمى ليست صغيرة السن بالطبع".

قال المفتش كيرى: "وجميعنا سيموت يومًا ما، ولكن لن يأتى الموت قبل موعده الطبيعى. هذا ما علينا أن نحاول تجنبه".

كان يتحدث وكأنه يلمح إلى شىء، وقد انفجرت ميلدريد بشكل مفاجئ، قائلة:

"هذا شىء فظيع ـ فظيع للغاية. لا أحد هنا يهتم أو يكترث لما حدث، ولماذا عساهم أن يهتموا؟ الشخص الوحيد الذى تربطه قرابة الدم مع كريستيان هو أنا، ولم يكن كريستيان إلا ابنًا كبيراً لزوج أمى، وبالنسبة لجينا، فلم يكن حقًا تربطه بها صلة قرابة مطلقًا، ولكنه كان أخى أنا".

قال المفتش: "ليس أخاك الشقيق".

"نعم، أخى غير الشقيق، ولكنّ كلاً منا كان ابن جولبراندسن على الرغم من الاختلاف".

قال كيرى بلطف:

"نعم، نعم، أفهم مقصدك ...".

مضت ميلدريد والدموع تترقرق فى عينيها، ونظر كيرى إلى لاك.

وقال: "إذن فهى على يقين تام من أن القاتل هو والتر هود. فإنه من غير المقبول بالنسبة لها للحظة واحدة أن يكون القاتل شخصًا آخر".

"وربما تكون على حق".

"بالتأكيد، هذا جائز. وولى هو أكثر من تحوم حوله الشكوك، لقد كانت لديه الفرصة ـ وكذلك لديه الدافع. لأنه لو كان يبحث عن المال السريع فلابد أن تموت

أم زوجته أولاً، لذا فقد تلاعب بدوائها، وقد رآه كريستيان وهو يفعل ذلك ـ أو سمع عن الأمر بشكل ما. نعم فإن, الأمر هكذا منطقى تماماً".

توقف ثم قال:

"وفى رأيى أن ميلدريد ستريت تحب الأموال ... وعلى الرغم من أنها لا تنفقها، إلا أنها تحبها. لا أدرى ما السبب ... ربما تكون بخيلة، أو ربما تحب القوة والسلطة والنفوذ المرتبطة بامتلاك المال. أو ربما تكرس المال من أجل العمل الخيرى؟!، فإنها من عائلة جولبراندسن. فربما أرادت أن تكون مثل أبيها".

قال المفتش لاك وهو يحك رأسه: "إنه أمر معقد أليس كذلك؟".

قال المفتش كيرى:

"علينا أولاً أن نقابل ذلك الشاب المختل لاوسون، ثم نذهب بعد ذلك إلى الصالة لنرى مكان كل فرد وقت الحادث ـ وكيف ـ ولماذا ـ ومتى .... ولقد سمعنا ملحوظة أو ملحوظتين لافتتين للنظر هذا الصباح".

2

رأى المفتش كيرى أنه كان من الصعب الحصول على رأى وتقييم حقيقى لشخص ما من خلال أقوال الآخرين.

لقد قام أشخاص كثيرون هذا الصباح بوصف إيدجر لاوسون، ولكن الانطباع الذى كونه كيرى ـ وهو ينظر إليه الآن ـ مختلف تماماً لدرجة مثيرة للسخرية.

لم ير كيرى عندما نظر إلى إيدجر أنه شخص "غريب الأطوار "أو "متعجرف "أو غير "طبيعى "، بل ظهر شاباً عادياً، ولكنه بدا منعزلاً تماماً ومختلفاً قليلاً ومثيراً للشفقة على نحو ما.

كان إيدجر يتوق إلى التحدث والاعتذار.

"أعلم أننى أسأت التصرف. لا أدرى ماذا دهانى ـ لا أدرى حقاً. ما الذى دفعنى للقيام بهذا المشهد، وافتعال مثل هذا الشجار، وإطلاق الرصاص بالفعل من المسدس، وإطلاقه بالتحديد على السيد سيروكولد، الذى كان طيباً وعطوفاً معى، وكان كذلك بالتحديد صبوراً للغاية معى؟!".

حرك إيدجر ذراعيه على نحو عصبى. كان شكل يديه مثيراً للشفقة حقاً، حيث ظهرت عظام ساعديه.

قال: "إذا كان علىّ أن أعاقَب على فعلتى، فسوف أحضر معك فى الحال، فإننى أستحق العقاب، وسأعترف بالذنب الذى اقترفته".

قال المفتش كيرى بحسم: "لم يتم توجيه أى تهمة ضدك، ولذا فليس لدينا أى دليل، فبالنسبة للسيد سيروكولد فإن إطلاق الرصاص كان غير متعمد".

"هذا لأنه عطوف وطيب للغاية. ليس هناك شخص أبداً فى عطف وطيبة السيد سيروكولد. لقد فعل لى كل شىء ممكن. وأنا أرد له المعروف بفعلتى تلك".

"ما الذى دفعك للتصرف هكذا؟".

بدا إيدجر خجولاً، وقال:

"لقد جعلت من نفسى شخصاً أحمق".

قال المفتش كيرى بجفاء:

"لقد بدا لى أنك أخبرت السيد سيروكولد فى حضور الشهود أنك اكتشفت أنه والدك، هل هذا صحيح؟".

"كلا، ليس صحيحاً".

"ما الذى أدخل هذه الفكرة إلى رأسك؟ هل اقترح عليك أحدهم شيئاً كهذا؟".,
"حسناً، إنه أمر لا يسهل شرحه".

نظر المفتش كيرى إليه متأملاً، ثم قال بعد ذلك بصوت عطوف:

"حاول شرحه لنا. على رسلك يا فتى ولا تصعب الأمور".

"حسناً، كما تعلم، لقد مررت بوقت عصيب للغاية عندما كنت صبياً، لقد كنت محل سخرية الصبية الآخرين؛ لأننى لم يكن لدىّ أب مثلهم. قالوا إننى لست إلا لقيطاً صغيراً ـ وبالفعل كنت كذلك. كانت أمى سيئة الخلق ومدمنة للشراب، وكان أبى بحاراً أجنبياً ـ حسب اعتقادى. كان بيتنا دائم القذارة، وكان الأمر أشبه بالجحيم، وبعد ذلك بدأت فى الاعتقاد بأن أبى لم يكن مجرد بحار أجنبى ـ ولكنه كان شخصاً ذا أهمية ـ وقد كنت أختلق قصة أو اثنتين عنه. بدأ الأمر بقصص طفولية بسيطة ـ بأنه تم تبديلى بطفل آخر عند مولدى ـ وأننى الوريث الحقيقي ـ وقصص من هذا القبيل، وبعد ذلك ذهبت إلى مدرسة جديدة وأخذت ألمح إلى بعض الأمور مرة أو مرتين، مدعياً بأن والدى كان قبطاناً فى البحرية، وبدأت تصديق نفسى، ولم أشعر بشيء من الاستياء حينها".

توقف، ثم أردف قائلاً:

"ثم ـ فيما بعد ـ بدأت اختلاق قصص أخرى. اعتدت على النزول فى الفنادق وإخبار من فيها بقصص ساذجة حول كونى أعمل طياراً حربياً. أو كونى أعمل فى جهاز المخابرات، وبدأت الأمور فى الاختلاط علىّ، وبدا أنى عاجز عن التوقف عن تلك الأكاذيب".

واستطرد:

"إلا أننى لم أسع إلى جنى أية أموال من خلال ذلك الكذب مطلقاً. كان مجرد اصطناع وكل ما كنت أرغب فيه هو أن يزيد الناس تقديرهم واحترامهم لى، لم أكن أريد أن أكون محتالاً. سوف يخبرك بذلك السيد سيروكولد، ودكتور مافيريك، إنهما يعرفان كل شىء عن هذا الأمر".

أومأ المفتش كيرى. فقد كان بالفعل قد تفحص دراسة حالة إيدجر، واطلع على سجله فى الشرطة.

مضى فى الحديث:

"وفى نهاية الأمر أبعدنى السيد سيروكولد عن هذا العالم المريض وأتى بى إلى هنا، وأخبرنى بأنه يحتاج إلى سكرتير لمساعدته ـ وقد ساعدته بالفعل! لقد فعلت ذلك حقاً، ولكن الآخرين كانوا يسخرون منى. لقد كانوا دوماً يسخرون منى".

"من هم الآخرون؟ السيدة سيروكولد؟".

"كلا ليس السيدة سيروكولد. إنها سيدة راقية، لقد كانت دوماً لطيفة وعطوفة معى، ولكن جينا كانت تعاملنى وكأننى حشرة، وكذلك ستيفن ريستاريك، والسيدة ستريت كانت تحتقرنى لأننى لم أكن من الطبقة الراقية، وكذلك الآنسة بيلفر ـ ولتنظر من هى؟ إنها مجرد جليسة تتقاضى أجراً مقابل عملها، أليس كذلك؟".

لاحظ كيرى ظهور علامات انفعالية على وجه إيدجر.

"إذن فقد وجدتهم غير متعاطفين معك كما ينبغى؟!".

قال إيدجر بحماس:

"وذلك لأننى شخص لقيط. فلو كان لى والد سوى لما كانوا قد تصرفوا معى على هذا النحو".

"ولذا فقد نسبت لنفسك اثنين من الآباء المشاهير؟!".

احمر وجه إيدجر، وغمغم: "دائماً ما أبدو كشخص كاذب".

"وقد ادعيت فى النهاية أن السيد سيروكولد والدك، لماذا ذلك؟".

"لأن ذلك سيردعهم تماماً، أليس كذلك؟ فإذا كان هو والدى فلن يمكنهم فعل أى شىء ضدى".

"نعم، ولكنك اتهمت السيد سيروكولد أنه عدو لك ـ وأنه يلاحقك"., قال وهو يحك جبهته: "أعلم ذلك ـ لقد أخطأت فى كل شىء، تأتى علىّ أوقات لا أقوم فيها بالأشياء على النحو الصحيح تماماً. لقد كنت مشوشاً للغاية".

"وهل أخذت المسدس من حجرة السيد والتر هود؟".

بدا إيدجر مرتبكًا متحيرًا، ثم قال:

"هل فعلتُ ذلك؟ هل أتيت به من هناك؟".

"ألا تتذكر من أين أتيت بالمسدس؟".

قال إيدجر:

"لقد قصدت تهديد السيد سيروكولد به. لقد قصدت إخافته. لقد كانت أموراً صبيانية مرة أخرى".

قال المفتش كيرى بصبر:

"كيف أتيت بالمسدس؟".

"لقد قلت لتوك ـ من حجرة والتر".

"هل تتذكر قيامك بذلك الآن؟".

"لابد أننى أتيت به من حجرته. فلم أكن لأتمكن من الحصول عليه بأى وسيلة أخرى، أليس كذلك؟".

قال المفتش كيرى: "لا أدرى، ربما أعطاك إياه شخص ما؟!".

صمت إيدجر، وكان وجهه جامداً.

ردد المفتش: "هل هذا ما حدث؟".

قال إيدجر منفعلاً:

"لا أتـذكر، لقـد كنـت منفعـلاً للغايـة وقـد مشـيت خـلال الحـديقة وأنـا أسـتشيط غضـبًا. لقـد اعتقـدت أن النـاس كـانوا يتجسـسون علـىّ. ويراقبوننى، ويلاحقوننى. حتى تلك السيدة العجوز ذات الشعر الأبيض ظننت أنها من أعدائى ... لا أستطيع فهم الأمور الآن. لابد وأن الجنون قد أصابنى. لا أتذكر أين كنت، وماذا كنت أفعل لنصف تلك المدة!".

"ولكن بلا شك تتذكر من أخبرك بأن السيد سيروكولد والدك؟".

نظر إيدجر بنفس النظرة الجامدة.

وقال بحزن: "لم يخبرنى أحد بذلك، لقد واتتنى الفكرة".

تنهد كيرى، لم يكن يشعر بالرضا. ولكنه اعتقد أنه لن يحرز أى تقدم آخر فى الوقت الحالى.

قال: "حسنًا، عليك الانتباه لتصرفاتك فى المستقبل".

"نعم يا سيدى سأفعل ذلك حقًا".

وعندما انصرف إيدجر هز المفتش كيرى رأسه ببطء، وقال:

"هذه الحالات المرضية بشعة!".

"هل تعتقد أنه مختل عقليًا يا سيدى؟".

"ليس مختلاً بالدرجة التى تصورتها، لقد بدا اختلاله أقل كثيراً من توقعاتى، ربما كان إيدجر شخصًا هشًا غير متزن، وشخصًا مدعيًا كاذبًا، ولكنه مازال يتمتع رغم ذلك بالبساطة. وأعتقد أنه يتأثر كثيراً بما حوله وبما يمليه عليها الآخرون".، "هل تعتقد أن هناك من أشار إليه بهذه الأمور؟".

"أوه، نعم، إن العجوز ماربل كانت على حق فى تصورها، إنها عجوز حاذقة، ولكننى أتمنى لو عرفت من الذى أوحى إليه بالأمر، ولكنه لن يخبرنا بذلك. لو عرفنا ذلك فقط ..... هيا يا لاك، دعنا نكون تصوراً لما حدث فى الصالة ليلة الحادثة".

3

"هذا يتناسب مع المشهد كثيراً".

كان المفتش كيرى جالسًا على البيانو، وكان المحقق لاك جالسًا على مقعد بجوار النافذة مطلاً على البحيرة.

أردف كيرى:

"إذا استدرت نصف استدارة على مقعد البيانو، مراقبًا حجرة المكتب فلن يمكننى رؤيتك".

نهض المحقق لاك بخفة متوجهًا بهدوء من خلال الباب المؤدى إلى المكتبة بهدوء.

"جميع جوانب الغرفة مظلمة. الأضواء الوحيدة التى كانت مضاءة، كانت تلك التى تقع بجوار باب حجرة المكتب. كلا يا لاك، لا أراك وأنت تمشى، وبمجرد دخولك إلى المكتبة، يمكنك الخروج من الباب الآخر المفضى إلى الممر ـ ويمكنك أن تجرى فى خلال دقيقتين إلى الجناح المصنوع من خشب البلوط، وتطلق الرصاص على جولبراندسن وترجع مرة أخرى عبر المكتبة إلى مقعدك بجوار النافذة".

وأردف قائلاً:

"لقد كانت النساء اللاتى يجلسن إلى جوار المدفأة يولين ظهورهن إليك. لقد كانت السيدة سيروكولد تجلس هنا ـ على الجانب الأيمن من المدفأة، بالقرب من باب حجرة المكتب، وقد أجمعوا كلهم على أنها لم تبرح مكانها، وأنها كانت الشخص الوحيد

الذى يمكن رؤيته مباشرة. كانت الآنسة ماربل تجلس هنا. لقد كانت تنظر من خلف السيدة سيروكولد إلى حجرة المكتب. وكانت السيدة ستريت على الجانب الأيسر من المدفأة ـ بالقرب من الباب المفضى إلى خارج الصالة، حيث توجد الردهة، وهو ركن مظلم للغاية. كان بإمكانها الذهاب والعودة مرة أخرى. نعم هذا ممكن".

ابتسم كيرى فجأة:

قال: "وكذلك يمكننى الذهاب أنا أيضاً "، ونزل من على مقعد البيانو وسار بهدوء بجوار الحائط خارجاً إلى الباب. ثم أردف قائلاً: "إن الشخص الوحيد الذى كان بإمكانه ملاحظة عدم بقائى عند البيانو هو جينا هود. لعلك تتذكر ما قالته جينا عن ذلك، فقد قالت إن ستيفن كان جالساً عند البيانو فى بداية الأمر، ولكنها لا تعلم أين كان بعد ذلك".

"إذن، فهل تعتقد أن الجانى هو ستيفن؟".

قال كيرى: "لا أدرى من الجانى، ولكنه لم يكن إيدجر لاوسون، أو لويس سيروكولد أو السيدة سيروكولد أو الآنسة جين ماربل. ولكن بالنسبة للآخرين ـ "، تنهد ثم أردف قائلاً: "ربما يكون ذلك الأمريكى. إن أمر الماس الكهربى مقنع إلى حد ما، ولكنه ـ كما تعلم ـ ليس بدليل".

أمعن النظر فى بعض نوتات الموسيقى على أحد جانبى البيانو: "هيندميث؟! من هذا الرجل؟ لم أسمع عنه من قبل. تشوستاكوفيتش! ما تلك الأسماء الغريبة! "ثم نهض ونظر إلى المقعد قديم الطراز الخاص بالبيانو. ثم رفع قامته.

"تلك هى الأشياء قديمة الطراز "Czerny's Exercises "و "Handel's Preludes": إنها فى معظمها تعود إلى زمن جولبراندسن الجد. إننى أحب أغنية "I Know a Lovely Garden" لقد اعتادت أن تغنيها لى جدتى عندما كنت صغيراً".

ثم توقف ـ حيث كان فى يده النوتة الموسيقية للأغنية. وأسفل هذه النوتات الموسيقية، وعلى نوتة "Czerny's Exercises "كان هناك مسدس آلى صغير.

صاح المحقق لاك بابتهاج:

"إنه ستيفن ريستاريك".، حذره المفتش كيرى: "والآن لا تقفز إلى النتائج، فعلينا تحليل الأمر بشكل منطقى أولاً".،

الفصل الخامس عشر

صعدت الآنسة ماربل السلالم المؤدية إلى حجرة نوم السيدة سيروكولد وطرقت الباب.

"هل يمكننى الدخول يا كارى لويز؟".

"بالطبع يا عزيزتى جين".

وجدت الآنسة ماربل صديقتها كارى لويز قابعة أمام المرآة تمشط شعرها فضى اللون، وقد أدارت رأسها من فوق كتفها قائلة:

"هل هم رجال الشرطة؟ سأكون مستعدة للقائهم خلال دقائق قليلة".

"هل أنت بخير؟".

"نعم بالطبع. لقد ألحت جولى على أن أتناول فطورى فى الفراش. وقد حضرت جينا، وكانت تمشى على أطراف أصابعها وهى - حاملة الإفطـــار حتـــى لا تزعجنـــى، ممـــا جعلنـــى أشـــعر بـأننى كمـا لـو كنـت علـى مشـارف المـوت! فـأنا لا أعتقـد أن النـاس يفـهمون أن مأسـاة قتـل كريستيان لا تعنى صدمة كبيرة لسيدة عجوز مثلى".

فالإنسان فى مثل هذه السن الكبيرة يتوقع أن يحدث أى شىء، وكذلك يكون مدركًا لمدى ضآلة أى شىء قد يحدث فى هذا العالم".

قالت الآنسة ماربل بتشكك: "نعم، نعم".

"ألا تشعرين بنفس الشعور يا جين؟ أعتقد أن لديك نفس هذا الشعور بالفعل".

قالت الآنسة ماربل ببطء:

"لقد قتل كريستيان".

"نعم ... أفهم ما تعنين. أتعتقدين أن ذلك الأمر ذو أهمية حقًا؟".

"ألا تعتقدين ذلك يا كارى؟".

قالت كارى لويز على نحو بسيط: "لا يهمنى بالنسبة لكريستيان، ولكن بالطبع يهمنى من قتله".

"هل لديك أية فكرة عن هوية قاتله يا كارى؟".

هزت السيدة سيروكولد رأسها نافية بأسلوب متحير:

"كلا ليس لدىّ أدنى فكرة، ولا يمكننى حتى التفكير فى سبب قد يدفع أى شخص إلى قتله. يبدو أن الأمر يتعلق بشيء حدث عندما كان هنا قبل وقت سابق ـ أعنى منذ شهر مضى. فلم يكن كريستيان ليعود إلى هنا دون سابق إنذار ودون سبب، إذا لم يكن هذا هو ما حدث. وأيًا كان ما حدث، فلابد أنه بدأ منذ ذلك الحين. لقد فكرت طويلاً، ولكنى لم أتمكن من تذكر أى شىء غير مألوف أو معتاد".

"أوه! إنهم نفس الأشخاص الموجودين هنا الآن ـ الآن. نعم، أليكس قد وصل من لندن إلى هنا فى ذلك الوقت تقريبًا. و ـ أوه، نعم وروث كانت هنا أيضًا".

"روث؟".

"نعم، فى زيارتها لنا الخاطفة المعتادة".

رددت الآنسة ماربل ثانية وهى تفكر: "روث " وكان عقلها بدأ يعتمل بالتفكير. كريستيان جولبراندسن وروث؟! لقد جاءت روث وكان يعتريها القلق والتوجس، ولكنها لم تعرف السبب وراء مشاعرها تلك. كان هناك خطأ ما، لقد كان هذا هو ما تمكنت روث من قوله. لقد وضع كريستيان جولبراندسن يده على شىء، أو ربما ارتاب فى شىء لم تتمكن روث من فهمه وإدراكه. لقد عرف أو شكّ فى أن شخصًا ما يدس السم لكارى. ولكن كيف ذهب كريستيان جولدبراندسن بعقله إلى هذه الشكوك؟ ما الذى سمعه أو رآه ليدفعه إلى الشك فى, ذلك؟ هل هو شىء كان ذا أهمية ومغزى رأته روث أو تناهى إلى مسامعها ولكنه لم تستطع روث حينها إدراك مدى أهميته كما ينبغى؟ تمنت الآنسة ماربل لو توصلت إلى هذا الشىء.

إن إحساسها الباطنى بأن ذلك الشىء (أيًا كان) يمكن أن يكون له علاقة بإيدجر لاوسون قد انتهى، حيث إن روث لم تذكر ذلك الشاب مطلقًا عندما تحدثت إلى ماربل.

تنهدت.

وسألت كارى لويز: "ألا تخفون جميعكم شيئًا ما عنى؟".

انزعجت الآنسة ماربل من هذا السؤال قليلاً، وقالت:

"لِمَ تقولين ذلك يا كارى؟".

"لأن تلك هى الحقيقة. ليست جولى وحدها. بل الآخرون جميعًا يخفون عنى شيئًا ما، حتى لويس. لقد أتى إلى هنا بينما كنت أتناول إفطارى وتصرف بغرابة شديدة، وقام باحتساء بعض من كوب القهوة الخاص بى حتى إنه تناول قطعة من خبزى المحمص والمربى، وهذا شىء غريب عليه، لأنه اعتاد دائمًا أن يحتسى الشاى، كما أنه لا

يحب المربى، لذا فلابد أنه كان يفكر فى شىء آخر، وأعتقد أنه قد نسى تناول طعام الإفطار الخاص به، إنه ينسى أشياء كثيرة ومن أهم هذه الأشياء هو أن ينسى تناول وجباته، كما أنه يشعر بالقلق وأن هناك ما يشغل تفكيره".

همت الآنسة ماربل بقول: "إن جريمة قتل ـــ".

إلا أن كارى لويز همت بمقاطعتها سريعًا:

"أوه أعلم. إنه شىء بشع. لم أمر بشىء مثل ذلك من قبل. ولكنك مررت بشىء مثل هذا، أليس كذلك يا جين؟".

قالت الآنسة ماربل مؤكدة: "حسنًا ـ نعم ـ فى الواقع هذا صحيح".

"لقد أخبرتنى روث بذلك".

سألت الآنسة ماربل وقد بدا عليها الفضول: "هل أخبرتك بذلك فى الفترة الأخيرة التى كانت فيها هنا؟".

"كلا لا أعتقد أنه كان فى ذلك الحين. لا أستطيع حقًا تذكر متى كان ذلك".

كانت كارى لويز تتحدث على نحو غامض، بل كادت تكون شاردة الذهن.

"ماذا يشغل بالك يا كارى لويز؟".

قالت: "كنت أفكر فى جينا. وعما قلته عن ستيفن ريستاريك. إن جينا ابنة غالية كما تعلمين، وهى تحب وولى حقًا. إننى على يقين من ذلك".

ظلت الآنسة ماربل صامتة.

قالت كارى لويز بصوت مرتفع نسبيًا: "إن جينا مثل الفتيات ممن هن فى سنها ـ تحب التفاخر. إنهن صغيرات ويحببن الشعور بمدى قوتهن وقدرتهن على التأثير. إنه أمر طبيعى حقًا. أعلم أن والتر هود ليس من نوعية الرجال الذين يصلحون للزواج من جينا، وفى الأحوال الطبيعية لم يكن ليناسب جينا مطلقًا، ولكنها قابلته بالفعل ووقعت فى حبه ـ ومن المفترض أنها تعرف ما فى صالحها أكثر من أى شخص آخر".

قالت الآنسة ماربل: "ربما تعرف ذلك".

"ولكن من المهم للغاية أن تكون جينا سعيدة".

نظرت الآنسة ماربل بفضول إلى صديقتها

وقالت: "أعتقد أنه من المهم أن يكون كل شخص سعيداً".، "أوه، نعم. لكن جينا حالة خاصة للغاية. فعندما ننظر إلى والدتها ـ بيبا ـ نجد أنها كانت تجربة قد مرت ببساطة، وانظرى إلى والدة بيبا ـــ".

وقفت كارى لويز.

قالت الآنسة ماربل:

"من كانت والدة بيبا؟".

قالت كارى لويز: "لقد اتفقت أنا وإريك زوجى على عدم البوح بهذا الأمر لأى شخص. إنها نفسها لا تعرف ذلك".

قالت الآنسة ماربل: "إننى أرغب فى معرفة ذلك".

نظرت السيدة سيروكولد إليها بتشكك.

قالت الآنسة ماربل: "ليس الأمر بدافع الفضول، إننى حقًا فى حاجة إلى معرفة ذلك. سأحفظ السر وأنت تعرفين ذلك".

قالت كارى لويز مبتسمة وهى تعود بذكرياتها: "يمكنك دومًا الحفاظ على السر يا جين. إن دكتور جاليريث ـ وهو الآن مسئول عن إحدى دور العبادة ـ هو الوحيد الذى يعرف بالأمر، وليس أى شخص آخر. إن والدة بيبا هى كاثرين إلسورث".

"إلسورث؟ أليست هذه السيدة هى من دست سم الزرنيخ لزوجها؟ إنها قضية مشهورة".

"نعم".

"هل تم شنقها؟".

"نعم، ولكنك تعرفين أن فعلها لذلك لم يكن شيئًا مؤكداً بأدلة حاسمة، لقد كان زوجها يتعاطى الزرنيخ ـ ولكنهم لم يكونوا على وعى بمثل هذه الأمور حينها".

"لقد كانت هذه السيدة تقوم بنقع الورق المصنوع بغرض قتل الذباب".

"لقد اعتقدنا دومًا أن الشهادة التى أدلت بها الخادمة فى هذه القضية لم تكن صحيحة وكانت كيدية".

"وكانت بيبا ابنتها؟!".

"نعم، لقد قررت أنا وإيريك أن نقدم لهذه الطفلة فرصة لتبدأ حياة جديدة ـ وأن نمنحها الحب والاهتمام والعطف وكل ما يحتاج إليه الطفل، ولقد نجحنا فى ذلك، ولقد كانت بيبا نفسها، ألطف وأسعد مخلوق على وجه الأرض".

صمتت الآنسة ماربل لوقت طويل.

نهضت كارى لويز بعيداً عن المرآة.

"إننى مستعدة الآن. ويمكنك أن تخبرى المفتش أو أيًا من كان يرغب فى

استجوابى بالحضور إلى غرفة جلوسى. ولن يمانع، إننى واثقة من ذلك".

2

لم يكن لدى المفتش كيرى أى مانع، بل إنه ـ فى واقع الأمر ـ قد رحب بفكرة لقاء السيدة سيروكولد فى غرفتها.

وبينما كان يقف هناك منتظراً وصولها، فقد أخذ يعاين المكان من حوله بفضول. لم يكن المكان يتناسب مع الفكرة التى كانت فى عقله، لم تكن غرفة المرأة الثرية التى تخيلها.

كانت تحتوى على أريكة قديمة الطراز، وبعض المقاعد التى تنتمى إلى العصر الفيكتورى، والتى لا تبدو مريحة بظهورها الملتوية ذات النقوش. .. وكان القماش الذى صنع منه الأثاث باهت اللون وذا نقوش جميلة من العصر البلورى. كانت حجرتها واحدة من الحجرات الصغيرة، ولكنها ـ ومع حجمها ذلك كانت أكثر اتساعاً من غرف الجلوس فى البيوت الحديثة، وكان لها مظهر مريح يبعث على الدفء، وإن هذا المظهر بدا أقرب إلى إلى الازدحام بسبب تعدد الطاولات فى الغرفة، وكذلك بسبب ما تحتويه من صور. نظر كيرى إلى صورة, قديمة لفتاتين صغيرتين، إحداهما سمراء وتتمتع بالحيوية، والأخرى لا تتمتع بالجمال، تنظر إلى العالم بنظرة متشائمة ضيقة. لقد رأى نفس هذين التعبيرين هذا الصباح. إن الصورة "لبيبا وميلدريد "، فقد كان ذلك مكتوباً على الصورة، وكانت هناك صورة لإيريك جولبراندسن معلقة على الحائط، ولها خلفية ذهبية وإطار سميك من خشب الأبنوس، وقد وجد كيرى صورة لرجل وسيم ذى عينين يملؤهما الضحك، وقد اعتقد كيرى أنها صورة لجون ريستاريك، وبينما هو كذلك، إذ انفتح الباب ودلفت منه السيدة سيروكولد.

كانت ترتدى ملابس سوداء، كان سواد ثوبها غير داكن، وكان وجهها المتورد الصغير يبدو صغيراً بشكل غير معتاد وكان شعرها أشبه بالتاج فضى اللون الذى يتوج هذا الوجه الصغير، وكانت تتمتع بقدر من الحنو والرقة، تلك الرقة التى اخترقت قلب المفتش كيرى مباشرة، وفهم فى هذه اللحظة الكثير مما كان يحيره هذا الصباح. لقد فهم لماذا كان الجميع حريصين كل الحرص على إبعاد كارولين لويز سيروكولد عن كل ما يمكن أن يكدرها قدر استطاعتهم.

ولكنه اعتقد أيضاً أنها ليست من نوع الأشخاص الذين يثيرون الجلبة.

ألقت عليه التحية، وطلبت منه الجلوس، وجذبت كرسياً، وجلست بجواره. لم يكن هو من يساعدها على الشعور بالاطمئنان والارتياح بقدر ما كانت هى تفعل ذلك، وبدأ يطرح عليها أسئلة، والتى أجابت عنها بكل سرعة دون أى تردد، أجابت عن كل تساؤلاته حول انقطاع الأضواء، والشجار الذى دار بين إيدجر لاوسون وزوجها، وصوت الرصاصة

التى سمعوها ...

"ألم تعتقدى أن الرصاصة أتت من المنزل؟".

"كلا، لقد اعتقدت أنها كانت فى الخارج، واعتقدت أنه ربما كان ذلك صوت سيارة".

"أثناء الشجار الذى دار بين زوجك وبين لاوسون، هل لاحظت مغادرة أى شخص للصالة؟".

"كان وولى قد ذهب بالفعل لفحص عطل الأضواء، وخرجت الآنسة بيلفر بعدها مباشرة لإحضار شىء، ولكنى لا أستطيع تذكر ما ذلك الشىء الذى ذهبت من أجله".

"ومن غادر الصالة أيضًا؟".

"لا أحد، على حد علمى".

"وهل كان بوسعك أن تعرفى إذا ما ترك أحد الصالة خلال تلك الفترة يا سيدة سيروكولد؟".

فكرت لدقيقة.

"كلا، لا أعتقد ذلك بالضرورة".

"هل كنت مستغرقة تمامًا فى سماع ما يحدث داخل حجرة المكتب؟".

"نعم".

"وهل كنت متوجسة مما يمكن أن يحدث؟".

"كلا لا أستطيع قول ذلك. لم أعتقد أن شيئًا يمكن أن يحدث حقًا".

"ولكن لاوسون كان معه مسدس؟!".

"نعم".

"وهل كان يهدد زوجك به؟".

"نعم، ولكنه لم يقصد ذلك".

انتاب المفتش كيرى نفس الشعور المعتاد تجاه تلك العبارة التى يرددها أهل هذا المنزل، وأدرك أن هذه السيدة كذلك لا تختلف عنهم.

"لا يمكن أن تكونى على يقين من ذلك يا سيدة سيروكولد".

"حسنًا. ولكن كنت على يقين فى نفسى، كيف يعبر الصبية عن ذلك ويسمونه القيام بدور تمثيلى داخل مشهد؟ هذا هو ما شعرت به, حيال ما كان يحدث. إن إيدجر

مجرد صبى، كان يتصرف بشكل درامى بسخافة، وكان يتخيل نفسه شخصية تتمتع بالقوة والشجاعة، كان يلعب دور البطل المظلوم فى رواية رومانسية. لقد كنت على يقين من أنه لن يطلق الرصاص".

"ولكنه أطلق الرصاص بالفعل يا سيدة سيروكولد".

ابتسمت كارى لويز.

"أعتقد أن ذلك كله كان من قبيل الخطأ".

واعتملت مشاعر الضيق والحنق مرة أخرى داخل المفتش كيرى.

"لم يكن ذلك من قبيل الخطأ. لقد أطلق لاوسون الرصاص بالفعل على زوجك مرتين، وكادت الرصاصة تجد طريقها إليه".

بدت كارى لويز مندهشة، ثم بدا عليها الاكتئاب.

"لا أستطيع، حقًا ـ تصديق ذلك. أوه نعم ـ "، ثم همت بالحديث قبل أن يحتج المفتش على ما تقول وقالت: "نعم، يجدر بى تصديق ما تقول طبعًا طالما أنك من يقوله لى، ولكنى أرى رغم ذلك أنه لابد وأن هناك تفسير بسيط لهذا الأمر، ربما كان المفتش مافيريك قادراً على تفسير هذا الأمر لى.

قال كيرى بتجهم: "أوه، نعم، دكتور مافيريك يمكنه تفسير ذلك جيداً ـ دكتور مافيريك يمكنه تفسير أى شىء. إننى على يقين من ذلك".

قالت السيدة سيروكولد بشكل مفاجئ:

"أعلم أن الكثير مما نفعله هنا يبدو لك تصرفًا أحمق ولا فائدة منه، وأحيانًا يكون الأطباء النفسيون أشخاصاً مزعجين حقًا، ولكننا نجنى ثمار ما عملنا بالفعل، وكما أننا فشلنا فى بعض الأمور، نجحنا فى أمور أخرى، وأن محاولاتنا حقًا جديرة بالاعتبار. إن إيدجر يحب زوجى بالفعل، إلا أننى أعلم أن ذلك أمر قد يصعب عليك تصديقه، وأعتقد أن إيدجر تصرف على هذا النحو الأحمق، مدعيًا أن لويس أبوه، لأنه لديه رغبة عارمة أن يكون والده مثل لويس، ولكن ما يصعب علىّ فهمه هو لجوؤه إلى استخدام العنف. لقد كان حاله أفضل كثيراً من ذلك، بل إنه كان بالفعل شخصاً طبيعياً. وفى واقع الأمر، لقد كنت أراه دائماً كشخص طبيعى لا يعانى من أية مشاكل".

لم يجادلها المفتش فى هذا الأمر.

قال: "إن المسدس الذى حصل عليه إيدجر لاوسون كان أحد متعلقات زوج حفيدتك، فمن المفترض أن لاوسون قد أخذه من حجرة والتر هود. والآن أخبرينى هل سبق لك ورأيت هذا السلاح من قبل؟".

وفى راحة يده كان يحمل المسدس الآلى الأسود الصغير.

نظرت إليه كارى لويز.

"كلا، لا أعتقد ذلك".

"لقد وجدته عند حاملة النوتة الموسيقية، ولقد وجدت أنه تم إطلاق الرصاص منه فى وقت قريب. لم يكن لدينا متسع من الوقت للتحقيق بشأنه كما ينبغى، ولكننى أكاد أجزم بأن هذا هو السلاح الذى قتل به السيد جولبراندسن".

عبست كارى لويز.

"ووجدته عند النوتة الموسيقية على البيانو؟!".

"أسفل بعض نوتات الموسيقى القديمة. موسيقى يمكننى القول بأنه لم يتم عزفها منذ سنوات".

"هل كان مخبأ إذن؟".

"نعم هل تتذكرين آخر من كان جالسًا على البيانو ليلة أمس؟".

"ستيفن ريستاريك".

"هل كان يعزف على البيانو؟"., "نعم كان يعزف بعض الموسيقى البسيطة، يعزف لحنًا صغيراً حزينًا".

"متى توقف عن العزف يا سيدة سيروكولد؟".

"متى توقف عن العزف؟! لا أعلم".

"ولكنه توقف بالفعل؟! فإنه لم يستمر فى العزف طوال مدة الشجار".

"كلا، فقد توقفت الموسيقى".

"هل ترك البيانو؟".

"لا أعلم. لا أعلم أى شىء عما كان يقوم به حتى أتى إلى باب حجرة المكتب، وحاول وضع مفتاح فى الباب لفتح الحجرة".

"هل يمكنك التفكير فى أى سبب يدفع السيد ستيفن ريستاريك لقتل السيد جولبراندسن؟".

"ليس هناك أى سبب "ثم أضافت وهى تفكر: "لا أعتقد أنه هو من فعل ذلك".

"ربما اكتشف جولبراندسن شيئًا سيئًا بشأنه".

"يبدو لى ذلك أمرًا غير محتمل".

كان لدى المفتش كيرى الرغبة فى أن يقول:

"يمكن للبقر أن يطير ولكنه من المستبعد أن يكون من الطيور "كانت هذه مقولة جدته، وقد ظن أن الآنسة ماربل تعرف هذه المقولة بالتأكيد.

3

نزلت كارى لويز على السلم الواسع، وتجمع من حولها ثلاثة أشخاص قادمين من اتجاهات مختلفة، فقد جاءت جينا من الممر، وجاءت الآنسة ماربل من المكتبة، وأتتها جوليت بيلفر من الصالة.

تحدثت جينا أولاً.

قالت بعاطفة طاغية: "عزيزتى، هل أنت على ما يرام؟ هل أزعجوك أو عنفوك بأسئلتهم؟".

"بالطبع لا يا جينا. يا لها من أفكار غريبة تلك التى تدور بخلدك! المفتش كيرى شخصية ساحرة وعطوفة".

قالت الآنسة ماربل: "لابد أن يكون كذلك، والآن يا كارى لويز لقد تلقيتُ جميع خطاباتك والطرود الخاصة بك، وكنت سأحضرها لك فى الطابق العلوى".

قالت كارى لويز: "أحضريها إلى المكتب".

ذهب الأربع إلى المكتبة.

جلست كارى لويز وبدأت فى فتح خطاباتها، كان عددها يقرب من عشرين إلى ثلاثين رسالة، كانت كارى تفتح الرسائل ثم تعطيها للآنسة بيلفر التى كانت تقوم بترتيبها فى أكوام وهى تفسر للآنسة ماربل أثناء قيامها بذلك:

"لدينا ثلاثة أنواع من الرسائل البريدية، النوع أو القسم الأول يضم الرسائل القادمة من أقارب الصبيان النزلاء، وهذه الرسائل أسلمها للدكتور مافيريك. ورسائل الطلبات أتولى أمرها بنفسى، والرسائل الباقية رسائل شخصية ـ وتوجهنى كارى ببعض الملاحظات حول كيفية التعامل معها".

وما أن انتهت السيدة سيروكولد من الاطلاع على الرسائل حتى انتبهت للطرد، فأمسكت بمقص وقطعت الخيوط التى تمسكه.

وظهر من خلال الورق الأنيق الذى يغلف الطرد، صندوق شيكولاتة جذاب، مربوط بشريط ذهبى., قالت السيدة سيروكولد: "لابد وأن أحدهم قد ظن أن اليوم هو عيد ميلادى".

نزعت الشريط الذهبى وفتحت الصندوق، فوجدت بداخله بطاقة شخصية، نظرت إليها كارى لويز وقد اعتراها بعض التعجب.

قالت وهى تقرأ ما على البطاقة: "مع حبى، أليكس "، كم هو غريب أن يرسل لى علبة شيكولاتة عبر البريد فى نفس اليوم الذى سيصل فيه إلى هنا.

لم تشعر الآنسة ماربل بالارتياح لذلك.

قالت بسرعة:

"انتظرى يا كارى لويز لا تتناولى شيئًا منها".

نظرت السيدة سيروكولد وقد بدا عليها الاندهاش.

"كنت سأعطيكم منها".

"حسنًا لا تفعلى ذلك. انتظرى حتى أستفسر عن الأمر ـ هل أليكس فى المنزل؟ هل رأيته يا جينا؟".

قالت جينا بسرعة: "أعتقد أن أليكس كان فى الصالة الآن".

ذهبت، وفتحت الباب ونادت عليه.

بعد دقيقة ظهر أليكس ريستاريك فى الممر.

"سيدتى الحبيبة! إذن لقد نهضت. هل أنت بخير حال؟".

ذهب نحو السيدة سيروكولد وقبلها من وجنتها بلطف.

قالت الآنسة ماربل:

"لقد أرادت كارى لويز أن تشكرك على الشيكولاتة".

بدا أليكس مندهشًا.

"أى شيكولاتة؟".

قالت كارى لويز: "هذه الشيكولاتة".

"ولكنى لم أرسل لك أى شيكولاتة يا عزيزتى".

قالت الآنسة بيلفر: "ولكن علبة الشيكولاتة فيها بطاقتك الشخصية".

نظر أليكس محدقًا إلى البطاقة.

"إنها بطاقتى فعلاً، كم هو غريب، غريب للغاية.. إننى بالتأكيد لم أرسلها".

قالت الآنسة بيلفر: "هذا شيء غريب حقًا".

قالت جينا وهى تنظر إلى علبة الشيكولاتة: "إن هذه الشيكولاتة تبدو شهية حقًا، انظرى يا جدتى إنه نوع الشيكولاتة المفضل لديك، هنا فى المنتصف".

جذبت الآنسة ماربل علبة الشيكولاتة من أمامهم بعيداً بعزم ولكن بأسلوب لطيف. دون أن تتفوه بشيء أخذت الشيكولاتة إلى خارج الغرفة وخرجت لتبحث عن لويس سيروكولد، وأخذ منها الأمر بعض الوقت لتجده لأنه كان فى المعهد، وقد عثرت عليه فى حجرة دكتور مافيريك، حيث وضعت علبة الشيكولاتة أمامه على الطاولة. واستمع إلى قصتها الموجزة عما حدث. وفجأة تحول وجهه إلى العبوس.، وبحذر أخذ هو والدكتور واحدة واحدة من الشيكولاتة وتفحصاها.

قال دكتور مافيريك: "أعتقد أن هناك من عبث بتلك القطع التى نحيتها جانبًا، أنا على ثقة من ذلك. انظر كيف أن الشيكولاتة منبعجة وغير مستوية فى هذا الجزء السفلى؟، علينا الآن القيام بتحليلها".

قالت الآنسة ماربل: "ولكنه أمر غير معقول، لقد أوشك أن يصاب كل من البيت بالتسمم".

حرك لويس رأسه بالموافقة ووجهه لا يزال شاحبًا وجامداً: "صحيح، هذا شيء بالغ الوحشية ... وبالغ الاستخفاف بنا جميعاً، وإنى على يقين من أن جميع قطع الشيكولاتة هذه بطعم الكرز من النوع الذى تحبه كارولين. وكما تعرفين، فهناك سر خلف ذلك".

قالت الآنسة ماربل بأسلوب هادئ:

"إذا كان ما تشك فيه صحيحًا وأن هناك سمًا بالفعل فى هذه الشيكولاتة، فمعذرة، لابد من إعلام كارى لويز بالأمر، يجب أن تأخذ حذرها".

قال لويس سيروكولد بحزن شديد:

"نعم يجب أن تعرف كارى أن هناك من يود قتلها. وأعتقد أن اقتناعها بصحة ذلك سيكون أمراً مستحيلاً".

الفصل السادس عشر

"اسمعى يا آنسة هل هناك حقاً شخص حقير يحاول دس السم هنا؟".

انزعجت جينا عندما أتاها ذلك الصوت الخشن متسائلاً ورفعت شعرها من على جبهتها لترى المتحدث. كانت هناك ألوان طلاء على وجنتـها وس ـروالها. فق ـد ك ـانت هـى ومس ـاعدوها مش ـغولين فـى رس ـم المنظـر الخلفـى لمس ـرحية "النيـل والغ ـروب "ح ـيث ك ـانوا يس ـتعدون لمسرحيتهم القادمة.

كان أحد المساعدين هو من طرح السؤال، لقد كان إيرنى، ذلك الولد الذى لقنها تلك الدروس ذات الفائدة الكبيرة فى التعامل مع الأقفال، وكانت مهارة ايرنى فى فتح الأقفال لا تقل عن مهاراته فى أعمال النجارة الخاصة بالمسرح، وكان إيرنى كذلك من بين أكثر مساعديها نشاطاً وتحمساً للعمل فى المهام المتعلقة بالمسرح.

كانت عيناه الآن براقتين وتشعان بالحماسة ومتعة الترقب.

غمز إيرنى بإحدى عينيه.

"لقد ذاع هذا الخبر فى كل مكان، ولكنى أؤكد لك أن هذا المجرم ليس من بيننا. فليس من طبيعتنا القيام بشىء من هذا القبيل، فلا يمكن أن يفكر أحد فينا فى إيذاء السيدة سيروكولد. حتى جينكيز لم يكن ليقدم على فعل يؤذيها، فهى ليست مثل تلك الساقطة العجوز، التى يرغب الكثيرون فى تسميمها".

"لا تتحدث بهذا الشكل عن الآنسة بيلفر".

"معذرة يا آنسة، لم أقصد ذلك. ما نوع السم المستخدم يا سيدتى؟ هل كان سم الستريكلين؟ إن ذلك السم يجعل المرء يتقوس ظهره ويموت من الألم. أم أن هذا السم هو حامض البروسيان؟".

قالت جينا: "لا أدرى ما الذى تتحدث عنه يا إيرنى".

غمز إيرنى بعينيه ثانية، ثم قال: "لا تخدعينى يا آنسة. إنهم يقولون إن من قام بذلك هو السيد أليكس، وأنه قد أحضر الشيكولاتة المسممة من لندن، ولكن هذا كذب وتلفيق. فالسيد أليكس لن يقدم على فعل كهذا، أليس كذلك يا آنسة؟".

قالت جينا: "بالطبع لن يفعل".

قال إيرنى: "أعتقد أن الفاعل على الأرجح هو السيد بومجارتن، فإنه عندما يعطينا

دروس اللياقة البدنية فإنه يقوم بصنع أشكال شنيعة بوجهه، وأعتقد أنه أحمق".

"عليك بإبعاد زيت الصبغة من هنا".

أطاعها إيرنى وهو يتحدث مدمدمًا لنفسه:

"كم يصعب علىّ فهم طبيعة الحياة هنا! بالأمس يقتل العجوز جولبراندسن، والآن يظهر أمر دس السم. هل تعتقدين أن الأمرين فعلهما نفس الشخص؟ ما رأيك يا آنستى إذا أخبرتك بأننى أعرف القاتل؟".

"إنك لا تعرف شيئًا عن هذا الأمر".

"لا أعرف شيئًا؟ إننى كنت بالخارج الليلة الماضية ورأيت شيئًا ما".

"وكيف أمكنك الخروج؟ الكلية تغلق أبوابها بعد النداء المسائى فى الساعة السابعة".

"النداء. .. يمكننى الخروج وقتما أرغب يا آنسة. فالأقفال لا تمثل عائقًا بالنسبة لى. إننى أخرج وأقوم بالتجول فى الحديقة ليس لشىء سوى الحصول على متعة من ذلك".

قالت جينا:, "ليتك تتوقف عن الكذب يا إيرنى".

"من الذى يكذب؟".

"أنت الذى يكذب. أنت تكذب وتتفاخر بالقيام بأشياء لم تفعلها مطلقًا من قبل".

"هذا ما تعتقدينه يا آنسة، ولكن انتظرى حتى تأتى الشرطة ويسألنى رجالها عن كل ما رأيته ليلة أمس".

"حسنًا، وماذا رأيت؟".

"آه، ألم تظهرى منذ قليل عدم رغبتك فى المعرفة؟".

كادت جينا تهجم عليه لولا أنه فر. وقد حضر ستيفن من الجانب الآخر من المسرح والتحق بجينا، ولقد ناقشا أمر تقنيات وأساليب متعددة جديدة، ومشيا جنبًا إلى جنب باتجاه المنزل.

قالت جينا: "يبدو أنهم جميعًا يعلمون موضوع جدتى والشيكولاتة، أعنى الصبية الأحداث. كيف عرفوا بالأمر؟".

"عن طريق وسيلة سرية لتبادل المعلومات".

"وهم يعلمون أمر بطاقة أليكس. ستيفن، لقد كان تصرفًا أحمق حقًا وضع بطاقة أليكس فى علبة الشيكولاتة فى الوقت الذى كان فيه هنا بالفعل".

"نعم، لكن من كان يعلم أنه سيأتى إلى هنا؟ لقد قرر الحضور إلى هنا بشكل عفوى،

ومن ثم، فقد أرسل هذه البرقية، وربما تم إرسال العلبة فى نفس هذا التوقيت. وأن فكرة وضع بطاقة أليكس مع علبة الشيكولاتة كان من شأنها أن تكون فكرة جيدة، لو أن ستيفن لم يحضر إلى هنا بالفعل؛ لأنه كان يرسل بالفعل لكارولين شيكولاتة بين الحين والآخر".

ثم استمر فى الحديث ببطء قائلاً: "ولكن ما لست قادراً على فهمه حقًا هو ـــ".

قالت جينا مكملة لما يقول: "لماذا يرغب أى شخص فى تسميم جدتى؟ أعلم، فهذا شىء يصعب فهمه حقًا! إن جدتى شخصية محبوبة وتتمتع بشعبية كبيرة، والكل هنا يحبها حقًا".

لم يجب ستيفن. نظرت إليه جينا بحدة، وقالت: "أعرف ما الذى تفكر فيه يا ستيفن!".

"إننى مندهش".

"أنت تفكر فى أن وولى لا يحبها. ولكن وولى لم يكن ليسممها أبدًا. إن هذه الفكرة غير مقبولة".

"إنك الزوجة المخلصة!".

"لا تتحدث بهذا التهكم والسخرية".

"لم أقصد السخرية منك. أعتقد أنك وفية لزوجك. وإننى معجب بك بسبب ذلك، ولكن يا عزيزتى، لا يمكنكما الاستمرار".

"ماذا تعنى بذلك يا ستيفن؟".

"أنت تعلمين تمامًا ما أقصده. أنت ووولى لا ينتمى كل منكما للآخر. إن علاقتكما واحدة من تلك العلاقات التى لن تنجح. وهو يعلم ذلك أيضًا، وسوف يقع الانفصال بينكما يومًا ما، وسوف تكونان أكثر سعادة عندما يحدث ذلك".

قالت جينا: "لا تكن أحمق".

ضحك ستيفن.

"لا تحاولى ذلك، لا تتظاهرى بأنكما مناسبان لبعضكما البعض، أو أن وولى يشعر بالسعادة هنا".

صاحت جينا: "أوه، لا أعلم ماذا دهاه، إنه دائمًا عابس الوجه، وبالكاد يتحدث، وبالنسبة لى، فأنا لا أدرى كيف أتصرف معه، لماذا لا يستطيع الاستمتاع بوقته هنا؟ لقد كنا نستمتع بحياتنا معًا فى وقت من الأوقات، ولقد قضينا أيامًا ممتعة ـ والآن، صار إنسانًا آخر، لماذا يتغير الناس هكذا؟".

"وهل أنا أيضًا أتغير؟".

"كلا يا ستيفن يا عزيزى. فأنت دائمًا كما أنت. هل تذكر أيام الإجازات وكيف كنت أطاردك وأسعى خلفك فيها؟".

"وكم كنت أرى حينها أنك مزعجة، وأقول لنفسى: "جينا تلك الطفلة الشقية "، والآن، تغير الوضع، حيث أردت أن تضيعى مكانك، أليس كذلك يا جينا؟".

قالت جينا بسرعة:

"أحمق". ثم أسرعت بالقول: "هل تعتقد أن إيرنى كان يكذب فيما قال؟ لقد تظاهر بأنه كان يمشى فى الضباب الليلة الماضية، ويلمح بأنه يعرف أشياء عن القاتل. هل تعتقد أن ذلك قد يكون حقيقيًا؟".

حقيقى؟ بالطبع لا. أنت تعلمين يا جينا كيف يتفاخر ويكذب ويفعل أى شىء حتى يجذب الانتباه نحوه ويشعر بأنه شخص مهم".

"أوه، أعلم، أعلم، إننى فقط أتعجب".

ومشى الاثنان إلى جوار بعضهما البعض فى صمت.

2

انعكست شمس الغروب على واجهة المنزل من الناحية الغربية، ونظر المفتش كيرى فى ذلك الاتجاه.

"أهذا هو المكان الذى أوقفت فيه سيارتك تقريبًا؟".

أخذ أليكس ريستاريك خطوات قليلة للوراء كما لو كان يفكر.

وقال: "هو تقريبًا، لكن ليس من السهل تحديد المكان بالضبط، حيث كان الضباب يسود المكان. نعم، يجب القول بأن هذا هو المكان".

وقف المفتش كيرى وهو ينظر حوله بعين فاحصة.

اتخذ الممر الملىء بالحصى شكل منحنى بسيط، وعند المنحنى كانت هناك أشجار صغيرة أمام المنزل من الناحية الغربية، حيث يبزغ بعد تجاوز المنحنى فجأة الشرفة الخارجية، وأشجار الطقسوس متراصة وكان هناك كذلك درج صغير ينزل نحو المروج، وبعدها يمتد الممـر فـى التوائـه مـع صـف مـن الأشـجار العاليـة، ويأخـذ شـكلاً مسـتديراً بـين البحـيرة والمـنزل حتـى ينتـهى عنـد الممشـى الحصـوى عنـد الجانب الشرقى للمنزل.

صاح المفتش كيرى: "دودجيت".

تحرك دودجيت مندفعًا ـ الذى كان يقف على أهبة الاستعداد ـ للعمل بنشاط. هرع

دودجيت بسرعة عبر المدق العشبى متجهًا إلى المنزل، ووصل إلى الشرفة الخارجية، ودخل من الباب الجانبى. ثم انفتحت ستائر إحدى الغرف بقوة، ثم عاد الشرطى دودجيت مرة أخرى خارجًا من باب الحديقة، وجرى مرة أخرى لينضم إليهما، وهو يلهث مثل المحرك البخارى".

"استغرقت دقيقتين، واثنتين وأربعين ثانية". قالها المفتش كيرى وهو يغلق ساعة التوقيت التى كان يحسب بها الوقت، "يستغرق القيام بذلك وقتًا طويلاً، أليس كذلك؟".

كان يتحدث بأسلوب لطيف وكأنه حديث عادى.

قال أليكس: "أنا لا أجرى بنفس سرعة الشرطى. أعتقد أنه من المفترض أنك كنت تقيس الوقت الذى استغرقته تحركاتى إذا كنت أنا القاتل!".

"إننى أود أن أوضح لك فقط أنه كانت أمامك فرصة للقتل، هذا كل شىء يا سيد ريستاريك، إننى إلى الآن لم أوجه إليك أى اتهام".

توجه أليكس ريستاريك بحديثه للشرطى دودجيت الذى كان لايزال يلهث: "إننى لا يمكننى الجرى بنفس سرعتك، ولكن أعتقد أننى مدرب بشكل أفضل".، قال دودجيت: "إننى لم أتدرب منذ مرضت بالتهاب القصبة الهوائية الشتاء الماضى".

استدار أليكس نحو المفتش.

"إننى جاد، عليك أن تتذكر أنه رغم محاولتك أن تجعلنى قلقًا، وفى عدم ارتياح، وتراقب ردود أفعالى، إننا كفنانين حساسون للغاية مثل النباتات الرقيقة جدًا! "، ثم بدا ساخرًا وهو يقول: "لماذا لا تصدق أننى ليس لى علاقة بكل هذا؟ فكيف أكون أنا من فعل ذلك، وأرسل بطاقتى الشخصية على علبة شيكولاتة مسمومة؟".

قال المفتش كيرى: "قد تكون رتبت لذلك وأردت أن نعتقد ذلك. .. هناك ما يسمى الخدعة المزدوجة يا سيد ريستاريك".

"أوه، نعم كم أنت عبقرى. بالمناسبة، هل كانت الشيكولاتة مسمومة حقًا؟".

"نعم، لقد كانت قطع الشيكولاتة الست بطعم الكرز مسمومة وقد كانت تحتوى على مادة الأُونيطن السامة".

"ليست تلك من بين السموم التى أفضلها يا سيادة المفتش فأنا شخصيًا ضعيف أمام مادة الكورار".

"ولكن يجب أن تدخل مادة الكورار إلى الدم يا سيد ريستاريك وليس عن طريق المعدة".

قال أليكس بإعجاب: "كم يكون رجال الشرطة مطلعين بشكل رائع!".

نظر المفتش كيري نحو أليكس نظرات جانبية غير لافتة، ولاحظ أن أذنيه متدليتان قليلاً، ولاحظ أيضًا شكل وجهه المنغولى الذى لا يحمل قسمات الوجه الإنجليزى وعينيه الممتلئتين بالسخرية، وشعر المفتش بأنه يصعب على المرء أن يعرف ما يدور بخلد أليكس ... وقد جعله التفكير فى هذا الأمر يشعر بعدم الارتياح.

"لخص المفتش كيرى شخصية أليكس بعبارة واحدة دارت فى خلده "إنه شخص مراوغ ويتمتع بالدهاء "، رأى المفتش كيرى أن أليكس كان يفوق أخاه ذكاء. كانت أمه روسية كما سمع المفتش كيرى، وبالنسبة للمفتش كيرى فإن "الروس "بغيضون، وكل ما يتعلق بروسيا سيئ فى نظره، وفكر فى أنه لو كان أليكس هو بالفعل القاتل لكان بذلك مجرمًا لديه قدرة فائقة على الإقناع ـ ولكن للأسف لم يكن المفتش كيرى مقتنعًا بأن أليكس هو المجرم الذى يبحث عنه.

إن الشرطى دودجيت قد استعاد أنفاسه، وصار قادرًا على التحدث الآن.

قال: "لقد حركت الستائر كما أمرتنى يا سيدى وقمت بالعد إلى ثلاثة، ولقد لاحظت أن الستائر من أعلى كانت ممزقة، مما يعنى وجود فتحة هناك، وأنك إذا كنت خارج الغرفة لايزال فى إمكانك رؤية الضوء بداخلها".

قال المفتش كيرى لأليكس:

"هل لاحظت ضوءًا منبعثًا من نافذة الغرفة ليلة أمس؟".

"لم أتمكن من رؤية المنزل بأكمله بسبب الضباب، وقد أخبرتك بذلك".

قال المفتش: "ولكن كثافة الضباب قد تختلف من مكان لآخر، وربما ينجلى الضباب تمامًا للحظة فى مكان هنا أو هناك".

"لم ينجل الضباب مطلقًا بدرجة تسمح لى برؤية المنزل ـ أعنى المنزل بأسره. أما مبنى التدريبات الرياضية فقد ظهر من وسط الضباب ولكن لم يكن المبنى واضحًا تمام الوضوح، إلا أن ذلك كان شيئًا رائعًا حقًا لأنه ألهمنى بديكورات رائعة يمكننى استخدامها فى المسرح، فإنى كما ذكرت لك سأعرض مسرحية راقصة".

قال المفتش مؤكدًا: "لقد أخبرنى بذلك بالفعل".

"لقد اعتاد المرء كما تعلم أن ينظر إلى الأمور من وجهة نظر الأدوات والأبعاد المسرحية، ولا ينظر إلى شكلها الحقيقى".

"نعم، ولكن مع ذلك فالأدوات المسرحية أشياء واقعية، أليس كذلك يا سيد ريستاريك؟".

"لا أفهم قصدك أيها المفتش تمامًا".

"حسنًا، إن الديكور المسرحى وغيره من الأدوات المسرحية هى مواد حقيقية. فإنها

مصنوعة من القماش والخشب و الصبغات والألواح., والخيال يكمن فى عين المشاهد، لا فى الديكور نفسه، وبهذا، فكما ذكرت فإن ذلك هو شيء واقعى ـ سواء خلف المشهد المسرحى أو أمامه فكلاهما واقعى".

حملق أليكس إليه.

"إن ما ذكرته الآن يعتبر ملاحظة ثاقبة للغاية، أيها المفتش، وقد أوحت لى بفكرة".

"هل هى مسرحية راقصة أخرى؟".

"كلا، ليس مسرحية راقصة أخرى. .. يا إلهى، أنا مندهش من حماقتنا إلى هذا الحد!!".

3

رجع كل من المفتش والشرطى دودجيت الى المنزل مرة ثانية عبر الأعشاب. (ظن أليكس فى نفسه أنهم يبحثون عن آثار أقدام؛ ولكنه كان مخطئاً فى ذلك. لقد بحثوا بالفعل قبل ذلك عن آثار أقدام فى وقت سابق من الصباح، ولكن لم يحالفهم الحظ لأنها أمطرت بغزارة فى الثانية صباحاً. سار أليكس ببطء عبر الممشى وهو يعيد التفكير فى الفكرة التى تبادرت إلى ذهنه، ولكنه ترك ذلك عندما ـ رأى جينا وهى تتمشى بالقرب من البحيرة. كان المنزل بشكل نسبى ـ مرتفعاً قليلاً، وكانت اليابسة تنحدر من حوله بانسياب، بداية من المساحات المفروشة بالحصى أمام المنزل، وإلى البحيرة، التى كانت تلفها الزهور، والشجيرات الأخرى.

جرى أليكس عبر المكان المفروش بالحصى وقابل جينا.

وقال وهو يغمض عينيه: "لو كنا نستطيع إطفاء الأنوار، وإظلام هذا المبنى الفكتورى البشع الكئيب، فستصبح هذه البحيرة بحيرة بجع رائعة للغاية، وستتوجين يا جينا كأميرة البجع. ولكننى عندما أمعن التفكير فيك أجدك أشبه بأميرة الثلج. أنت فى غاية القسوة، وأنت مصممة على التصرف بهذا النحو، بدون أية رحمة أو عطف أو شفقة، إنك فى غاية الأنوثة يا عزيزتى جينا".

"وأنت حقود جداً يا عزيزى أليكس!".

"أنت ترين كذلك لأننى رفضت خداعك لى! أنت فخورة بنفسك جداً يا جينا، أليس كذلك؟ إنك تقوديننا جميعاً إلى حيث تريدين، أنا وستيفن وزوجك المسكين".

"إن ما تقوله محض هراء".

"أوه، كلا. إن ستيفن يحبك وأنا أحبك، ووولى مسكين، وفى حالة يرثى لها. ما الذى يمكن أن ترغب فيه امرأة أكثر من هذا؟".

نظرت إليه جينا، وضحكت.

حرك أليكس رأسه بقوة، وقال:

"إنـــك تتمتعـــين بالصـــراحة والصـــدق وأنـــا ســـعيد بـذلك، فـهذا هـو الجـانب اللاتـينى منـك. فـأنت لا تحـاولين التظـاهر بـأن الرجـال هـم مـن ينجذبون نحوك، وأنك تشعرين بالأسف لذلك، بل أنت تحبين أن يقع الرجال فى حبك وترغبين فى ذلك وتفعلينه عن قصد، أليس كذلك أيتها القاسية جينا؟، فحتى المسكين الصغير إيدجر لاوسون لم يسلم من شباكك!".

نظرت إليه جينا بثبات.

وقالت بصوت هادئ يحمل نبرة حادة:

"إن هذا لا يستمر طويلاً، والنساء يعشن أوقاتا سيئة فى هذه الدنيا أكثر بكثير مما يعيش الرجال. إنهن أكثر حساسية ورقة من الرجال، فهن ينجبن الأطفال، وينصب اهتمامهن على أطفالهن تماماً، وبمجرد أن تتقدم النساء فى السن ويفقدن جمالهن يتوقف حب الرجال لـــهن، وبـــالتالى يتـــم خيانتـــهن وهجـــرهن وإهمالـــهن. إننـــى لا ألـوم الرجـال، وسـوف أتصـرف بنفـس الطريقـة لـو كنـت مكانـهم؛ فـإننى أكـره الأشخاص العجائز أو ذوى الخلقة الدميمة، أو المرضى أو الذين ينتحبون من أجل مشاكلهم. وأكره الأشخاص السخفاء مثل إيدجر الذى يتظاهر بأنه شخص ذو أهمية وذو قيمة. هل تقول إننى قاسية؟ إنه عالم قاسٍ، وعاجلاً أم آجلاً سيعاملنى بقسوة، ولكنى الآن مازلت صغيرة وجميلة المظهر، والناس يجدوننى جذابة". وقد لمعت أسنانها خلال ابتسامتها الدافئة المميزة، وأردفت: "نعم إننى أستمتع بذلك يا أليكس، ولماذا لا أستمتع؟".، قال أليكس: "نعم، لماذا؟ ما أردت معرفته هو ما تنوين فعله تجاه هذا الأمر. هل ستتزوجين من ستيفن أم هل ستتزوجيننى أنا؟".

"إننى متزوجة من وولى".

"هذا بشكل مؤقت، فكل امرأة يمكن ألا تحسن الاختيار فيما يتعلق بزواجها ـ ولكن ليس هناك داعٍ للتمادى فى هذا الخطأ. فبعد أن قدمت العرض فى الضواحى حان الوقت لتقدميه فى العاصمة".

"وهل أنت العاصمة يا أليكس؟".

"دون شك".

"هل ترغب حقًا فى الزواج منى؟ لا يمكننى أن أراك متزوجًا".

"إننى مصر على الزواج، فالعلاقات العابرة ليس من ورائها طائل، فالزواج أكثر استقراراً".

"إنك تقوم بتسليتى يا أليكس حقاً".

"هذا رأسمالى الأول. فستيفن أكثر وسامة منى. إنه وسيم للغاية، ورومانسى وعاطفى للغاية، الأمر الذى تحبه النساء لدرجة الجنون. ولكن العاطفة تفتر وتزول فى البيت، ولكن معى يا جينا ستعيشين حياة ممتعة ومسلية".

"ألا تصرخ بصوت عالٍ وتقول إنك تحبنى بجنون؟".

"على الرغم من أن ذلك قد يكون صحيحاً، إلا أننى بالتأكيد لن أقوله، لأننى إذا فعلت سأجعلك تكسبين نقطة لصالحك، أما أنا فسأخسر نقطة. كلا، إن ما يمكننى فعله هو أن أقدم لك عرضاً عملياً للزواج".

قالت جينا مبتسمة: "سيكون علىّ التفكير فى ذلك".

"هذا أمر طبيعى. ولكن، أولاً، عليك أن تضعى حداً للحياة البائسة التى يعيشها وولى. إننى أتعاطف معه كثيراً. لابد أن زواجه منك كان بمثابة الجحيم، إنه منساق خلفك فإنه مربوط بعجلات عربتك، ويتم جره فى هذا المناخ العائلى الثقيل المجنون بحب الإنسانية".

"يا لك من وغد يا أليكس!".

"وغد يفهم كل الأمور من حوله".

قالت جينا: "إننى فى بعض الأحيان لا أرى أن وولى يهتم بى مطلقاً، إنه لم يعد يلاحظ وجودى أو يهتم بى".

"هل حاولت إثارته و تحريكه مستخدمة عصا ولم يستجب ويتأثر؟ يا له من أمر مثير للضيق".

وبحركة خاطفة رفعت جينا راحة يدها بصفعة خاطفة على خد أليكس الناعم.

صاح أليكس: "آه".

وبحركة خاطفة جذبها بين ذراعيه، وقبل أن تستطيع مقاومته قام بتقبيلها فقاومته فى البداية وقاومته، ولكنها بعد ذلك استسلمت ...

"جينا!".

ابتعد الاثنان بسرعة عن بعضهما البعض. كانت ميلدريد تحدق إليهما وعيناها يتطاير منهما الشرر، وكانت شفتاها ترتجفان. وللحظة ـ من فرط انفعالها ـ لم تكن قادرة على نطق الكلمات، أو إخراجها من فمها.

"مقزز ... شىء مقزز أيتها الفتاة الساقطة، إنك تماماً مثل أمك ... إنسانة فاسدة.. إنك لست فاسدة فحسب، إنك قاتلة أيضاً ... نعم، صرت أعرف ما أعرفه".

"وما الذى تعرفينه؟ لا تتصرفى بحماقة يا خالة ميلدريد".

"إننى لست خالتك، وحمداً لله على ذلك، فليس بيننا صلة دم. إنك حتى لا تعرفين من كانت أمك، أو من أين أنت! ولكن تعرفين حقاً كيف كان حال أمى وأبى. فما نوع الطفلة التى كان سيكفلانها أبواى؟ طفلة امرأة مجرمة أو ساقطة! هذا هو نوع الأطفال الذين يتم, كفالتهم. وقد كان على أبوىّ أن يتذكرا أن العوامل الوراثية ستترك بصمتها على النسل. وأعتقد أن العرق الإيطالى فيك هو ما جعلك تلجئين إلى السم".

"كيف تجرئين على التفوه بذلك؟".

"سأقول ما أود قوله. لا يمكنك الإنكار الآن، هناك من حاول تسميم أمى، ومن الشخص الذى يقدم على فعل كهذا؟ من الذى ستئول إليه ثروة كبيرة بوفاة أمى؟ أنت يا جينا، وعليك التأكد أن الشرطة لم تستخف بهذه الحقيقة".

انصرفت ميلدريد بعيداً وهى لا تزال ترتعد.

قال أليكس: "إنها سيدة مريضة ،مريضة بكل تأكيد، إنه أمر مثير، إنها تذكرنى بكانون ستريت، لقد كان مثلها هكذا، لقد كان مثيراً للاشمئزاز".

"إننى أكرهها حقاً يا أليكس، أكرهها، أكرهها".

أطبقت جينا كفيها وهى ترتجف ويعتريها غضب عارم.

قال أليكس: "إنها محظوظة لأنه لم يكن بحوزتك سكين فى جيبك. لو كان معك سكين لعرفت السيدة ستريت شيئا عن معنى القتل، ولكن من منظور الضحية تحلى بالهدوء يا جينا ولا تتصرفى بشكل مأساوى وكأنك فى أوبرا إيطالية".

"كيف تجرؤ على أن تقول إننى حاولت دس السم لجدتى؟".

"حسناً يا عزيزتى، فقد حاول أحدهم تسميمها. وإذا نظرنا إلى الدافع فستجدين أنك واحدة من المشتبه فيهم تماماً، أليس كذلك؟".

حملقت جينا فيه: "أليكس! هل تعتقد الشرطة ذلك؟".

"إنه أمر بالغ الصعوبة معرفة ما تفكر فيه الشرطة؟ إنهم يحتفظون بمعلوماتهم بشكل متميز. إن رجال الشرطة ليسوا بالحمقى. وهذا يذكرنى بـ ...".

"إلى أين أنت ذاهب؟".

"لأتأكد من فكرة خطرت على بالى".,

الفصل السابع عشر

"أتقول إن هناك من كان يحاول تسميمى؟".

كان صوت كارى لويز يحمل هلعا وكان مرتاعًا وبدت غير مصدقة تمامًا، وقالت: "إننى غير قادرة على تصديق ما تقوله حقًا!".

صمتت لحظات قليلة، كانت عيناها ـ خلال ذلك ـ نصف مغمضتين.

قال لويس سيروكولد بأسلوب لطيف: "كنت أود أن أبعد عنك هذا الألم يا عزيزتى".

مدت له يدها وهى غائبة العقل تمامًا شاردة، فأخذ يدها بين يديه.

وهزت الآنسة ماربل ـ التى كانت تجلس بجوارهما ـ رأسها بتعاطف.

فتحت كارى لويز عينيها .

"هل هذا حقيقى يا جين؟".

"يؤسفنى ذلك يا عزيزتى".

"إذن، فالجميع "ثم توقفت كارى لويز عن الكلام.

وأردفت بعدها:

"لطالما اعتقدت أن بمقدورى قراءة ومعرفة أى شىء سيئ قد يحدث ... ولكن من الذى يريد أن يفعل بى هذا؟ هل يمكن أن يكون هناك شخص فى هذا المنزل يرغب ـ يرغب فى قتلى؟".

كانت نبرة صوتها تشير إلى أنها غير مصدقة .

قال لويس: "هذا ما كنت أعتقده، لكنى كنت مخطئًا".

"وهل كان كريستيان يعلم بالأمر؟ فهذا يفسر الأمر الآن".

سأل لويس: "ما الذى يفسره ذلك؟".

قالت كارى لويز: "سلوكه، لقد كان سلوكه غريبًا للغاية. لم يكن على طبيعته مطلقًا. لقد كان يشعر بالانزعاج والقلق علىّ ـ وبدا كما لو كان يود قول شيء، ولكنه غير قادر على قوله. وقد سألنى عما إذا كان قلبى قويًا وفى حالة جيدة؟ وما إذا كانت

صحتى جيدة؟ ربما كان أراد أن يلمح لى بالأمر. ولكن، لماذا لم يخبرنى بالأمر بشكل مباشر؟ لقد كان من السهل أن يخبرنى بالأمر مباشرة".

"لم يرغب فى أن يؤذى مشاعرك يا كارولين، ويسبب لك شعوراً بالألم".

"ألم؟! لماذا. ... أوه، أتفهم ذلك "، ثم اتسعت عيناها وهى تقول: "إذن فهذا هو ما تظنه يا لويس ولكنى مخطئ فى ذلك تمام الخطأ، أؤكد لك ذلك".

تجنب زوجها النظر إلى عينيها.

قالت السيدة سيروكولد بعد برهة: "معذرة، ولكنى لا أستطيع تصديق أى من الأشياء التى حدثت مؤخراً؛ تصويب إيدجر الرصاص عليك، جينا وستيفن، صندوق الشيوكولاتة السخيف، فكل ذلك لم يكن ليُصدق".

لم ينبث أى من السيد سيروكولد أو الآنسة ماربل بكلمة .

قالت السيدة سيروكولد: "أعتقد أننى قد عشت بعيداً عن الواقع لوقت طويل ... من فضلكما إننى أود البقاء بمفردى ... علىّ أن أحاول استيعاب كل هذا".,2

نزلت الآنسة ماربل إلى الصالة الكبرى عبر السلم، حيث وجدت أليكس ريستاريك واقفاً بالقرب من الباب المؤدى إلى الصالة، ذلك الباب الكبير مقوس الشكل، وعندما رأى أليكس الآنسة ماربل قادمة مد يده، وأشار لها إشارة مسرحية.

وقال لها بفرح وكأن. هذه الصالة الكبرى ملك له: "تفضلى، تفضلى إننى فقط أفكر فيما حدث ليلة أمس".

أما لويس سيروكولد ـ الذى تبع الآنسة ماربل بينما كانت تنزل من حجرة جلوس زوجته كارى لويز ـ فقد عبر الصالة متجهاً مباشرة إلى حجرة المكتب وأغلق الباب خلفه.

سألت الآنسة ماربل بفضول تحاول إخفاءه: "هل تسعى إلى إعادة تكوين مشاهد الجريمة؟".

قال أليكس متجهماً: "ماذا؟". ثم زال اقتطاب حاجبيه، وقال: "تعنين ذلك، كلا ليس تماماً. لقد كنت أحاول النظر إلى القضية بأسرها من زاوية مختلفة كلية. كنت أحاول رؤية هذا المكان من منظور المسرح، أحاول ألا أراه جزءاً من الواقع، بل على أنه عالم مسرحى مصطنع. تعالىْ إلى هنا، فكرى فى المكان بلغة خشبه المسرح: الإضاءة، المداخل، المخارج، الممثلون فى المسرحية، الأصوات من خارج المسرح، جميعها أشياء مثيرة، ليست هذه الفكرة فكرتى الخاصة؛ فالمفتش هو من ألهمنى بذلك. أعتقد أنه رجل غليظ القلب. لقد بذل قصارى جهده لإخافتى هذا الصباح".

"وهل نجح فى إخافتك؟".

"لا أدرى".

شرح أليكس لها تجربة المفتش والأداء الذى قام به مساعد متقطع النفس دودجيت من جراء ركضه بسرعة.

ثم قال: "إن الوقت شىء مخادع للغاية، فربما يعتقد المرء أن أموراً مثل هذه تتطلب القيام بهذا وقتًا طويلاً، ولكن فى الحقيقة، إنها لا تستغرق كل هذا".

قالت الآنسة ماربل: "كلا".

وكأنها هى الجمهور، تحركت الآنسة ماربل إلى موضع آخر. كان ديكور خشبة المسرح هنا يتكون من حائط كبير عال تكسوه ستائر ثقيلة منقوشة بالصور، وبيانو كبير على الجهة اليسرى، ونافذة على الجانب الأيمن، وكان هناك الباب المؤدى إلى المكتبة، قريب للغاية من المقعد الموجود أسفل النافذة، أما مقعد البيانو فكان بعيداً عن الباب المؤدى إلى الخارج ثم إلى الممر، بثلاثة أمتار، وهذان المخرجان مناسبان للجريمة تماماً، فالآن الجمهور قادر على رؤية هذين المخرجين رؤية واضحة.

أما بالأمس، كان المسرح خالياً من الجمهور، بمعنى أنه لم يتخذ أحد مقعده أمام ديكورات خشبة المسرح. إن الآنسة ماربل الآن تقف أمامها مباشرة، ولكن الجمهور بالأمس كان يجلس مولياً ظهره لخشبة المسرح تلك.

فكرت الآنسة ماربل، ما الوقت الذى يمكن أن تستغرقه وهى تخرج من الصالة فى هدوء دون أن يراك أحد وتجرى مسرعاً خلال الممر، وتطلق الرصاص على جولبراندسن وتعود مرة ثانية؟ لن يستغرق الأمر وقتًا طويلاً كما قد يعتقد المرء. وإذا ما تم حساب الأمر بالدقائق والثوانى سيعرف المرء أن قتله والعودة مرة أخرى فى واقع الأمر لن يستغرق وقتًا طويلاً على الإطلاق.

وما الذى كانت تعنيه كارى لويز بقولها لزوجها: "إذن هذا ما تظنه يا لويس، ولكنك مخطئ فى ذلك تمام الخطأ!".

جاء صوت أليكس قاطعاً تفكيرها: "علىّ حقًا الاعتراف بأن إشارة المفتش كانت ثاقبة عندما قال إن ديكورات المسرح شىء واقعى. إنها تصنع من الخشب والكرتون. ويتم لصق أجزائها معاً بالغراء، فيكون الجانب الخالى من الطلاء واقعياً بنفس درجة الجانب المطلى".

وقد أشار المفتش إلى أن "التخيل يصيب عين الجمهور بالوهم".

غمغمت الآنسة ماربل: "مثل السحرة؛ فهم يخدعون الجمهور باستخدام المرايا على حد اعتقادى".

دخل ستيفن ريستاريك وهو متقطع النفس قليلاً ،

وقال: "مرحبًا أليكس، هل تذكر ذلك الفتى الداهية إيرنى، لا أدرى إن كنت تتذكره أم لا؟".، "الشخص الذى كان يقوم بدور "فيستى "عندما أخرجت مسرحية "الليلة الثانية عشرة "، إنه يتمتع بموهبة كبيرة على ما أعتقد".

"نعم، إنه يتمتع بموهبة من نوع ما، وإنه بارع أيضًا فى استخدام يديه. إنه يقوم بالكثير من أعمال النجارة، ولكن ليس ذلك موضوعنا. لقد كان يتفاخر على جينا، مدعيًا بأنه خرج تلك الليلة وكان يتمشى فى الحديقة، وقال إنه كان يتجول ورأى شيئًا ما ليلة أمس".

استدار أليكس قائلاً:

"ماذا رأى؟".

"لقد قال إنه لن يخبر أحدًا بما رأى. فى حقيقة الأمر، إننى على يقين من أنه يحاول فقط التفاخر والشعور بالأهمية. إنه كاذب، ولكنى أعتقد أنه يجب التحقيق معه".

قال أليكس بأسلوب حاد: "أعتقد أننا يجب أن ندعه الآن. لا تجعله يعتقد أننا مهتمون بأمره".

"ربما تكون على حق. أعتقد أنك محق فى ذلك. فربما نسأله هذا المساء".

ذهب ستيفن إلى المكتبة.

كانت الآنسة ماربل تتحرك فى الصالة، وكأنها تقوم بدور جمهور متحرك، حيث اصطدمت مع أليكس الذى تحرك فجأة.

قالت الآنسة ماربل: "معذرة "

تجهم نحوها أليكس بذهن شارد وقال: "عفوًا ...". ثم أضاف بدهشة: "آه، ها أنت".

تعجبت الآنسة ماربل مما قاله، خصوصًا وأنها كانت فى حديث طويل معه منذ قليل.

قال أليكس: "كنت أفكر فى شىء آخر. ... ذلك الولد إيرنى. "وحرك يديه بطريقة غريبة.

وبحركة مفاجئة، عبر الصالة وغادر من خلال باب المكتبة، وأغلقه وراءه.

خرج صوت الهمهمات من خلف الباب الموصد، ولكن الآنسة ماربل لم تفهمها، وعلى أى حال لم تكن الآنسة ماربل مهتمة بذلك الفتى إيرنى وما رآه، أو ما تظاهر بأنه قد رآه. لقد كان لديها شعور قوى بأن إيرنى هذا لم ير شيئًا مطلقًا، إنها لا تستطيع تصديق أن شخصًا فى ليلة قاسية البرودة ضبابية مثل ليلة أمس، يمكن أن يجهد نفسه لمحاولة فتح الأقفال لمجرد التمشية فى الحديقة، وفى الغالب، فإنه لم يخرج مطلقًا فى

الليل، وأن الأمر كله مجرد تلفيق منه لمجرد التفاخر.

دار بخلد الآنسة ماربل أن إيرنى مثل جونى باكهاوس؛ فإن الآنسة ماربل لديها، دائماً، مخزون من التشبيهات تختار وتستقى منه، يتمثل هذا المخزون فى سكان قريتها سانت مارى ميد.

فكلما أراد جونى أن يستفز أحدهم، ويعرف أنه سوف يتأثر، كان يقول له: "لقد رأيتك ليلة أمس".

وقد كانت عبارته تلك تنجح بصورة مدهشة. ولقد فكرت الآنسة ماربل، أنه بسبب ذلك كان الكثير من الناس يحرصون ألا يراهم جونى باكهاوس فى الأماكن التى يذهبون إليها!

طردت فكرة جونى من عقلها وركزت على الشىء الغامض الذى رواه أليكس عن ملاحظات وإشارة المفتش حول الحياة والمسرح. إن تلك الملاحظات أوحت لأليكس بفكرة. فهل تلك الملاحظات قد أوحت إليها بفكرة هى الأخرى؟ هل أثارت بداخلها نفس الفكرة؛ أم فكرة أخرى؟

وقفت حيث كان أليكس واقفاً، وفكرت بينها وبين نفسها: "إن هذه الصالة لا تنتمى إلى عالم الواقع، إنها مجرد ديكور مصنوع من كرتون وقماش وخشب ... إنها جزء من مشهد مسرحى ... "، تبادر إلى عقلها صور وعبارات متفرقة "وَهْم فى عين الجمهور ـــ". "إنهم يخدعون باستخدام المرايا"... آنية يخرج منها السمك ... أشرطة ملونة طويلة ... ونساء يختفين"... كلها أمور تضليلية وألاعيب سحرة .

شىء ما بدأ فى التحرك فى عقل الآنسة ماربل الواعى ـ صورة ـ شىء ما قاله أليكس ... شىء ما وصفه أليكس ... الشرطى دودجيت يلهث ومتقطع الأنفاس. شىء ما فى عقلها تحرك بالفعل ... ووقع فجأة تحت بؤرة التركيز ., قالت الآنسة ماربل: "بالطبع! ... لابد وأنه كذلك".,

الفصل الثامن عشر

"آه وولى، لقد أفزعتنى!".

قفزت جينا إلى الوراء قليلاً وهى تظهر من بين ظلال المسرح، عندما رأت هيئة زوجها وولى هود وهو خارج من الظلام، لم يكن الظلام حالكًا تمامًا، ولكن كان ما ينتشر بالمكان هو نصف الضوء الذى يُفقِد الأشياء هيئتها الحقيقية، ويجعلها تبدو على هيئة أشكال خيالية فى كابوس مزعج.

سألته: "ما الذى أتى بك إلى هنا؟ إنك فى المعتاد لا تأتى إلى المسرح مطلقًا".

"كنت أبحث عنك يا جينا، فهذا أفضل مكان يمكن أن أجدك فيه، أليس كذلك؟".

لم يلمح وولى بصوته الرقيق إلى أى شىء، إلا أن جينا انتابها شعور بسيط بعدم الارتياح.

"إنه عملى، وأنا أحبه كثيراً. إننى أحب مناخ الطلاء والزخارف والأقمشة وخلفية المسرح بشكل عام".

"نعم إنه يعنى الكثير لك. لقد لمست ذلك. فى رأيك يا جينا كم ستستغرق هذه القضية من الوقت حتى تنتهى؟".

"سيبدأ التحقيق فى الغد، ولقد فهمت من المفتش كيرى أن البدء فى القضية سيؤجل لأسبوعين تقريبًا".

"أسبوعان، نعم، فهمت، ولنفترض أن الأمر سيأخذ ثلاثة أسابيع حتى ينتهى، وبعد ذلك سوف نكون أحراراً، فسوف أعود إلى الولايات المتحدة حينها".

صاحت جينا: "ولكنى لا أستطيع التصرف بعجلة على هذا النحو. لا يمكننى المغادرة وترك جدتى، وهناك أيضًا الآن المسرحيتان اللتان نعمل فيهما...".

"لم أقل "إننا "سنعود، لقد قلت "إننى "سأعود".

توقفت جينا ونظرت إلى زوجها. وثمة شىء فى الظل زاده ضخامة فوق ضخامته، وجعله يبدو شديد الضخامة. كان جسده الضخم يقف ثابتًا دون حراك ورأت جينا ـ على نحو ما ـ أنه بوضعه ذلك كان يحمل شيئًا من التهديد أو الخطورة، بدا لو كان يقف مهدداً إياها لكن بماذا؟".

قالت بتردد: "أتعنى أنك لا ترغب فى قدومى معك؟".

"ولِمَ لا؟ إننى لم أقل ذلك".

"ألا تهتم إن ذهبت أو لم أذهب معك؟ هل هذا هو الأمر؟".

وكان قد انتابها الغضب فجأة.

"اسمعينى يا جينا، إنه الآن موعد مواجهة الواقع. إننا عندما تزوجنا لم نكن نعرف الكثير عن بعضنا البعض ـ ليس الكثير عن خلفيات بعضنا بعض، وليس الكثير عن عائلات كل منا. لقد ظننا أن مثل هذه الأشياء ليست ذات أهمية، طالما أننا نستمتع بوقتنا معًا وها هى الفترة الأولى من حياتنا قد انتهت، إن أسرتك لم تقدر شأنى كثيرًا ولم تظهر الكثير من الاحترام نحوى، وربما كانوا محقين فى ذلك، فإننى بالفعل مختلف عنهم. وإذا كنت تفكرين للحظة يا جينا أننى سأمكث هنا لأقوم بتلك الأعمال الغريبة فى ظل هذا الجو الشاذ المجنون، فأؤكد لك أنك مخطئة، فإننى أرغب فى الذهاب إلى موطنى وفى العيش هناك، وأرغب فى القيام بالعمل الذى أحبه والقادر على القيام به. إن الزوجة المخلصة فى نظرى هى نفس النموذج للزوجة الرائدة الأولى ... تلك الزوجة التى على أتم الاستعداد للقيام بأى شىء وكل شىء ... مستعدة لمواجهة الصعاب، وإلى مكان غريب عليها، وإلى مواجهة المخاطر والعيش فى عوامل محيطة غير مألوفة ... وقد كان طلب ذلك منك أمرًا صعبًا عليك للغاية، أما فى هذه الأيام فلم يعد أمامنا خيار؛ فإما أن ترضى بما هو متاح، وإما أنك لن تجد شيئًا! ربما كانت هناك أمور دفعتنى إلى العجلة فى أمر الزواج. وإذا كان الأمر كذلك فإننى أرى أن حصولك على حريتك والبداية من جديد سيكون أفضل. إن الأمر يرجع إليك. إذا كنت تفضلين واحدًا من هؤلاء الصبية الفنانين فهذه حياتك، وعليك الاختيار، ولكنى, سأعود إلى بلدى".

قالت جينا: "أعتقد أنك بلا مشاعر تمامًا، إننى أستمتع بحياتى هنا".

"هل هذا هو الأمر إذن؟ ولكنى، لا أحب العيش هنا، ولا أجد أى متعة هنا. أعتقد أنك تستمتعين حتى بجرائم القتل؟!".

أخذت جينا نفسًا بعصبية.

"إن ما تقوله شىء فى منتهى القسوة. لقد كنت أحب العم كريستيان. ألم تعلم كذلك أن هناك من يدس السم لجدتى منذ شهر دون علم أحد؟ هذا شىء مريع!".

"أخبرتك بأننى لا أحب المناخ هنا. لا أحب نوع الأمور التى تحدث هنا. إننى منسحب".

"ذلك إذا سمحوا لك بالانسحاب! ألا تعلم أنه يمكن إلقاء القبض عليك بتهمة قتل عمى كريستيان؟ إننى لا أحب الأسلوب الذى ينظر به المفتش كيرى إليك. إنه يبدو

كما لو كان يستعد للانقضاض عليك. وكل هذا لأنك خرجت من الصالة لإصلاح الكهرباء، ولأنك لست إنجليزيًا. وأنا واثقة أنهم سيلفقونها لك".

"سيحتاجون إلى دليل ضدى أولاً".

قالت جينا وهى تنتحب:

"إنى خائفة عليك يا والتر، لقد كنت خائفة عليك طوال الوقت".

"لا داعى للخوف. إننى أؤكد لك أنهم لا يملكون أى دليل ضدى".

ومشيا باتجاه المنزل فى صمت.

قالت جينا:

"لا أصدق حقًا أنك لا ترغب فى ذهابى معك إلى أمريكا...".

لم يجب والتر هود.

استدارت جينا وركلت الأرض برجليها وصاحت وهى تواجهه:

"إننى أبغضك، أبغضك، أنت شخص بشع ــ وحش بلا مشاعر. بعد كل ما حاولت القيام به من أجلك! إنك تريد إبعادى عنك، ولا يعنيك رؤيتى مرة ثانية إننى أيضًا لا أرغب فى رؤيتك، كم كنت غبية لأننى تزوجت منك، وقريبًا سأحصل على طلاقى منك، سأتزوج من ستيفن أو أليكس، وسأكون أكثر سعادة مما كنت معك. وآمل أن تذهب إلى الولايات المتحدة، وأن تتزوج من فتاة بشعة، تجعل منك شخصًا بائسًا".

قال وولى: "حسنًا، إننا الآن نعرف موقفنا".

2

رأت الآنسة ماربل جينا ووولى يدلفان من باب المنزل معًا.

كانت الآنسة ماربل تقف فى الموقع الذى قام فيه المفتش كيرى بتجربته مع الشرطى دودجيت فى وقت مبكر من الظهيرة.

وقد تسبب صوت الآنسة بيلفر الذى أتى من خلفها فى أن تقفز من المفاجأة.

"إن وقوفك هنا بعد مغيب الشمس سوف يتسبب فى إصابتك بالبرد يا آنسة ماربل".

أطاعتها الآنسة ماربل وسارت كل من السيدتين برشاقة إلى المنزل.

قالت الآنسة ماربل: "لقد كنت أفكر فى حيل السحرة وألاعيبهم، إنه يبدو أمرًا صعبًا للغاية وأنت ترينهم وهم يقومون بها، ولكن رغم ذلك، فعندما يتم تفسيرها لك، سوف تجدينها حيلاً فى منتهى البساطة (على الرغم من أننى لا أستطيع فهم كيف

يخرج السحرة أوانى, مليئة بالسمك) هل رأيت من قبل المرأة التى ينشرونها ـ بالمنشار من المنتصف ـ إنها حيلة مرعبة. لقد أذهلتنى تلك الحيلة عندما كنت فى الحادية عشرة من عمرى. ولم أتمكن أبداً من التفكير فى كيفية القيام بها ـ ولكن فى اليوم التالى كان هناك مقال فى الجريدة يفسر الأمر برمته. لا أعتقد أنه على الصحف القيام بهذا، أليس كذلك؟ أعتقد أن تلك الخدعة لا تقوم على فتاة واحدة بل على فتاتين، بحيث يكون هناك رأس فتاة، وأرجل فتاة ثانية. أنت تعتقدين أنها فتاة واحدة، ولكنهما فى الواقع فتاتان ـ وإذا عكسنا الأمر سينجح الأمر نفس النجاح أيضاً، أليس كذلك؟".

نظرت الآنسة بيلفر إليها وقد بدا عليها بعض الاندهاش.

لم تظهر الآنسة ماربل مثل هذا الاضطراب فى كلامها من قبل ـ وفكرت الآنسة بيلفر فى نفسها: "لقد كان أمراً ثقيلاً بالنسبة للسيدة العجوز".

أردفت الآنسة ماربل: "عندما تنظرين إلى شىء من جانب واحد، فإنك لا ترين إلا ذلك الجانب فقط. ولكن كل شىء يرجع إلى موقعه الصحيح إن استطعت فقط أن تدرك ما الحقيقة وما الوهم "، ثم قالت فجأة: "هل كارى لويز على ما يرام؟".

قالت الآنسة بيلفر: "نعم، إنها على ما يرام تماماً، كم كان الأمر صادماً لها أن تعرف أن هناك من أراد قتلها. أعنى لقد كانت صدمة لها تحديداً، لأنها من نمط الأشخاص الذين لا يستطيعون أن يستوعبوا معنى العنف".

قالت الآنسة ماربل، وهى تفكر: "إن كارى لويز تفهم شيئاً لا نعرفه، وقد كانت دوماً كذلك".

"أعرف ما تعنين ولكنها لا تعيش على أرض الواقع".

"هل هى كذلك حقاً؟".

نظرت إليها الآنسة بيلفر فى دهشة.

"ليس هناك من يعيش بعيداً عن الواقع مثل كارى ـــ".

"ألا تعتقدين أنه من الممكن ـــ "، ثم توقفت الآنسة ماربل عن الكلام عندما مر بهما إيدجر لاوسون وهو يترنح ويتمايل بخطوات مسرعة. وقد أومأ برأسه فى خجل، ولم ينظر إليهما عند مروره.

قالت الآنسة ماربل: "لقد تذكرت الآن من الذى يذكرنى به إيدجر لاوسون. لقد تذكرت ذلك الآن فقط منذ لحظات. إنه يذكرنى بشاب صغير يدعى ليونارد وايلى. كان والده طبيب أسنان، ولكن والده تقدم فى العمر وبدأت يده فى الارتعاش، ولهذا فضل الناس الذهاب إلى ابنه من أجل العلاج. ولكن الوالد العجوز حزن لذلك كثيراً، وأصابه الاكتئاب، وقال إنه بلا فائدة فى أى شىء، وبدأ ليونارد الابن ـ العطوف والرقيق

والأحمق أيضًا، يتظاهر بأن أخلاقه قد فسدت، وبدأ فى تناول الشراب أمام مرضاه، وكانت غايته من ذلك أن يعود المرضى إلى والده مرة أخرى، ويقولون إن الشاب الصغير لم يعد يصلح كطبيب".

"وهل فعلوا ذلك؟".

قالت الآنسة ماربل: "بالطبع لا، فما حدث بالفعل كان شيئًا متوقعًا بالنسبة لأى شخص يملك عقلاً فى رأسه، لقد تردد المرضى على الطبيب المنافس ويدعى دكتور ريلى. فإن الكثير من الأشخاص طيبى القلب لا يتمتعون برجاحة العقل. إلى جانب أن ليونارد وايلى لم يكن مقنعًا فى تمثيليته لأن، فكرته عن إدمان الشراب كانت مختلفة عن الواقع، فقد بالغ فى تظاهره، وفعل أشياء لا تحدث فى الواقع".

ودلفت السيدتان إلى المنزل من الباب الجانبى.,

الفصل التاسع عشر

وبداخل المنزل كانت الأسرة مجتمعة فى المكتبة. أخذ لويس يذهب ويأتى فى المكان قلقًا، وساد هناك جو عام من التوتر.

سألت الآنسة بيلفر: "هل هناك ما يسوء؟".

قال لويس بإيجاز: "إن إيرنى جريح غاب عن النداء هذه الليلة".

"هل هرب؟".

"لا نعلم. إن ما فيريك ومجموعة من أعضاء هيئة التدريس يبحثون عنه. وإذا لم نجده فلابد أن نتصل بالشرطة".

أسرعت جينا نحو كارى لويز وقد انزعجت لرؤية وجهها الشاحب، وقالت: "جدتى! إنك لا تبدين على ما يرام".

"إننى حزينة، الولد المسكين ...".

قال لويس: "لقد كنت ذاهبًا لسؤاله هذا المساء عما إذا كان قد رأى شيئًا مهمًا تلك الليلة. كان هناك عرض له للحصول على عمل جيد، واعتقدت أن بإمكانى فتح موضوع ما رآه ليلة الحادث بعد مناقشة ذلك معه، والآن ... "، ثم توقف.

غمغمت الآنسة ماربل بأسف: "ولد أحمق ... ولد أحمق بائس ...".

هزت رأسها وقالت السيدة سيروكولد برقة: "إذن هل تعتقدين ذلك يا جين أنت أيضًا ...؟".

دخل ستيفن ريستاريك. وقال: "إننى لم ألحق بك فى المسرح يا جينا. أعتقد أنك قلت إنك ـــ مرحبًا ماذا بكم؟".

ردد لويس المعلومة على مسامعه، وما إن فرغ من كلامه، دخل دكتور مافيريك وفى يده صبى أشقر الشعر، له وجنتان متوردتان، ووجه ملائكى ولكنه غير مريح. تذكرت الآنسة ماربل أن هذا الصبى كان متواجدًا على طاولة العشاء عندما أتت إلى ستونى جيتس.

قال دكتور مافيريك: "قد أحضرت آرثر جينكيز، لقد كان آخر من تحدث إلى إيرنى".

قال لويس: "والآن يا آرثر، من فضلك، ساعدنا إذا استطعت ذلك. أين ذهب إيرنى؟ هل تلك كانت دعابة ليس أكثر؟".

"لا أعلم يا سيدى حقًا لا أعلم. إنه لم يخبرنى بشىء، لم يخبرنى بشىء. كان منهمكًا مشغولاً بالاستعداد للمسرحية، هذا كل شىء. وقال إن لديه فكرة مدهشة متعلقة بالديكور، فإن الفكرة التى فكرت فيها السيدة هود والسيد ستيفن لم يكن لها مثيل".

"هناك شىء آخر يا آرثر. لقد قال إيرنى إنه بعد إغلاق أبواب الكلية خرج وتجول فى الحدائق هل كان ذلك صحيحًا؟".

"بالطبع ليس صحيحًا، إنه يتفاخر فحسب، وهذا كل شىء. إن إيرنى كاذب ماكر. إنه لم يخرج مطلقًا ليلاً. لقد كان يتفاخر دومًا أن بمقدوره القيام بذلك، ولكنه لم يكن بتلك المهارة فى التعامل مع الأقفال! إنه لا يستطيع القيام بأى شيء مع أى قفل إن كان من نوع جيد. على أى حال، لقد كان داخل المعهد الليلة الماضية ولم يخرج منه، إنى على يقين من ذلك تمامًا".

"ألا تقول ذلك لمجرد إرضائنا يا آرثر؟".

قال آرثر بصدق: "أقسم على ذلك".

لم يبد أن لويس راض تمام الرضا.

كان هناك أصوات تقترب من بعيد. انفتح الباب بقوة وهرع السيد بومجارتن إلى الغرفة وهو شاحب اللون ويبدو عليه الإعياء، ثم التقط أنفاسه وقال: "لقد عثرنا عليه أعنى عثرنا عليهما. إنه أمر مريع ...".

هبط بجسده على كرسى، ومسح جبهته.

قالت ميلدريد بحدة: "ماذا تعنى بقولك عثرنا عليهما؟"., كان بومجارتن يرتعد بشدة وقال:

"هناك فى المسرح لقد تحطم رأساهما تمامًا ـ لابد أن ثقلاً ضخمًا قد سقط فوق رأسيهما ـ أليكس ريستاريك وذلك الصبى إيرنى ... لقد مات كلاهما!"..,

الفصل العشرون

قالت الآنسة ماربل: "لقد أحضرت لك قدحًا من الحساء، أرجو أن تتناوليه".

اعتدلت السيدة سيروكولد على الفراش الضخم المصنوع من البلوط. بدت قليلة الحجم وأشبه بالطفلة، وقد فقدت وجنتاها توردهما، وطغت على عينيها نظرة شاردة غريبة.

أخذت كارى الحساء من يد الآنسة ماربل فى إذعان. وبينما كانت تحتسيه جلست الآنسة ماربل بجوار فراشها على مقعد.

قالت كارى لويز: "كريستيان فى بداية الأمر، والآن أليكس وذلك الصبى الصغير البائس إيرنى. هل كان يعلم حقًا أى شىء؟".

قالت الآنسة ماربل: "لا أظن ذلك. لقد كان يكذب ـ محاولاً أن يعطى نفسه أهمية، بالتظاهر بأنه رأى وعلم شيئًا ما. والكارثة أن هناك من صدق هذه الكذبة ...".

ارتعدت كارى لويز وذهبت عيناها إلى نظرتهما الشاردتين.

"كنا نرغب فى القيام بالكثير من الأمور من أجل هؤلاء الصبية ... لقد حققنا بعض الأشياء بالفعل؛ فبعضهم قد نجح نجاحًا باهرًا، والعديدون منهم يحتلون مناصب مسئولة الآن حقًا. والقلة القليلة منهم هم الذين لم نتمكن من مساعدتهم. إن الظروف فى المدينة معقدة للغاية بالنسبة لمخلوقات بسيطة غير متطورة. هل تعرفين ما خطة لويس العظيمة؟ لطالما شعر دائمًا بأن نقل الصبية يعد شيئًا قد أنقذ العديد من المجرمين فى الماضى. لقد كان يتم نقلهم خارج البلاد ـ وقد صنعوا حياة جديدة من خلال إمكانات بسيطة. لقد أراد أن يضع خطة حديثة على هذا الأساس، بأن يشترى مساحة واسعة من الأرض، أو مجموعة من الجزر، ويقوم بتمويلها لبضع سنوات ويجعل منها مجتمعًا تعاونيًا منعزلاً يقوم على الاكتفاء الذاتى، يسهم الجميع فيه بعمله، ولكن بشرط أن يكون منعزلاً بحيث لا يكون هناك حاجة للعودة إلى المدن أو إلى أيام الانحراف. لقد كان هذا هو الحلم الذى طالما راوده، ولكن تحويل هذا الحلم إلى واقع يتطلب أموالاً طائلة، ولم يعد هناك الآن كثير من الأشخاص الذين يحبون القيام بالأعمال الإنسانية الخيرية إننا بحاجة إلى إيريك جولبراندسن آخر حتى نضطلع بمشروع مثل هذا، فلو كان إيريك حيًا لتحمس لمشروع كهذا تحمسًا كبيرًا".

أمسكت الآنسة ماربل مقصًا قريبًا ونظرت إليه وقد بدا عليها الفضول.

وقالت: "يا له من مقص عجيب، إن له فتحتين للأصابع فى جانب وفى الجانب الآخر فتحة واحدة".

رجعت عين كارى لويز من نظرتها الخائفة الشاردة وقالت:

"لقد أعطاه لى أليكس هذا الصباح، فإنه يسهل قص أظافر اليد اليمنى. ولدى العزيز، لقد كان مقتنعًا للغاية بكفاءة هذا المقص وجعلنى أجرب هذا المقص بكلتا يدىّ".

وأعتقد أنه قام بجمع قلامات الأظافر وأخذها معه بحرص.

قالت كارى: "نعم إنه. ... "، ثم قطعت كلامها: "لماذا قلت ذلك؟".

قالت الآنسة ماربل: "كنت أفكر فى أليكس، إنه شاب يتمتع بذكاء شديد. نعم إنه ذكى حقًا".

"أتعنين ـ أن ذكاءه هذا هو سبب موته؟".

"نعم أعتقد ذلك".

"هو وإيرنى ـ إننى لا أحتمل التفكير فى ذلك. متى حدث ذلك فى اعتقادك؟".

"فى وقت متأخر من هذا المساء، ما بين السادسة والسابعة ...".

"بعد انتهائهما من عمل اليوم؟".

"نعم".. لقد ذهبت جينا إلى هناك هذا المساء ـ وكذلك وولى هود. وستيفن أيضًا، لقد قال إنه كان هناك يبحث عن جينا ....

ولكن من خلال ذلك، كان بإمكان أى شخص ـ وانقطعت أفكار الآنسة ماربل عندما قالت كارى لويز بهدوئها المعتاد وعلى حين غرة.

"إلى أى مدى تصل معرفتك يا جين؟".

نظرت الآنسة ماربل إلى أعلى بحدة والتقت عينا السيدتين معًا.

قالت الآنسة ماربل بتمهل: "إذا كنت على يقينتام ...".

"أعتقد أنك على يقين تام، يا جين".

قالت جين ماربل بتمهل مرة أخرى "ماذا تريدننى أن أفعل؟".

اتكأت كارى لويز على وسادتها وقالت: "الأمر فى يدك يا جين ـ ستفعلين ما تعتقدين أنه الصواب".

أغمضت عينيها.

قالت بتردد: "غدًا، سأحاول التحدث إلى المفتش كيرى ـ هذا إذا ما أصغى إلىّ ...".

الفصل الحادي والعشرون

قال المفتش كيرى فى غير صبر:

"ماذا يا آنسة ماربل؟".

"أيمكننا الذهاب إلى الصالة الكبرى؟".

قال المفتش بشىء من الدهشة:

"هل هذه هى فكرتك عن الخصوصية؟ ولكن هنا بالتأكيد ـــ".

ثم نظر حول حجرة المكتب وقال:

"إننى لا أفكر فى الخصوصية كثيراً. إنه شىء أود أن أريه لك، شىء استطاع أليكس ريستاريك أن يجعلنى أراه".

نهض المفتش كيرى وهو يتنهد، وتبع الآنسة ماربل.

قال وكله أمل: "هل تحدث إليك أحدهم فى شىء ما؟".

قالت الآنسة ماربل: "كلا، إن الأمر لا يتعلق بما قاله الناس. بل يتعلق حقاً بما يفعلونه من حيل وألاعيب. إنهم يفعلونها مستخدمين خداع المرايا ـ هذا النوع من الأشياء ـ إذا كنت تفهمنى".

لم يفهم المفتش كيرى، وقف محملقاً متسائلاً إن كانت الآنسة ماربل سليمة من الناحية العقلية.

وقفت الآنسة ماربل فى مكانها، وسألت المفتش كيرى أن يقف إلى جوارها.

وقالت: "أريدك أن تتخيل أن هذا المكان خشبة مسرح يا أيها المفتش ... تماماً مثلما كان فى الليلة التى قتل فيها جولبراندسن. إننا هنا فى مكان الجمهور، ننظر إلى الأشخاص على المسرح: السيدة سيروكولد وأنا والسيدة ستريت وجينا وستيفن، ومثلما هو الحال على خشبة المسرح، هناك مداخل ومخارج. والشخصيات تخرج إلى أماكن مختلفة. إنك فقط لا تفكر عندما تكون بين الجمهور، إلى أين توجهوا حقاً. لقد خرجوا "إلى الباب الأمامى "أو "للمطبخ "كما يبدو للجمهور. وعندما يقومون بفتح الباب وهم فى طريقهم إلى الخروج فإنك كواحد من الجمهور لا ترى إلا جزءاً صغيراً من الخلفية المرسومة المصنوعة من القماش، ولكن الشخوص فى الحقيقة يذهبون إلى

أجزاء خشبة المسرح، أو ربما يخرجون إلى مؤخرة المسرح، حيث يوجد العاملون من نجارين، وكهربائيين والممثلين الآخرين الذين ينتظرون دورهم للظهور والتمثيل على الخشبة، إنهم يخرجون إلى عالم مختلف".

"إننى لا أفهم تمامًا يا آنسة ماربل ما تعنينه ـــ".

قاطعته قائلة: "آه أعلم أن ما أقوله يبدو لك كلامًا بلا معنى حقًا ـ ولكنك إذا فكرت فيما حدث باعتباره مسرحية، وأن خشبة المسرح هى الصالة الكبرى لستونى جيتس، فما الذى يمكن أن تراه خلف خشبة المسرح بالضبط؟ أعنى ما خلفية خشبة المسرح؟ الشرفة الأمامية ـ أليس كذلك؟ الشرفة وكثير من النوافذ التى تطل عليها".

وأردفت قائلة:

"وهذه هى الطريقة المستخدمة فى الألاعيب السحرية. وقد دفعتنى حيلة المرأة التى يتم نشرها إلى نصفين فى الذهاب إلى التفكير فى ذلك".

"المرأة المنشورة إلى نصفين؟ "، سأل المفتش كيرى وهو على يقين تام من أن الآنسة ماربل تعانى من مشكلة عقلية.

قالت الآنسة ماربل: "إنها حيلة سحرية مرعبة حقًا. لابد وأنك قد شاهدتها ـ والأمر أنها ليست حقًا فتاة واحدة فى تلك اللعبة السحرية، بل فتاتان. رأس فتاة، وقدم فتاة أخرى، يبدو للجمهور كأن هناك شخصًا واحدًا بينما هما شخصان فى الواقع، ولقد فكرت أن الحيلة يمكن أن تتم أيضًا بالعكس. فشخصان يمكن أن يكونا فى حقيقة الأمر شخصًا واحدًا".، بدا المفتش محبطًا وهو يقول: "شخصان يكونان حقًا شخصًا واحدًا؟!".

"نعم، ولكن ليس لوقت طويل. ما المدة التى أخذها الشرطى ليجرى من المنزل إلى الحديقة والعكس؟ دقيقتان وخمس وأربعون ثانية، أليس كذلك؟ إنه سيستغرق أقل من ذلك. حسنًا أقل من دقيقتين".

"ما الذى استغرق أقل من دقيقتين؟".

"الخدعة السحرية. تلك الخدعة التى لم تنطو على شخصين، بل شخص واحد. هنا فى حجرة المكتب، لقد كنا جميعًا ننظر فقط إلى الجزء المرئى من خشبة المسرح. ولكن فى الجزء غير المرئى خلف المشهد هناك شرفة، وصفّ من النوافذ، وعندما يكون هناك شخصان فى حجرة المكتب يكون أمرًا سهلاً للغاية أن تفتح نافذة الحجرة ويسهل الخروج منها والركض عبر الشرفة (وقع الأقدام التى سمعها أليكس)، والدخول من الباب الجانبى، وإطلاق الرصاص على كريستيان جولبراندسن والعودة ركضًا، وخلال هذه الفترة يكون الشخص الآخر فى حجرة المكتب يقلد الصوتين حتى نقتنع تمامًا نحن الجمهور أنه كان هناك شخصان فى الحجرة. وقد كانا بالفعل هناك معظم الوقت ولكن ليس فى الدقيقتين التى تم خلالهما عملية القتل".

التقـــــط المفتـــــش أنفاســـــه واســـتعاد صـــوته وقـــال: "أتقصـــدين أن إيـــدجر لاوســـون هـــو الـــذى جـــرى عبـــر الشـــرفة وأطلـــق الرصـــاص علـــى جولبراندسن؟ وأن إيدجر لاوسون هو من قام بتسميم السيدة سيروكولد؟".

"ولكن يا سيادة المفتش لم يكن هناك من يدس السم للسيدة سيروكولد مطلقاً، وهنا تكمن نقطة الخداع والتضليل. لقد استغل أحدهم بمنتهى الدهاء أمر معاناة السيدة سيروكولد من التهاب المفاصل، وهو الأمر الذى يشبه تماماً أعراض التسمم بالزرنيخ لخداعنا وتضليلنا. إنها نفس الخدعة القديمة التى يلجأ إليها السحرة حتى يدفعوك إلى جذب بطاقة معينة، إن إضافة زرنيخ إلى زجاجة دواء أمر سهل، وكذلك إضافة القليل من الأسطر على رسالة فى الآلة الكاتبة أمر سهل للغاية، ولكن السبب الحقيقى الذى أتى بالسيد جولبراندسن إلى هنا شىء له علاقة بالمال فى الواقع وليس بخدعة السم. لنفترض أن هناك اختلاساً كان يحدث، اختلاساً كبيراً ـ فمن، يا ترى، يمكن أن يقوم بذلك؟ إنه شخص واحد فقط ـــ".

قال المفتش كيرى متمتماً وهو متقطع الأنفاس: "لويس سيروكولد؟! "قالها وهو غير مصدق.

قالت الآنسة ماربل: "نعم لويس سيروكولد ...".

الفصل الثانى والعشرون

جزء من خطاب جينا هود إلى خالتها السيدة فان رايدوك:

"وكما ترين يا خالتى العزيزة روث، لقد كان كل ما حدث أشبه بكابوس مرعب ـ خاصة فى نهايته، لقد سبق أن أخبرتك عن ذلك الرجل المثير إيدجر لاوسون، لقد كان دائماً مثل الأرنب ـ وعندما شرع المفتش فى التحقيق معه فإنه انهار تماماً وفقد أعصابه تماماً وركض هارباً كالأرنب، لقد فقد أعصابه وجرى ـ جرى بالمعنى الحرفى. قام بالقفز من النافذة والركض حول المنزل والممر، وقد كان هناك شرطى واقف ليعترض طريقه، فراوغه إيدجر وركض مهرولاً متجهاً إلى البحيرة وقام بالقفز إلى قارب متعفن ظل هناك لسنوات منذ أن انجرف. وما فعله بالطبع يا خالتى كان بلا معنى ويفيد تماماً العقل، ولكنه كان كما قلت لك مجرد أرنب مذعور، وحينها صاح لويس بأعلى صوته: "إنه قارب متعفن". وركض مسرعاً إلى البحيرة كذلك. ونظراً لأن القارب كان متعفناً فقد غرق سريعاً، وكان إيدجر هناك يصارع الماء، حيث إنه لم يكن يجيد السباحة. قفز لويس فى البحيرة ووصل إليه بالفعل، ولكن كان من الصعب عليهما الخروج بسبب القصب الذى كان منتشراً فى البحيرة والذى علقا فيه ولم يتمكنا من السباحة، ربط أحد رجال الشرطة حبلاً حول جسده، وقام بالقفز إلى الماء ولكنه لم يتمكن من السباحة أيضاً فقاموا بسحبه إلى اليابسة. صرخت الخالة ميلدريد قائلة: "سوف يغرقان ـ سوف يغرقان ـ سوف يغرقان".. . قالتها على نحو سخيف، ولم تقل جدتى شيئاً سوى: "نعم "لا أستطيع أن أصف لك الطريقة التى قالت بها تلك الكلمة الوحيدة. لم تقل سوى "نعم "، لو سمعتها فسوف تشعرين بأنها نافذة مثل السيف.

هل أبدو مضحكة وأنا أصف الأشياء بشكل درامى؟ أعتقد ذلك ولكنها حقاً بدت على هذا النحو.

وبعد ذلك ـ عندما انتهى الأمر ـ وعندما قام رجال الشرطة بإخراجهما من البحيرة وحاولوا إنقاذهما بالتنفس الصناعى (ولكن بلا جدوى) فقد جاء المفتش إلينا وقال لجدتى "معذرة يا سيدة سيروكولد، ليس هناك أمل".

قالت جدتى بهدوء شديد:

"أشكرك أيها المفتش".

ثم بعد ذلك حولت نظرها إلينا جميعاً، وقد كنت أرغب بشدة فى مساعدتها، ولكن لم أكن أدرى كيف أستطيع القيام بذلك، وبدت جولى متجهمة عابسة وكعهدها دائماً

مستعدة للتوجيه، وكان ستيفن قد مد لها يديه لمساعدتها، وقد بدا على الآنسة ماربل العجوز الظريفة الحزن والإنهاك، حتى وولى بدا مستاءً بشدة. فجميعنا نحبها ونرغب فى فعل شىء حتى نساعدها.

ولكن جدتى نادت فقط قائلة "ميلدريد "وقالت خالتى ميلدريد مجيبة "نعم يا أمى "وذهبتا معاً داخل المنزل، وقد بدت جدتى ضئيلة الحجم وهشة وهى تستند إلى خالتى ميلدريد. لم أكن أدرك حتى تلك اللحظة مدى حبهما لبعضهما البعض. لم يكن هذا الحب باديًا، ولكنه كان موجوداً طوال الوقت".

توقفت جينا عن الكتابة ووضعت مؤخرة قلمها فى فمها مفكرة قبل أن تكمل:

أما أنا ووولى فسوف نعود إلى الولايات المتحدة فى أسرع وقت ممكن.,

الفصل الثالث والعشرون

"ماذا دفعك إلى تخمين ذلك يا جين؟".

لم تجب الآنسة ماربل مباشرة، وأخذت تنظر إلى السيدة التى أمامها ـ كارى لويز ـ والتى ظهرت أكثر نحافة وإلى الرجل العجوز الذى يمتلك ابتسامة رائعة وشعراً أبيض كثيفاً. وهو الطبيب جالبريث.

أخذ الطبيب جالبريث يد كارى لويز فى يده قائلاً: "لقد كان ذلك حزنًا كبيراً أَلَمّ بك يا طفلتى المسكينة، وإنها لصدمة كبيرة كذلك".

"نعم، كان حزنًا، ولكن لم يكن صدمة".

قالت الآنسة ماربل: "كلا، وهذا هو ما اكتشفت أنك تعرفينه. كل شخص كان يتحدث عن أن كارى لويز تعيش فى عالم آخر، بعيداً عن عالم الواقع، ولكن فى واقع الأمر، لقد كانت كارى لويز متصلة بالواقع، لا بالوهم. إن الأوهام لم تضللك مثلما حدث لمعظمنا، وفجأة وعندما أدركت أنك يا كارى تعيشين حقًا فى الواقع قررت أن أخطو على خطاك وأن أجعل مشاعرك وأفكارك دليلاً يقودنى إلى الحقيقة. لقد كنت على يقين تام يا كارى أنه لا يمكن أن يحاول أحد دس السم لك، لم تكونى قادرة على تصديق ذلك، لأن هذا كان الواقع بالفعل! ولم تصدقى، مطلقًا، أن إيدجر سيؤذى لويس ـ ومرة أخرى كنت محقة فى ذلك، وكنت على يقين أن جينا لم تحب أى شخص سوى زوجها ـ ومرة أخرى كنت محقة فى ذلك".

وأردفت قائلة:

"وعندما خطوت على خطاك وجدت أن كل الأشياء والأمور التى بدت لى صحيحة ما كانت إلا أوهاماً وخيالات فى واقع الأمر، لم تكن إلا خداعًا كان الهدف منها الوصول إلى غرض معين ـ تماماً مثلما يلجأ السحرة إلى الحيل والخدع، حتى يخدعوا المشاهدين. وكنا نحن المشاهدين".

لقد كان أليكس ريستاريك هو أول من اقترب من الحقيقة، لأنه كانت أمامه الفرصة للنظر إلى الأمور من زاوية مختلفة ـ من الزاوية الخارجية، لقد كان مع المفتش فى الممر الخارجى، ونظر إلى المنزل، وأدرك إمكانية استغلال النوافذ ـ وتذكر سماعه لصوت وقع أقدام تركض تلك الليلة، وقد أوضح له الوقت الذى استغرقه الشرطى أن الأمر يستغرق وقتًا أقل مما يمكن أن نتخيل. لقد كان الشرطى

يلهث ومتقطع الأنفاس، وبالتفكير فى ذلك الشرطى تذكرت كيف كان لويس سيروكولد يلهث عندما فتح باب حجرة المكتب. لقد كان يجرى بأقصى سرعة كما علمتم ...".

ولكن إيدجر كان بؤرة الاهتمام كله بالنسبة لى. كنت أرى فى إيدجر لاوسون دائماً شيئاً خطأ غير طبيعى. كل الأشياء التى كان يقولها ويفعلها كانت طبيعية كما هو مفترض لشخص فى حالته، ولكنى كنت أرى أنه لم يكن طبيعياً فى شخصه، وذلك لأنه فى الواقع كان شاباً طبيعياً يلعب دور مريض نفسى مصاب بانفصام الشخصية ـ وقد كان دوماً مبالغاً فى ذلك، كان يؤدى أداءً مسرحياً.

لابد أنها كانت خطة محكمة جيدة الإعداد. لابد أن لويس أدرك أن هناك ما أثار شكوك كريستيان عند حضوره المعتاد، وكان لويس يعرف كريستيان بالقدر الذى يجعله يتأكد أن كريستيان عندما يشك فى شيء فإنه لا يهدأ حتى يتأكد منه، ليطمئن إلى ما إذا كانت شكوكه فى محلها أم لا".

اعتدلت كارى لويز.

وقالت: "نعم، كان كريستيان من هذا النوع، كان بطيئا ودءوباً؛ ولكنه كان حاد الذكاء، لا أدرى ما الذى أثار شكوكه، ولكنه بدأ فى البحث ـ واكتشف الحقيقة بالفعل".

قال الطبيب: "إننى ألوم نفسى، لأننى لم أكن أكثر يقظة".

قالت كارى لويز: "لم يكن من المنتظر منك يا دكتور جالبريث أن تفهم فى الأمور المالية، لقد كانت الأمور المالية من اختصاص السيد جيلفوى من البداية، وعندما توفى فإن خبرة لويس الكبيرة وضعته فى منصب جعله يصل إلى السيطرة التامة على أمور المعهد، وهذا بالطبع هو ما دخل رأسه مباشرة".، عاد اللون المتورد إلى وجنتيها وهى تقول:

"لقد كان لويس رجلاً عظيماً، رجلاً له رؤية عظيمة وإيمان شديد بما يمكن إنجازه وتحقيقه بواسطة المال. إنه لم يرغب فى الحصول على المال لنفسه ـ أو على الأقل لم يكن طماعاً جشعاً ـ لكنه كان يرغب فى القوة التى يمنحها المال ـ لقد أراد تلك القوة ليستخدمها فى الكثير من الخير ـ".

قال جالبريث: "لقد أراد أن يلعب دور الإله ونسى أننا نحن البشر لسنا إلا أدوات متواضعة لتحقيق إرادة الله فى الأرض، ولا يجب أن نتجاوز هذا الدور "، هكذا قالها بصوت قاسٍ فجأة.

سألت الآنسة ماربل: "إذن، هل قام باختلاس أموال المعهد؟".

قال دكتور جالبيرث بتردد:

"لقد كان فقط ...".

قالت كارى لويز: "أخبرها، إنها أقدم صديقاتى".

قال الطبيب:

"كان لويس سيروكولد بارعاً فى الأعمال الحسابية والمالية لدرجة تجعلك تصفينه بالساحر المالى. فخلال سنوات دراسته فى المحاسبة المتقدمة كان يسلى نفسه باختراع أساليب عديدة للاحتيال، وكانت هذه الوسائل لا يمكن اكتشافها مطلقاً من الناحية العملية، كان كل ذلك دراسة نظرية ليس أكثر، ولكنه بدأ بالفعل فى تطبيقها فى الواقع العلمى، عندما فكر فى الفرص والإمكانات التى ستتيحها له تلك الأساليب الاحتيالية إذا طبقها على مبلغ كبير من المال، وكما تعلمين، فقد كانت تحت يده مادة خام يمكنه تشكيلها كيفما يشاء فقد اختار مجموعة صغيرة منتقاة. كانوا صبية يميلون إلى الإجرام بطبيعتهم، ويحبون الأفعال المثيرة، وكانوا كذلك شديدى الذكاء. إننا لم نعرف كل شىء بعد، ولكن من الواضح أنهم كانوا يعملون فى دائرة مغلقة شديدة السرية، وقد تم وضع أفراد هذه الدائرة بعد ذلك فى مناصب رئيسية، بحيث يتمكنون من التلاعب بالسجلات بأسلوب يسمح باختلاس مبالغ ضخمة دون إثارة أية شكوك وكل ذلك بالطبع تحت توجيهات لويس. وما علمته أن العمليات الحسابية كانت معقدة ومتفرعة بشكل كبير إلى درجة أن اكتشاف التلاعب قد يستغرق شهوراً طويلة من المحاسبين، ولكن كانت الصورة النهائية توحى بأن مبلغاً غاية فى الضخامة كان تحت تصرف لويس سيروكولد، وراء ستار من الأسماء المختلفة، والحسابات المصرفية والشركات المختلفة أيضاً. وقد أراد لويس استغلال هذا المال فى تأسيس مستعمرة خارج البلاد لإنشاء تجربة جديدة تقوم على التعاون بين الأحداث الصغار، والذين سيمتلكون تلك الأرض فى نهاية الأمر ويقومون بإدارتها، ربما كان ذلك حلماً عظيماً.

قالت كارى لويز: "كان حلماً يمكن أن يتحول إلى حقيقة".

"نعم كان يمكن أن يكون حقيقة، ولكن الأسلوب الذى اتبعه سيروكولد لم يكن نزيهاً، وقد اكتشف كريستيان جولبراندسن ذلك، وكان مستاءً للغاية، عندما فكر فى التبعات التى يمكن أن يسببها لك يا لويز من كشف هذه الحقيقة وتقديم سيروكولد إلى القضاء".

"لهذا السبب سألنى عما إذا كان قلبى بحالة جيدة، لقد بدا قلقاً على صحتى، ولم أكن أفهم ذلك؟".

"إذن فقد عاد سيروكولد من المنطقة الشمالية، وقابله كريستيان خارج المنزل وأخبره بما اكتشفه وما سيحدث. وقد أخذ لويس الأمر بهدوء على حد اعتقادى. ولقد اتفق الرجلان على أنه يجب أن يبذلا قصارى جهدهما ليبعداك عن الأمر. قال كريستيان إنه سيرسل خطاباً لى ويطلب منى الحضور لمناقشة الوضع بصفتى أحد الأوصياء".

قالت الآنسة ماربل: "ولكن بالطبع، كان سيروكولد مستعداً، بالفعل، لكل هذه الأمور الطارئة. كان الأمر كله مخططاً له. كان قد أحضر الشاب الذى سيلعب دور إيدجر لاوسون إلى المنزل. وقد كان هناك بالفعل إيدجر لاوسون حقيقى فى حالة بحث الشرطة فى السجلات. وكان إيدجر الزائف هذا يعرف تماماً ما عليه القيام به والدور الذى سيلعبه ـ أن يلعب دور مريض بانفصام الشخصية، ضحية الاضطهاد، ويمنح لويس سيروكولد حجة غياب لدقائق قليلة فى غاية الأهمية.

"وقد كانت هناك خطوة تالية معدة أيضاً. وهى قصة لويس بأنه تم تسميمك ببطء يا كارى؛ ولكن عندما يفكر المرء فى أمر دس السم لكارى سيجد أن الراوى الوحيد لهذه القصة هو لويس نقلاً عن كريستيان الذى قتل، فلم يكن هناك ما يؤكد صحة ما يقوله لويس، فبعد اختلاق تلك القصة كان يمكن للويس إضافة بعض الأسطر فى الخطاب الموجود على الآلة الكاتبة، بينما كان ينتظر قدوم الشرطة. وكان, من السهل كذلك إضافة سم الزرنيخ إلى زجاجة الدواء، وكان لويس يعلم أن ذلك لن يمثل خطراً عليك، طالما أنه سوف يتدخل فى الوقت المناسب لمنعك من تناوله، أما الشيكولاته فبالطبع لم تكن مسممة هى الأخرى، ولكن لويس قام بتسميم قطع أخرى وسلمها إلى المفتش كيرى.

قالت كارى لويز: "وقد خمن أليكس ذلك".

"نعم، ولهذا قام بجمع قلامات أظافرك. لأنها كانت ستظهر ما إذا كان قد تم دس الزرنيخ لك بالفعل لفترة طويلة".

"المسكين أليكس ـ المسكين إيرنى".

كانت هناك لحظة صمت، حيث فكر الاثنان الآخران فى كريستيان جولبراندسن وأليكس ريستاريك والصبى إيرنى.

قال الطبيب: "ولكن بالطبع لقد كان هناك مخاطرة كبيرة فى إقناع لويس لإيدجر ليكون شريكه فى ذلك ـ حتى ولو كان يتحكم فيه ويسيطر عليه بشكل من الأشكال.

هزت كارى لويز رأسها:

"لم تكن المسألة مسألة التحكم فيه. لقد كان إيدجر مخلصاً للويس".

قالت الآنسة ماربل: "نعم مثل ليونارد وايلى ووالده. إننى أتعجب أنه ربما ـــ".

ثم سكتت.

قالت كارى لويز: "لقد لاحظت التشابه، أليس كذلك؟".

"إذن فقد كنت تعرفين ذلك طوال الوقت".

"لقد خمنت ذلك. لقد علمت أن لويس كانت له علاقة قصيرة مع ممثلة، قبل لقائه

بى. لقد أخبرنى عنها. لم تكن علاقة جادة، لقد كانت امرأة من النوع الذى يبحث عن المال، ولم تهتم به، ولكنى لم أشك مطلقاً فى أن إيدجر كان فى الواقع ابن لويس ...".

قالت الآنسة ماربل: "نعم هذا يفسر كل شىء ...".

قالت كارى لويز: "وقد ضحى بحياته فى النهاية من أجله". ثم نظرت بأسى إلى الطبيب وأضافت: "نعم، لقد فعل ذلك".

خيم الصمت لمدة ثم قالت كارى لويز: "كم أشعر بالسعادة لأن الأمر قد انتهى هكذا ... إن حياته انتهت على أمل إنقاذ ابنه ... فالأشخاص الذين يتمتعون بطيبة كبيرة يمكن أن يصبحوا غاية فى الشر كذلك. وكنت أعرف دائماً أن ذلك شىء حقيقى فى لويس ... ولكنه أحبنى للغاية ـ وأحببته أنا أيضاً".

سألت الآنسة ماربل: "هل شككت فيه من قبل؟".

قالت كارى لويز: "كلا، كنت أشعر بحيرة شديدة بشأن دس السم لى. كنت أعرف أن لويس لم يكن ليسممنى مطلقاً، ورغم هذا فإن رسالة كريستيان كانت تقول إن هناك من يسممنى ـ ولهذا اعتقدت أن كل شىء حسبت أنى أعرفه عن الأشخاص الذين هم من حولى كان خاطئاً ...".

قالت الآنسة ماربل: "ولكن، هل شككت حين تم العثور على أليكس وإيرنى مقتولين؟".

قالت كارى لويز: "نعم، إننى اعتقدت أنه لم يكن هناك سوى لويس من يجرؤ على فعل شىء كهذا. وانتابنى شعور بالخوف مما يمكن أن يفعله بعد ذلك ...".

ارتعدت قليلاً. وأردفت:

"لقد كنت معجبة بلويس. لقد كنت معجبة بما أسميه طيبة قلبه، ولكنى أرى أيضاً أن المرء إذا كان معطاء خَيِّراً فيجب أن يتحلى كذلك بالتواضع".

قال دكتور جالبريث بلطف:, "وهذا ما كان يعجبنى فيك دائماً يا كارى لويز ـــ تواضعك".

بدت الدهشة على عينيها الزرقاوين الجميلتين وهى تقول: "ولكنى لست طيبة أو خيرة على نحو خاص. إننى أُعجَب فقط بالخير الذى يتمتع به الآخرون".

قالت الآنسة ماربل: "عزيزتى كارى لويز".,

الخاتمة

قالت جينا: "أظن أن جدتى ستكون على خير حال مع الخالة ميلدريد. إن الخالة ميلدريد تبدو أكثر لطفاً الآن ـ فلم تعد غريبة مثلما كانت من قبل إذا كنت تدركين ما أعنى؟!".

قالت الآنسة ماربل: "أعرف ما تعنين".

"سأعود أنا وولى إلى الولايات المتحدة بعد أسبوعين أيضاً".

ألقت جينا نظرة بجانب عينها إلى زوجها.

وسأنسى كل شىء عن ستونى جيتس وعن إيطاليا، وعن الماضى الذى كان يتسم بالمراهقة، وسأصير مثل زوجى أمريكية قلباً وقالباً، وسأنادى ابننا الصغير دائماً بـ "والتر الصغير "، ليس هناك عدل أكثر من ذلك يا وولى، أليس كذلك؟".

قالت الآنسة ماربل: "لا يمكنك ذلك بالتأكيد يا كيت".

صحح لها والتر الاسم بلطف وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة للسيدة العجوز التى تخلط بين الأسماء وقال:

"اسمها جينا وليس كيت".

ولكن جينا ضحكت.

قالت جينا: "إنها تعنى تماماً ما تقول! ألا ترى أنها نادتنى باسم أمريكى، وبعد دقيقة سوف تناديك باسم إيطالى "بيتروشيو "! "

قالت الآنسة ماربل موجهة حديثها إلى والتر: "أعتقد أنك تصرفت على نحو حكيم".

قالت جينا: "إنها ترى أنك الزوج المناسب لى تماماً".

أخذت الآنسة ماربل تنقل نظرها بين الاثنين ودار بخلدها مدى روعة رؤية شابين يحبان بعضهما البعض إلى هذه الدرجة، فلم يعد والتر هود ذلك الشاب المتجهم الكئيب الذى رأته أول مرة، بل أصبح إنساناً آخر لا تفارق الابتسامة وجهه، وقالت: "أنتما الاثنان تذكراننى بـ ...".

اندفعت جينا إلى الأمام وأحكمت يدها على فم الآنسة ماربل لتجبرها على عدم

القول، وصاحت:

"لا يا عزيزتى، لا تقوليها، إن هذه المقارنات والتشبيهات لا تجعلنى أشعر بالارتياح، إنها تنتهى دوماً بكارثة. إنك عجوز شمطاء بالفعل، هل تعلمين ذلك؟".

ثم أردفت وهى تفكر فى شرود: "عندما أفكر فيك وفى الخالة روث وفى جدتى، وأتخيل أنكن كنتن شابات صغيرات معاً ... فإننى أتساءل كيف كانت ملامح وجوهكن! لا أستطيع تخيلها.

قالت الآنسة ماربل: "لا أعتقد أن بمقدورك تخيلها، لقد كان هذا كله منذ وقت طويل ...".

نبذة عن المؤلفة

تُعرف أجاثا كريستى فى كل أنحاء العالم باسم "ملكة الغموض "، ولقد حققت مبيعات كتبها ما يربو على مليار نسخة باللغة الإنجليزية إضافة إلى مليار نسخة أخرى ترجمت إلى مائة لغة أجنبية ، وهى تعد أكثر كاتبة نشرت لها كتب على مر العصور على مستوى كل اللغات ، ولم يفُقها فى المبيعات إلا كتب شكسبير ، وقد قامت بتأليف ثمانين كتابا ، ما بين روايات ومجموعات من القصص القصيرة فى الجريمة ، كما قامت بتأليف تسع عشرة مسرحية ، وست روايات تحت اسم مارى ويستماكوت .

ولقد كتبت أجاثا كريستى روايتها الأولى "السر الغامض فى ستايلز "قرب نهاية الحرب العالمية الأولى ، والتى كانت تعمل خلالها فى الجيش كممرضة . وقد قامت فى هذه الرواية بابتكار شخصية هيركيول بوارو ، ذلك المحقق البلجيكى ضئيل الجسم الذى صار أشهر محقق فى روايات الجرائم بعد شيرلوك هولمز ـ وقد نشرت الرواية أخيراً بواسطة دار نشر Bodley Head فى عام 1920.

وفى عام 1926 ، وبعد أن اعتادت تأليف رواية واحدة كل عام ، قامت أجاثا كريستى بتأليف روايتها العظيمة "من الذى قتل السيد روجر أكرويد؟" ، تلك الرواية التى كانت أول رواية تنشرها لها دار النشر "Collins "والتى أسست علاقة ربطت بين الكاتب والناشر دامت لخمسين عاماً ونتج عنها ما يزيد على سبعين رواية ، كما كانت رواية "من الذى قتل السيد روجر أكرويد؟" هى أولى رواياتها التى يتم تمثيلها مسرحيًا ـ تحت عنوان "Alibi " ـ واستمر عرضها بنجاح على مسرح "ويست إند "فى "لندن "لمدة طويلة . وقد تم افتتاح مسرحية ـ "مصيدة الفئران "ـ أشهر مسرحياتها على الإطلاق فى عام 1952 وهى المسرحية المعروفة بكونها صاحبة أطول فترة عرض فى التاريخ .

وقد منحت أجاثا كريستى لقب "فارسة صاحبة مقام رفيع "فى عام 1971 ، وتوفيت فى عام 1976 . ومنذ ذلك الحين ظهرت عدة مؤلفات لها منها تلك الرواية التى حققت أعلى المبيعات " Sleeping Murder "وظهرت لاحقًا فى نفس عام وفاتها . بعد ذلك نُشرَت السيرة الذاتية لها ، ثم مجموعة القصص القصيرة "Miss Marple's Final Cases" و "Problem at Pollensa Bay " و "While the Light Lasts " وفى عام 19 تم تحويل أول مسرحية لها وهى "Black Coffee " إلى رواية بواسطة مؤلف آخر هو "تشارلز أوزبورن".

جدول المحتويات

الفصل الأول
الفصل الثانى
الفصل الثالث
الفصل الرابع
الفصل الخامس
الفصل السادس
الفصل السابع
الفصل الثامن
الفصل التاسع
الفصل العاشر
الفصل الحادى عشر
الفصل الثانى عشر
الفصل الثالث عشر
الفصل الرابع عشر
الفصل الخامس عشر
الفصل السادس عشر
الفصل السابع عشر
الفصل الثامن عشر
الفصل التاسع عشر
الفصل العشرون
الفصل الحادي والعشرون
الفصل الثانى والعشرون
الفصل الثالث والعشرون
الخاتمة
نبذة عن المؤلفة